المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
المجمعة العالمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه

مجلة تبيان للدراسات القرآنية

مجلة علمية دورية محكمة

٢٦ ٢٧ ٢٨ ٢٩ ٣٠ ٣١ ٣٢ ٣٣ ٣٤ ٣٥ ٣٥

العدد الخامس والثلاثين - محرم 1441هـ ، سبتمبر 2019 م

TBEIAN FOR QUR'ANIC STUDIES

موضوعات العدد الخامس والثلاثين

❖ إزالةُ الشَّكِّ والالْتباس العارضَيْن لكثير مِنَ النَّاس في نقل {ألم أحسب الناس} لأبي زيد ابن القاضي (ت ١٠٨٢هـ)، دراسة وتحقيق	د. يزيد بن محمد بن عبدالرحمن العمار
❖ التناسب بين القسم المتعدد وجوابه في القرآن الكريم	د. ناصر بن محمد بن ناصر آل عشوان
❖ استجلاء ملامح المنهج التيمي في التأليف من خلال مقدمة التفسير	د . محمد بن راشد محمد البركة
❖ المصحف التوافقي عرض ونقد لطريقة كتابته والغاية منها	د. عاصم بن عبدالله بن محمد آل حمد
❖ المظاهر الأسلوبية في سورة الإخلاص عند المفسرين	د. إيمان بنت عبدالله بن عمر العمودي

ردمد ١٦٥٨-٣٥١٥
ISSN.1658-3515
رقم الإيداع ١٤٢٨/٢١٩٠

حقوق الطبع محفوظة
للجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه
العام ١٤٤٠هـ - ٢٠١٨م

التاريخ: 2018-12-27
الرقم: L18/0205 IF

سعادة أ. د. رئيس تحرير مجلة تبيان للدراسات القرآنية المحترم
الجمعية العلمية السعودية للقران الكريم و علومه / المملكة العربية السعودية
تحية طيبة وبعد،،،

نتقدم إليكم بفائق التحية والتقدير، و تهديكم أطيب التحيات وأسمى الأماني.

يسر قاعدة البيانات العربية الرقمية " **معرفة** " للمحتوى العلمي إعلامكم بأنها قد أطلقت **معامل التأثير و الاستشهاد العربي " ارسيف** Arab Citation & Impact Factor "Arcif. في 16 ديسمبر 2018، في عمّان – المملكة الأردنية الهاشمية.

وكما هو معلوم أن معامل التأثير لمجلة علمية (أكاديمية) أو بحثية، هو مقياس يستخدم للإشارة للأهمية النسبية للمجلات العلمية المحكمة و تأثيرها ضمن مجال حقلها، و يعكس مدى ارتباط الأبحاث الجديدة بالأبحاث التي نشرت سابقاً في تلك المجلة، والاستشهاد بها ضمن فترة زمنية معينة.

ومن الجدير بالذكر بأن قاعدة "**معرفة**" قامت بالعمل على جمع ودراسة بيانات ما يزيد عن **4000** عنوان مجلة عربية علمية أو بحثية في مختلف التخصصات، منشورة باللغة العربية، أو الإنكليزية أو الفرنسية أو متعددة اللغات، والصادرة عن أكثر من **1400** هيئة علمية أو بحثية في **20** دولة عربية، (باستثناء دولة جيبوتي وجزر القمر لعدم توفر البيانات) . ونجح منها **362** مجلة علمية فقط لتكون معتمدة ضمن معايير معامل التأثير و الاستشهاد العربي " **ارسيف Arcif**" في تقرير **عام 2018**.

وبهذا الخصوص يسر قاعدة بيانات "**معرفة**" إعلامكم بأن **مجلة تبيان للدراسات القرآنية** الصادرة عن **الجمعية العلمية السعودية للقران الكريم و علومه ، قد نجحت بالحصول على معايير اعتماد معامل التأثير و الاستشهاد العربي " ارسيف Arcif**" المتوافقة مع المعايير العالمية، والتي يبلغ عددها ما يزيد عن (31 معياراً)، وللاطلاع على هذه المعايير يمكنكم الدخول إلى الرابط التالي: http://e-marefa.net/arcif/criteria/

و كان معامل تأثير " **ارسيف Arcif** " لمجلتكم لسنة 2018 **(0.0196)** ، و حصلت على **المرتبة الخامسة** في **تخصص** الدراسات الإسلامية.

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام والتقدير

أ.د. سامي الخزندار

رئيس مبادرة معامل التأثير و الاستشهاد العربي
" ارسيف Arcif"

معامل التأثير والاستشهاد العربي
Arcif
Arab Citation & Impact Factor

+962 6 5548228 -9
+ 962 6 55 19 10 7
info@e-marefa.net
www.e-marefa.net
Amman - Jordan
2351 Amman, 11953 Jordan

التاريخ: 2019-10-13

الرقم: L19/443 ARCIF

سعادة أ. د. رئيس تحرير مجلة تبيان للدراسات القرآنية المحترم

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الجمعية العلمية السعودية للقران الكريم و علومه / السعودية

تحية طيبة وبعد،،،

نتقدم إليكم بفائق التحية والتقدير، و نهديكم أطيب التحيات وأسمى الأماني.

يسر **معامل التأثير والاستشهادات المرجعية للمجلات العلمية العربية (ارسيف – ARCIF)**، أحد مبادرات قاعدة بيانات "**معرفة**" للإنتاج والمحتوى العلمي، إعلامكم بأنه **قد أطلق تقريره السنوي الرابع** للمجلات للعام ٢٠١٩، خلال الملتقى العلمي "**مؤشرات الإنتاج والبحث العلمي العربي والعالمي في التحولات الرقمية للتعليم الجامعي العربي**" بالتعاون مع الجامعة الأمريكية في بيروت بتاريخ ٣ أكتوبر ٢٠١٩.

يخضع معامل التأثير "ارسيفArcif " لإشراف "مجلس الإشراف والتنسيق" الذي يتكون من ممثلين لعدة جهات عربية ودولية: (مكتب اليونيسكو الإقليمي للتربية في الدول العربية ببيروت، لجنة الأمم المتحدة لغرب اسيا (الإسكوا)، مكتبة الاسكندرية، قاعدة بيانات معرفة ،جمعية المكتبات المتخصصة العالمية/ فرع الخليج). بالإضافة للجنة علمية من خبراء وأكاديميين ذوي سمعة علمية رائدة من عدة دول عربية وبريطانيا.

ومن الجدير بالذكر بأن معامل " **ارسيف Arcif** " قام بالعمل على جمع ودراسة و تحليل بيانات ما يزيد عن (٤٣٠٠) عنوان مجلة عربية علمية أوبحثية في مختلف التخصصات، والصادرة عن أكثر من (١٤٠٠) هيئة علمية أو بحثية في (٢٠) دولة عربية، (باستثناء دولة جيبوتي وجزر القمر لعدم توفر البيانات). ونجح منها (٤٩٩) مجلة علمية فقط لتكون معتمدة ضمن المعايير العالمية لمعامل "**ارسيف Arcif**" في تقرير **عام ٢٠١٩** .

ويسرنا تهنئتكم وإعلامكم بأن **مجلة تبيان للدراسات القرآنية** الصادرة عن **جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الجمعية العلمية السعودية للقران الكريم و علومه، قد نجحت بالحصول على معايير اعتماد معامل "ارسيف Arcif"** المتوافقة مع المعايير العالمية، والتي يبلغ عددها ٣١ معياراً، وللاطلاع على هذه المعايير يمكنكم الدخول إلى الرابط التالي: http://e-marefa.net/arcif/criteria/

و كان معامل "**ارسيف Arcif** " لمجلتكم لسنة ٢٠١٩ **(لم ترصد أية استشهادات)**، و صنفت في تخصصها ضمن الفئة (الرابعة Q4).

و نأمل حصول مجلتكم على معامل تأثير متقدم في تقرير عام ٢٠٢٠.

و بإمكانكم الإعلان عن نجاحكم في الحصول على معايير اعتماد معامل "**ارسيف Arcif**" العالمية سواء على موقعكم الإلكتروني، أو على مواقع التواصل الاجتماعي، و كذلك الإشارة في النسخة الورقية لمجلتكم إلى معامل "**ارسيف Arcif**" الخاص بمجلتكم.

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام والتقدير

أ.د. سامي الخزندار
رئيس مبادرة معامل التأثير
" ارسيف Arcif"

+962 6 5548228 -9
+ 962 6 55 19 10 7
info@e-marefa.net
www.e-marefa.net
Amman - Jordan
2351 Amman, 11953 Jordan

التعريف بالمجلة

مجلة "تبيان" للدراسات القرآنية

مجلة (دورية – محكمة)، تعنى بنشر البحوث في مجال الدراسات القرآنية، تصدر أربع مرات سنوياً عن الجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه "تبيان"، صدر العدد الأول منها عام ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

الرؤية:

الريادة في نشر البحوث المحكمة في الدراسات القرآنية.

الرسالة:

نشر البحوث المحكمة في حقول الدراسات القرآنية من خلال معايير مهنية عالمية متميزة.

الأهداف:

١- إيجاد مرجعية علمية للباحثين في مجال الدراسات القرآنية.

٢- المحافظة على هوية الأمة والاعتزاز بقيمها من خلال نشر الأبحاث المحكمة التي تسهم بتطوير المجتمع وتقدمه.

٣- تلبية حاجة الباحثين محلياً وإقليمياً وعالمياً للنشر في مجال الدراسات القرآنية.

* * *

مجلة "تبيان" للدراسات القرآنية

المشرف العام

د. عبد الله بن حمود العماج

رئيس مجلس إدارة الجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه

الهيئة الاستشارية

١- أ.د.محمد بن عبد الرحمن الشايع
أستاذ القرآن وعلومه بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

٢- أ.د.علي بن سليمان العبيد
وكيل الرئيس العام لشؤون المسجد النبوي

٣- أ.د.فهد بن عبد الرحمن الرومي
أستاذ الدراسات القرآنية بجامعة الملك سعود بالرياض

٤- أ.د.إبراهيم بن سعيد الدوسري
رئيس قسم القرآن وعلومه بجامعة الإمام وأستاذ كرسي الملك عبدالله ابن عبدالعزيز للقرآن الكريم بجامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية

٥- أ.د.أحمد سعد محمد محمد الخطيب
عميد كلية الدراسات الإسلامية والعربية - جامعة الأزهر - مصر

٦- أ.د. ذو الكفل ابن الحاج محمد يوسف ابن الحاج إسماعيل
عميد أكاديمية الدراسات الإسلامية بجامعة مالايا بماليزيا

٧- أ.د. طيار آلتي قولاج
رئيس مجلس الأمناء بجامعة إستنابول بتركيا

٨- أ.د.عبد الرزاق بن إسماعيل هرماس
استاذ التعليم العالي -كلية الأداب -جامعة ابن زهر -مملكة المغرب

٩- أ.د.غانم قدوري الحمد
الأستاذ بكلية التربية -جامعة تكريت- العراق

١٠- أ.د.زيد بن عمر العيص
المشرف على مركز بينات للدراسات القرآنية بالمملكة الأردنية

* * *

رئيس هيئة التحرير

أ.د.عبد الله بن عبد الرحمن الشثري
أستاذ القرآن وعلومه بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

***

أعضاء هيئة التحرير

١- أ.د.سالم بن غرم الله الزهراني
أستاذ القراءات بجامعة أم القرى

٢- أ.د.خالد بن سعد المطرفي
أساذ القرآن وعلومه بجامعة القصيم

٣- أ.د.عبد السلام بن صالح الجار الله
أستاذ الدراسات القرآنية بجامعة الملك سعود بالرياض

٤- أ.د.مشرف بن أحمد الزهراني
أستاذ الدراسات القرآنية بجامعة الأمير سطام بن عبدالعزيز

٥- أ.د.ناصر بن محمد المنيع
أستاذ الدراسات القرآنية بجامعة الملك سعود

٦- أ. د.حسين بن علي الحربي
أستاذ القرآن وعلومه بجامعة جازان

٧- د.ناصر بن محمد آل عشوان
أستاذ القرآن وعلومه المشارك بجامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية

***

مدير التحرير

د. فهد بن سعد القويفل

***

أمين التحرير

أ. عمار عادل سالم

* * *

شروط وإجراءات النشر

في مجلة (تبيان) للدراسات القرآنية

المواصفات العلمية والمنهجية:

- الأمانة العلمية.
- الأصالة والابتكار.
- سلامة الاتجاه.
- سلامة منهج البحث.
- مراعاة أصول البحث العلمي في الاقتباس والتوثيق، وسلامة اللغة، والإملاء، والطباعة.
- كتابة مقدمة تحتوي علىٰ: (موضوع البحث، ومشكلته، وحدوده، وأهدافه، ومنهجه، وإجراءاته، وخطة البحث، والدراسات السابقة – إن وجدت – وإضافته العلمية عليها).
- تقسيم متن البحث إلىٰ فصول ومباحث ومطالب، حسب ما يناسب طبيعة البحث موضوعه ومحتواه.
- كتابة خاتمة بخلاصة شاملة للبحث تتضمن أهم (النتائج) و(التوصيات).
- كتابة قائمة بمراجع البحث، وفق المواصفات الفنية المشار إليها لاحقًا.

شروط تسليم البحث:

- ألا يكون البحث قد سبق نشره.
- ألا يكون مستلاً من بحث أو رسالة نال بها الباحث درجة علمية، وفي حال كان كذلك يجب علىٰ الباحث أن يشير إلىٰ ذلك، وأن لا يكون سبق نشره، لتنظر هيئة التحرير مدىٰ الفائدة العلمية من نشره.
- **أن لا يزيد عدد الصفحات عن ٥٠ صفحة -كاملاً مع الملحقات- بعد التقيد بالمواصفات الفنية لطباعة البحث من حيث نوع الخط، وحجمه، والمسافات، والهوامش.**
- رفع البحث عبر البوابة الإلكترونية للمجلة نسخة إلكترونية من البحث بصيغة (Word)، ونسخة أخرىٰ بصيغة (BDF) بدون بيانات الباحث.

مرفقات البحث عند تسليمه:

- رفع ملف يشتمل علىٰ عنوان البحث والسيرة الذاتية.
- رفع ملف ملخص البحث باللغة العربية، لا يزيد عن (٢٠٠) كلمة، ويتضمن

العناصر التالية: (عنوان البحث، اسم الباحث ورتبته العلمية، موضوع البحث، وأهدافه، ومنهجه، وأهم النتائج، وأهم التوصيات). مع كلمات دالة (المفتاحية) معبرة بدقة عن موضوع البحث، والقضايا التي تناولها، بحيث لا يتجاوز عددها (٦) كلمات.

- رفع ملف ترجمة الملخص وعنوان الموضوع واسم الباحث ورتبته، والكلمات الدالة إلىٰ اللغة الإنجليزية، ويجب أن يعتمد الملخص المترجم من قبل مركز ترجمة متخصص.

إجراءات التحكيم:

- تنظر هيئة التحرير في مدىٰ تحقيق البحث لشروط النشر، فإن كان مطابقا للشروط حول للتحكيم.

معيار التقييم	الدرجة التامة	الدرجة الفعلية	جوانب الضعف
قيمة الموضوع العلمية	٢٥		
جدة الموضوع والإضافة العلمية	٢٥		
سلامة منهجية البحث	٢٥		
شخصية الباحث وحسن معالجته للموضوع	٢٥		
المجموع	١٠٠		

- تؤخذ النتيجة بمتوسط درجات أعضاء هيئة التحرير.
- يجتاز البحث القبول الأولي للعرض علىٰ المحكمين إذا تجاوز ٦٠٪.
- تُحكَّم البحوث من قبل محكمين اثنين علىٰ الأقل، برتبة علمية تساوي أو تزيد عن الباحث.
- تُحكَّم البحوث وفق المعايير التالية:

معيار التقييم	الدرجة التامة	الدرجة الفعلية	جوانب الضعف
العنوان: جودة الصياغة، مطابقة العنوان للمضمون	٥		
ملحقات البحث: ملخص، مقدمة، خاتمة، توصيات، قائمة مراجع. مع توفر العناصر الأساسية لكل منها.	٥		
الدراسات السابقة: وافية، وضوح العلاقة بالبحث، الإضافة العلمية محدد	٥		

معيار التقييم	الدرجة التامة	الدرجة الفعلية	جوانب الضعف
اللغة: النحو، الإملاء، الطباعة	٥		
المنهجية: الوضوح، السلامة، الالتزام، دقة الخطة، سلامة التوزيع	١٠		
الأسلوب: الجزالة، الإيجاز، الوضوح، الترابط	٢٠		
المضمون العلمي: المطابقة للعنوان والأهداف، السلامة العلمية، القوة، الإضافة العلمية ظاهرة وقيمة.	٢٠		
الإضافة العلمية: الأصالة، التجديد، الأهمية.	١٥		
المصادر: الأصالة، الحداثة، التنوع، الشمول	٥		
النتائج: مبنية على الموضوع، الشمول، الدقة	٥		
التوصيات: منبثقة عن الموضوع، الواقعية، الشمول	٥		
النتيجة	١٠٠		

- قرار التحكيم يعتمد على متوسط درجات المحكمين ويتضمن الاحتمالات التالية:
  - في حال اجتياز البحث درجة ٩٠٪ يعتبر البحث مقبولاً للنشر على حاله.
  - يحتاج لتعديل في حال حصول البحث على درجة ما بين ٦٠ ٪ – ٨٩ ٪.
  - مرفوض في حال حصول البحث على درجة أقل من ٦٠ ٪.
- في حال الحاجة للتعديل يعاد البحث مع التعديلات المطلوبة للباحث، ويقوم هو بدوره بالتعديل وإن بقي على رأيه يرد على ملاحظة المحكم بما يوضحه ويقويه.
- بعد أن يجري الباحث التعديل يعاد البحث للمحكم للحكم النهائي، ويتضمن الحكم أحد احتمالين:
  - مقبول للنشر في حال حصوله على ٩٠٪ فما فوق.
  - مرفوض في حال حصوله على ٨٩٪ فما دون.

شروط النشر:

- في حال قبول البحث للنشر تؤول كافة حقوق النشر للمجلة، ولا يجوز نشره في أي منفذ نشر آخر ورقياً أو إليكترونياً، دون إذن كتابي من رئيس هيئة تحرير المجلة، وللمجلة الحق في نشر البحث على موقع الجمعية وغيره من أوعية النشر الإلكتروني.

- ينشر البحث إلكترونيًا في موقع المجلة وفي المجلة نفسها حسب أولوية النشر، وهذه تعتمد علىٰ تاريخ قبول البحث، واعتبارات تحددها هيئة التحرير مثل تنوع الأبحاث في العدد الواحد.
- في حال قبول البحث للنشر يرسل للباحث قبول النشر، وعند رفض البحث للنشر يرسل له اعتذار عن النشر.
- يلزم الباحث بدفع تكاليف التقييم في الحالات التالية:
  - إذا ثبت عدم صدق الإقرار.
  - إذا أخل الباحث بالتعهد.
  - إذا سحب الباحث بحثه بعد التقييم.
  - إذا لم يلتزم بتسليم البحث بصيغته النهائية وفق شروط النشر المعتمدة في المجلة.
- يلتزم الباحث عند الموافق علىٰ نشره بتقديمة بالصيغة النهائية المشار إليها في المواصفات الفنية المعتمدة.

المواصفات الفنية للبحث:

- يستخدم خط (Traditional Arabic) للغة العربية بحجم (١٨) أبيض للمتن وأسود للعناوين، وبحجم (١٤) أبيض للحاشية والملخص.
- يستخدم خط (Times New Roman) للغة الإنجليزية بحجم (١١) أبيض للمتن وأسود للعناوين، وبحجم (١٠) أبيض للحاشية والمستخلص.
- **عدد صفحات البحث (٥٠)** صفحة (A4).
- تترك مسافة بداية كل فقرة لا تزيد علىٰ ١سم.
- المسافة بين السطور مفرد.
- الهوامش الصفحة من الأعلىٰ والأسفل واليسار ٢,٥سم ومن اليمين ٣,٥سم.
- الآيات القرآنية تكتب وفق المصحف الإلكتروني لمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بحجم ١٤ بلون عادي (غير مسوَّد).

طريقة التوثيق

توثيق الآيات:

- توثق الآيات في المتن عقب النص القرآني مباشرة بذكر السورة متبوعة بنقطتين ثم رقم الآية داخل حاصرتين، هكذا: [البقرة: ٢٥٥].

توثيق النصوص:

- يلحق النص المراد توثيقة داخل المتن برقم صغير علوي بعد علامة الترقيم.
- يربط بحاشية سفلية أسفل الصفحة بترقيم مستقل لكل صفحة، وتضبط الحواشي آليا لا يدويـًا.

أولا: عند ورود المصدر أول مرة وكذلك في قائمة المراجع في نهاية البحث.

عنوان الكتاب بخط غامق متبوعا بفاصلة، اسم العائلة متبوعا بفاصلة، ثم الاسم الأول والثاني وتاريخ وفاة المؤلف بين قوسين متبوعا بفاصلة، ثم الناشر متبوعا بفاصلة، ثم مكان النشر متبوعا بفاصلة، ثم رقم الطبعة متبوعا بفاصلة، ثم تاريخ النشر متبوعا بفاصلة، ثم الجزء والصفحة متبوعة بنقطة.

مثال:

الصحاح، الجوهري، إسماعيل بن حماد (١٢٠٥هـ)، تحقيق أحمد عبدالغفور عطا، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م، ٢/ ٤٦.

ثانيا: إذا ورد المرجع مرة ثانية

عنوان الكتاب بخط غامق متبوعـًا بفاصلة، اسم العائلة متبوعـًا بفاصلة، ثم الجزء والصفحة متبوعة بنقطة.

مثال:

الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، ٢/ ٤٦.

- **توثيق الحديث النبوية**: تتبع ذات الخطوات السابقة، ويضاف رقم الحديث، والحكم عليه.
- توثيق بحث في مجلة: يضاف لما سبق عنوان البحث بعد اسم المجلة بخط غامق، ثم رقم العدد.

❊ ❊ ❊

جميع المراسلات وطلبات الاشتراك باسم: رئيس هيئة التحرير

على النحو التالي: المملكة العربية السعودية – الرياض

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية –كلية أصول الدين – الجمعية العلمية

السعودية للقرآن الكريم وعلومه- مجلة "تبيان"للدراسات القرآنية

البريد الإلكتروني:

quranmag@gmail.com

الفيس بوك: www.facebook.com/Quranmag

تويتر: https: //twitter.com/quranmag1

هاتف المجلة: ٠١١٢٥٨٢٧٠٥(٩٦٦+)

هاتف وفاكس الجمعية: ٠١١٢٥٨٢٦٩٥(٩٦٦+)- ٠٥٤٦٦٦٧١٤١

موقع الجمعية

www.alquran.org.sa

❊ ❊ ❊

المحتويات

العنوان	الصفحة
افتتاحية العدد	١٧
رئيس هيئة تحرير المجلة (أ.د. عبدالله بن عبدالرحمن الشثري)	

البحوث

١. **إزالةُ الشَّكِّ والالْتباسِ العارِضَيْنِ لكثير مِنَ النَّاسِ في نقلِ {ألم أحسب الناس} لأبي زيد ابن القاضي (ت ١٠٨٢هـ)، دراسة وتحقيق**	٢١
د. يزيد بن محمد بن عبدالرحمن العمار	
٢. **التناسب بين القسم المتعدد وجوابه في القرآن الكريم**	٧٣
د . ناصر بن محمد بن ناصر آل عشوان	
٣. **استجلاء ملامح المنهج التيمي في التأليف من خلال مقدمة التفسير**	١٥٧
د. محمد بن راشد بن محمد البركة	
٤. **المصحف التوافقي – عرض ونقد لطريقة كتابته والغاية منه (لسلسلة مكاتيب سعيد النورسي)**	٢٤٣
د. عاصم بن عبد الله بن محمد آل حمد	
٥. **المظاهر الأسلوبية في سورة الإخلاص عند المفسرين**	٢٧٣
د. إيمان بنت عبد الله بن عمر العمودي	
ملخصات البحوث باللغة الإنجليزية.	٣٢١

مقدمة التحرير

بسم الله الرحمن الرحيم

حمداً لله وصلاةً وسلامًا علىٰ رسول الله وعلىٰ آله وأصحابه ومن والاه

أما بعد:

فإن من أعظم الأعمال التي يقوم بها المسلم عمومًا وطالب القرآن خصوصًا خدمة كتاب الله تعالىٰ، لأن القرآن الكريم حجة ثابته قائمة إلىٰ يوم الدين، في منهج الاعتقاد وميدان التشريع والعلم وسمو الأخلاق، بآياته الباهرة وهدايته الظاهرة وأسراره القاهرة تتجلىٰ في أنوار آياته الدعوة إلىٰ العمل والاتباع والتدبر ومسالك الهداية يومًا بعد يوم.

وخدمة القرآن الكريم يبادر إليها المسلم وينافس فيها طالب القرآن من عدة وجوه منها تفسيره وتعلمه وتعليمه ونشر هدايته والدعوة إلىٰ سبيله والاعتصام به كل ذلك في مرضاة الله، ولا يزال العلماء وطلبة العلم المختصون في الدراسات القرآنية ينهلون من معينه الصافي ومنبعه العذب الزلال، ويبحثون في أسراره ومعانيه وبيانه وهدايته يتناول فيها الباحث بما يفتح الله عليه من علم وفهم.

وبين يديك أيها القارئ المفضال هذا العدد (٣٥) من (مجلة تبيان للدراسات القرآنية) يتضمن عدداً من الأبحاث العلمية المحكمة في الدراسات القرآنية، وهي لسان ناطق بجهود باحثيها.

ومبدأ المجلة وإن تعددت مناحيه يرجع إلىٰ كلمتين ذواتي مدلول واسع وهي : (خدمة القرآن الكريم) وإبراز أسراره وإظهار هدايته ومعانيه، وهي تسير في أعمالها وفيما يُكتب فيها علىٰ خطىٰ ثابته، وخطه تتفق مع رسالتها وأهدافها، وتسعىٰ دوما إلىٰ تطوير أدائها والضبط في أعمالها، والدقة في تحكيم ما ينشر فيها من أبحاث علمية كما أن المجلة تهتم وتسعىٰ إلىٰ إبراز جهدها العلمي في هذا المجال، لتكون في متناول القارئ، وإلىٰ التميز في التنوع البحثي فيما ينشر فيها من علم القراءات وأساليب التفسير وعلوم القرآن.

والله الموفق للصواب وهو الهادي إلىٰ سواء الصراط.

رئيس هيئة تحرير مجلة تبيان للدراسات القرآنية

أ.د. عبدالله بن عبدالرحمن الشثري

البحوث

إزالةُ الشَّكِّ والالْتباس العارِضَيْن لكثير مِنَ النَّاس في نقل ﴿أَلَمْ أَحْسِبَ النَّاسُ﴾

تأليف

أبي زيد عبد الرحمن ابن أبي القاسم ابن محمد ابن القاضي

" المتوفى ١٠٨٢هـ "

دراسة وتحقيق:

د. يزيد بن محمد بن عبدالرحمن العمار

الأستاذ المساعد بكلية التربية

جامعة الملك سعود

ملخص البحث

في هذا البحث دراسة وتحقيقُ رسالةٍ مختصرة في علم القراءات للإمام العلامة أبي زيد ابن القاضي "ت١٠٨٢" جمع فيها بين علوم القراءات والرسم والضبط، وأوضح فيها مسألة النقل في فاتحة العنكبوت عن ورش خطًا متابعةً للفظ، وحشد في بيان ذلك نصوص الأئمة والنقول عنهم باختصار ووضوح في المادة العلمية وتميز في دقة النقل.

والإمام ابن القاضي من أعلام هذا الفن، ورسالته في هذا الباب توضح مسألة مهمة تفيد المختصين في القراءات ورسم المصحف.

واعتمدت في إخراج هذه الرسالة علىٰ أربع نسخ خطية، وجاء البحث في قسمين؛ دراسة عن المؤلِّف، وتحقيق نص المؤلَّف.

❊ ❊ ❊

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان علىٰ أشرف الخلق أجمعين؛ سيدنا محمد، وعلىٰ آله وصحبه ومن تبع سنته إلىٰ يوم الدين.

أما بعد:

فإن من أجل العلوم وأعظمها قدراً ما اتصل بكلام الله عز وجل، وشرف العلم يزيد بقدر اتصاله به؛ لأن شرف العلم من شرف المعلوم، ومن ثمّ تواردت الهمم علىٰ الاغتراف من هذا الشرف العظيم، «فترىٰ كل ذي فنٍّ منه يستمد، وعليه يعتمد»[1].

وقد كان لأسلاف هذه الأمة عناية بالتصنيف فيما يتصل بعلم القرآن الكريم من قراءاتٍ، وتفسيرٍ، وتجويدٍ، وألحقوا بذلك ما تعلق به من علوم؛ كعلم الضبط والرسم، وعلم عد آي المصحف الشريف، فترك أهل العلم بعدهم تركة عظيمة لا يزال طلاب العلم يأخذون بحظهم منها، وينهلون من معينها العذب.

وقد كان لعلماء المغرب في القرن الحادي عشر الهجري جهد ظاهر هناك ، فرحل إليهم الطلبة، وقصدوا أقطاب المدرسة المغربية الذين ذاع صيتهم، وعظمت مكانتهم حينها؛ لما قدموه من تصانيف منثورة ومنظومة، وما بذلوه في تدريس الطلبة وتعليمهم وإقرائهم، كما شهدت بذلك كتب التاريخ والسير.

ومن هؤلاء الأئمة الأعلام أبو زيد عبد الرحمن ابن القاضي، المتوفى سنة اثنتين وثمانين وألف من الهجرة النبوية، علىٰ صاحبها أفضل الصلاة والسلام.

فقد كان لهذا العلَم مشاركة في التأليف والتصنيف في مختلف الفنون القرآنية، وخاصة في علم القراءات، ورسم المصحف الشريف.

وقد يسر الله لي الوقوف علىٰ رسالة لطيفة لابن القاضي رحمه الله تعالىٰ، أوجز

(١) مقدمة السيوطي في الإتقان (١/ ٤).

فيها الحديث حول مسألة النقل في فاتحة العنكبوت خطأً كما يلفظ بها عند ورش، وبعد البحث والسؤال لم أقف علىٰ من أخرج هذه الرسالة اللطيفة، فعملت علىٰ تحقيقها وإخراجها.

خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة وقسمين وخاتمة وفهارس:

المقدمة، وفيها:

القسم الأول: الدراسة، وفيه مبحثان:

- المبحث الأول: ترجمة المؤلف ومكانته وشيوخه وتلاميذه ومؤلفاته ووفاته.
- المبحث الثاني: التعريف بالكتاب، ووصف النسخ ونماذج منها، ومنهج التحقيق.

القسم الثاني: تحقيق الكتاب

ثم الخاتمة، وفيها أبرز النتائج وأهم التوصيات.

ثم فهارس المصادر والمراجع والمواضيع.

أسأل الله الإخلاص في القول والعمل، كما أسأله الإعانة والتسديد والمغفرة، إنه ربي كريم قريب مجيب الدعاء.

❊ ❊ ❊

القسم الأول: الدراسة

المبحث الأول: ترجمة المؤلف[1]

- **اسمه ونسبه ومولده ونشأته:**

هو الإمام العلامة البحر: أبو زيد عبد الرحمن ابن القاسم بن محمد بن محمد بن القاضي المكناسي الفاسي المالكي، قال عن نفسه: «المكناسي، الفاسي المولد والمنشأ»[2]. وغالب أهل مكناسة معدودون في البربر آنذاك[3].

ولد سنة تسع وتسعين وتسع مائة، ودفعه والده إلىٰ أبي المحاسن يوسف بن محمد الفاسي[4]، فتربّىٰ في حجره، وأوكل رضاعه إلىٰ زوجة ابنه أحمد، ثم زوجة ابنه العربي بعد وفاة أخيه؛ لئلا يحتجب منه، فنشأ في بيت علم وعفاف وصيانة، وحفظ القرآن وتعلم القراءات وزادت عنايته به حتىٰ صار عالماً بالقراءات وطرقها ومذاهب أئمتها، ولذا كثرت الرواية عنه بالمغرب، فلا تجد أستاذاً إلا وهو من تلامذته أو من طلابهم[5].

---

(١) ترجم له كثير من المؤلفين والمحققين في مقدمات مصنفاته رحمه الله، وللمزيد حول ذلك ينظر:
- شجرة النور الزكية (١/ ٤٥١)
- ومعجم المؤلفين (٥/ ١٦٥)
- الأعلام (٣/ ٣٢٣).
- مقدمة الفجر الساطع بتحقيق: أحمد البوشيخي.
- قراءة الإمام نافع عند المغاربة (٤/ ٣٠٧).
- طبقات الحضيكي (١/ ٤٠١) وما بعدها.
- سلوة الأنفاس (٢/ ١٩٦).
- نشر المثاني (٢/ ١٩٥).

(٢) الإيضاح لما ينبهم عن الورىٰ في قراءة عالم القرىٰ ص٤٢.

(٣) نشر المثاني (٢/ ٩٥١)

(٤) هو: أبو المحاسن، يوسف بن محمد بن يوسف الفاسي الفهري، من بني الجد الفهريين، إمام الشاذلية في وقته. نشر المثاني (١/ ١١٩).

(٥) طبقات الحضيكي (١/ ٤٠١) ونشر المثاني (٢/ ١٩٥) والصفوة (١/ ٢٩١) واليواقيت الثمينة ص١٩١.

• **مكانته العلمية:**

تميز العلامة ابن القاضي في عصره وبين أقرانه بمكانة عالية، فقد عرف والده وآله بأولاد ابن أبي العافية، أو ببني القاضي، وهم آل علم وفضل وصلاح، فعرف بالتحقيق وقوة النظر، وبرع في التصنيف وقوة التأليف، مع ما ذكر عنه من الصلاح والديانة والأمانة، وقد وصفه عامة من ترجم له بالشيخ الأستاذ الفقيه المحدث الإمام، وغيرها من النعوت الدالة علىٰ علو كعبه ورسوخ قدمه في العلم، فقال عنه ابن مخلوف: «شيخ الشيوخ وعمدة أهل التحقيق والرسوخ إمام القراء وأستاذ العلماء»[(١)].

ووصفه الكتاني بقوله: «الشيخ الإمام، الفقيه المحدث الهمام، إمام القراء، وشيخ المغرب الشهير، وأستاذ الأساتيذ، العالم الكبير، الحافظ الحجة الحيسوبي»[(٢)].

وقال صاحب نشر المثاني: «كان أستاذاً مجوداً بركة هماماً، شيخ الجماعة في الإقراء بوقته، ومفرداً في تحقيقه ونعته، مقرئاً حافظاً، وحجة محققاً لافظاً»[(٣)].

ووصفه القادري بأنه «الأستاذ الأعظم» وقال عنه: «شيخ الجماعة في الإقراء بوقته، ومحققاً في فنه، ووحيد نعته»[(٤)].

• **شيوخه:**

أخذ ابن القاضي عن أعلام مدينة فاس وغيرهم مختلف العلوم، فأخذ علم القراءات عن جماعة؛ منهم:

- **والده أبو القاسم ابن محمد ابن القاضي** (ت: ١٠٢٢هـ) كان عالماً بالنحو،

(١) شجرة النور الزكية (١/ ٤٥١).
(٢) سلوة الأنفاس (٢/ ١٩٦).
(٣) نشر المثاني (٢/ ١٩٥)
(٤) التقاط الدرر (٢/ ١٨٨).

مشاركًا في الفقه والحساب، وعلوم القرآن والقراءات وغيرها، ينقل عنه في الفجر الساطع وفي غيره، في القراءات والنحو غيرها، وهو محل تبجيله وتقديره؛ حيث يصدر النقل عنه بقوله: "شيخنا" وَ "والدنا"[1].

- **أبو المحاسن، يوسف ابن محمد الفاسي**، حيث نشأ في بيته وتربىٰ عنده، صنف في سيرته وأخباره "ابتهاج القلوب بخبر الشيخ أبي المحاسن وشيخه المجذوب"[2].

- **الشيخ عبد الواحد ابن أحمد ابن عاشر** (١٠٤٠هـ) المصنف الحاذق العلم، مصنف فتح المنان، والإعلان بتكميل مورد الظمآن، وقد أخذ عنه ابن القاضي القراءات[3].

- **الشيخ محمد ابن يوسف التاملي** (١٠٤٨هت): الأستاذ المتقن الضابط، وهو عمدته في أسانيده في العشر الصغير عن نافع، وأجازه بها[4].

وقد تتلمذ علىٰ غير هؤلاء المذكورين وأفاد منهم، والمقصود بيان من ارتبطت ترجمة ابن القاضي بهم في كتب التاريخ والتراجم علىٰ وجه العموم.

- **تلاميذه:**

تبوأ ابن القاضي مكانة عالية في فنون القرآن الكريم، وعليه تدور عامة أسانيد المغرب، ورحل إليه الطلبة من كل مكان، وأخذ عنه الأعيان وغيرهم، فممن أخذ عنه:

- **مسعود بن محمد ابن جموع** (ت:١١٠٠هـ) العالم المقرئ الكامل، له مصنفات في الرسم؛ منها: شرحه علىٰ المورد وغيره، ينقل عن ابن القاضي ويصدر ذلك بقوله: "قال شيخنا" وأثبت ذلك عنه صاحب شجرة النور الزكية[5].

(١) ستأتي بعض الأمثلة علىٰ ذلك في هذا المصنف بإذن الله.
(٢) نشر المثاني (١/ ١٨١).
(٣) قراءة الإمام نافع (٤/ ٣٠٩).
(٤) الصفوة ص٢٤٤.
(٥) ترجمته في شجرة النور (١/ ٤٧٢).

- **أبو سالم عبد الله ابن محمد ابن أبي بكر العياشي السجلماسي** (ت:١٠٩٠هـ): الرحالة العالم المتفنن، أخذ عن أبي زيد ابن القاضي، ورحلته مشهورة في كتب التراجم[١].

- **أبو زيد عبد الرحمن ابن عبد القادر الفاسي** (ت: ١٠٩٦هـ) أخذ عنه القراءات، وتلا عليه ختمة بالقراءات السبع، والشاطبية والتفصيل لابن غازي، وهو عالم متفوق، وله تآليف مختلفة[٢].

- **أبو عبد الله محمد ابن محمد الإفراني** (ت:١٠٨١هـ) شيخ القراء بمصر، رحل إليه في فاس وأخذ عنه القراءات وقد أخذها عنه تلميذه الصفاقسي صاحب "غيث النفع"[٣].

- **مؤلفاته:**

لا يزال كثير من تراث الإمام العلامة ابن القاضي في خزائن المخطوطات، وما ظهر من مصنفاته يعطي دلالة علىٰ مكانته العلمية، فاختياراته والنقول عنه تملأ المصنفات في علوم القراءات ورسم المصحف والضبط، وقد حققت بعض رسائله ومصنفاته قريبًا، وسأشير إلىٰ شيء منها مع بيان ما حقق في هذا المسرد:

- **الفجر الساطع والضياء اللامع في شرح الدرر اللوامع في مقرأ الإمام نافع**، طبع بتحقيق د.أحمد البوشيخي.

- **المنحة والتقريب**، مطبوع بتحقيق د.كامل العنزي في مجلة تبيان للدراسات القرآنية.

- **بيان الخلاف والتشهير والاستحسان وما أغفله مورد الظمآن وما سكت عنه التنزيل ذو البرهان، وما جرىٰ به العمل من خلافيات الرسم في القرآن وربما خالف**

(١) شجرة النور (١/ ٤٥٤).
(٢) شجرة النور (٢/ ٤٥١) ونشر المثاني (٢/ ١٩٦).
(٣) غيث النفع ص٢٣.

العمل النص فخذ بيانه بأوضح برهان، مطبوع بتحقيق د.عبدالكريم بوغزالة.

- **الجامع المفيد لأحكام الضبط والرسم والقراءة والتجويد**، وهذا الكتاب والذي قبله من المؤلفات التي تتعلق بالكتاب الذي بين أيدينا؛ لتضمنهما أحكام الضبط والرسم.

- **أجوبة منظومة في أحكام الضبط والرسم**، لم أقف عليه.

- **إزالة الشك والالتباس العارضين لكثير من الناس في نقل آلم أحسب الناس** (وهو المصنف الذين يجري تحقيقه).

- **تصنيف في قراءة الإمام ابن كثير**، لم أقف عليه.

وليس القصد هنا حصر مؤلفاته، بل الإشارة إلىٰ وفرتها واشتمالها علىٰ فروع هذا الفن المتنوعة، كما ألف رحمه الله في غير ذلك من العلوم؛ كالحديث ، والتصوف، وغيرها[1].

- **وفاته:**

توفي الإمام ابن القاضي في فاس صبيحة يوم الأربعاء ودفن بها حادي عشر رمضان سنة اثنتين وثمانين وألف من الهجرة وكانت جنازته مشهودة، وحضرها خلق لا يحصون[2].

❊ ❊ ❊

(١) منها: رائد الفلاح بعوالي الأسانيد الصحاح "مخطوط"، وتقاييد في طبقات الصوفية.
(٢) نشر المثاني (٢/ ١٩٦) والتقاط الدرر (٢/ ١٨٨).

المبحث الثاني
التعريف بالكتاب، ووصف النسخ ونماذج منها، ومنهج التحقيق

- **التعريف بالكتاب:**

- اسم الكتاب:

اتفقت كلمة المترجمين على أن ابن القاضي رحمه الله له رسالة عنوانها: **إزالة الشك والالتباس، العارضين لكثير من الناس في نقل الم أحسب الناس.**

- سبب تأليف الكتاب:

وقد بين سبب تأليفه لها في مقدمتها بقوله: «فالمقصود بهذه الأوراق: إزالة الشك والالتباس[1]، العارضين لكثير من الناس في نقل ﴿ أَلَٓمٓۚ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ ﴾ العنكبوت فأقول: اجتمعت الأمة على نقل ﴿ أَلَٓمٓۚ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ ﴾ لورش[2] لفظاً من غير خلاف عند أهل الأداء قاطبة، فنقول: وكذلك ضبطه في الخط؛ فإنه تابع للفظ به، ومن قال غير هذا فليس له نظير في القرءان إذ لا يوجد ألف قطعي في الخط نقلي في اللفظ، وكفى بعدم النظير حجة، فذلك دليل على مخالفة المحجة، وفيه أيضاً مخالفة لنصوص أئمة هذا الشأن النقاد الجهابذة الفرسان، ومصادمتها من غير دليل ولا برهان، وليس الخبر كالعيان»[3].

- موضوع الكتاب:

يتناول المؤلف في هذه الرسالة رفع الإشكال الحاصل في ضبط قوله تعالى: ﴿أَلَٓمٓۚ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ ﴾ عند قراءتها بالنقل لورش، فتضبط بالنقل خطاً كذلك؛ لأن

(١) في نسخة تونس (الالباس).

(٢) هو: عثمان بن سعيد المصري، راوي نافع المدني.

(٣) الورقة الأولى من نسخ المخطوط.

الضبط فيه تابع للفظ به، حيث قرر ذلك بالقياس علىٰ النظائر، وبالأدلة والنصوص المنقولة عن أئمة أهل العلم.

- نسبة الكتاب إلىٰ المؤلف:

جاء التصريح بنسبته إليه في مبتدأ وخاتمة نسخ هذه الرسالة المخطوطة، كما أنه ينقل فيها عن والده، ويسميه باسمه، فيقول «والدنا القاضي...» أو «سمعت من والدنا القاضي...»[1].

وعامة من ذكر خبر هذه الرسالة في فهارس المخطوطات ينسبها إلىٰ ابن القاضي عليه رحمة الله[2].

- منهج المؤلف في رسالته:

وقد قسم العلامة ابن القاضي رحمه الله رسالته هذه إلىٰ فصول متوالية، جمع فيها بين القراءات والرسم والضبط، وأثبت فيها القول بالنقل في فاتحة العنكبوت عن ورش لفظًا، ونقل الإجماع علىٰ ذلك من غير خلاف، ثم قرر ثبوت النقل خطًا كذلك، وبين عدم اشتراط الحرف المنقول إليه أن يكون موجوداً في الخط، وعلل ذلك بمتابعة اللفظ، وعدم النظائر في القرآن، ووصف القائل بغيره بمخالفة نصوص أهل العلم ومصادمتها.

- مصادر المؤلف:

مضىٰ المؤلف في هذه الرسالة علىٰ طريقة المناقشة والتقرير بالدليل، وحشد النظائر والأمثلة، وأورد إعراب بعض الأبيات التي ينقل عنها في رسالته، وحشد في سبيل بيان ذلك نصوص كبار العلماء، فممن نقل عنهم[3]:

(١) في أكثر من موطن في هذا المصنف، وستأتي بعون الله.

(٢) من ذلك ما نص عليه في الإيضاح: «الاستحسان وما أغفله مورد الظمآن - للشيخ عبد الرحمن ابن القاضي» إيضاح المكنون ص٦٥.

(٣) سيأتي بيان تلك النقول في مواطنها بعون الله.

- **الداني (ت: ٤٤٤هـ)** وينقل عنه من المحكم.

- **أبو داود؛ سليمان ابن نجاح (ت: ٤٩٦هـ)** وينقل عنه من ذيل التنزيل.

- **أبو شامة المقدسي (ت: ٦٦٥هـ)** ينقل عنه من إبراز المعاني.

- **الجعبري (ت:٧٣٢هـ)** وينقل عنه من جميلة أرباب المراصد.

- **أبو إسحاق التجيبي (بداية القرن الثامن تقريبًا)** ولم يتبين لي اسم مصنفه الذي ينقل منه.

- **الحسن ابن علي المنبهي، وينقل عنه من كشف الغمام عن مرسوم خط الإمام.**

- **أبو عبد الله القيسي (ت:٨١٠هـ)** وينقل عنه من الميمونة الفريدة.

- **أبو كيل ميمون الفخار (ت:٨١٦ هـ)** وينقل عنه من الدرة الجلية.

- **الجادري (ت:٨٣٩هـ تقريبًا)** وينقل عنه من تقييداته في الرسم والضبط، ومن شرحه علىٰ منظومة القيسي (المفيدة)، ويظهر في هذا النقل حسن اختيار المصنف لمواطن النقل؛ لمعرفة الجادري بنظم شيخه القيسي الذي أورد ابن القاضي أبيات منظومته (الميمونة الفريد) في هذه الرسالة، رحمهم الله تعالىٰ.

- **أبو عبد الله التنسي (ت:٨٩٩هـ)** ينقل عنه من الطراز شرح ضبط الخراز.

- **وصف نسخ المخطوط:**

وقفت بحمد الله علىٰ أربع نسخ من مخطوطات هذه الرسالة اللطيفة للإمام ابن القاضي رحمه الله تعالىٰ، وهي:

- **أولا: نسخة المكتبة الوطنية بتونس:** محفوظة في المكتبة الوطنية بتونس، ضمن مجموع رقم: (٤١٩) وتقع في ثماني عشرة ورقة في كل ورقة صفحة واحدة، تبدأ من صفحة (٢٥٧) إلىٰ صفحة (٢٦٥) وعدد أسطرها سبعة عشر سطراً، وعدد كلمات السطر الواحد اثنتا عشرة كلمة تقريباً.

وهي مكتوبة بخط مقروء، وعليها تعقيبة في صفحاتها اليمنىٰ، والخطأ فيها قليل،

وفيها تصحيحات يسيرة، وليس عليها اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ.

ومطلعها: «بسم الله الرحمن الرحيم وصلىٰ الله علىٰ سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

قال شيخنا الأستاذ العارف المحقق الولي الصالح أبو زيد سيدي عبد الرحمن ابن القاضي أدام الله النفع به، آمين». وفي آخرها: «كملت بحمد الله وعونه».

وقد اعتمدت هذه النسخة أصلاً لقلة الخطأ فيها، وجودة النقل فيها عن المؤلف، ودقة التصويبات التي عليها، وأسميتها نسخة تونس، ولا يبعد أن يكون ناسخها من أهل العلم، والله أعلم.

- **ثانيًا: نسخة الخزانة الملكية الحسنية بالرباط**: محفوظة في الخزانة الملكية الحسنية بالرباط، ضمن مجموع رقم)١٣٤٧٢) وتقع في خمس أوراق، في كل ورقة صفحتان، تبدأ من صفحة (٧٠) وحتىٰ صفحة (٧٧) وفي كل صفحة اثنان وعشرون سطرا، في كل سطر خمس عشرة كلمة تقريبًا.

وفي أولها ومواطن القول فيها تزيين بالحمرة، وقد كتبت بخط مقروء، وعليها تعقيبة في صفحاتها اليمنىٰ، والخطأ فيها قليل وعليها تصحيحات وتعليقات، وفي آخرها مقابلة لم يتبين لي صاحبها، وناسخها سمىٰ نفسه بعبيد الله الوراق ابن عبد الرحمن، وأثبت تاريخ نسخها: ثاني عشر صفر سبع وثمانين ومائة وألف.

ومطلعها: «بسم الله الرحمن الرحيم وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا.

قال الشيخ الإمام العالم الأستاذ المحقق الولي الصالح أبو زيد سيدي عبد الرحمن ابن القاضي شيخ الجماعة إمام المغرب نفعنا الله به وبعلومه، آمين يا رب العالمين».

وفي آخرها: «انتهىٰ ما للشيخ الجماعة الإمام العلامة ابن القاضي رحمه الله علىٰ يد عبيد ربه الوراق ابن عبد الرحمن وفقه الله وأمنه من نوائب الملوان، والحمد

لله رب العالمين وصلىٰ الله علىٰ نبيه وآله، اللهم اعف للكاتب والكاسب والقارئ والناظر بعين الرضىٰ ولوالديه وأشياخه وأحبابه وجميع المسلمين، ثاني عشر صفر سبع وثمانين ومائة وألف، رزقنا الله خيره ووقانا ضيره، اللهم لا تحرمنا أجره، واجعله علما ينتفع به يا أرحم الراحمين يا رب العلمين وصلىٰ الله علىٰ جميع الأنبياء والمرسلين».

وقد أسميت هذه النسخة: النسخة الحسنية الأولىٰ.

- **ثالثـًا: نسخة تارودانت**: محفوظة في خزانة الإمام علي العامة بالمغرب/ تارودانت، ضمن مجموع رقم: (٧٨) وتقع في خمس أوراق، في كل ورقة صفحتان، تبدأ من صفحة (١٨٠) إلىٰ صفحة (١٨٥) وفي كل صفحة سبعة وعشرون سطراً، في كل سطر عشر كلمات تقريبا.

وقد كتبت بخط رديء مقروء، وعليها تعقيبة في صفحاتها اليمنىٰ، وفيها تصحيف وسقط وأخطاء واضحة، وليس عليها تصحيحات، وليس عليها اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ.

ومطلعها: «بسم الله الرحمن الرحيم وصلىٰ الله وسلم علىٰ سيدنا محمد وآله

قال شيخنا الأستاذ المحقق الأعرف العالم أبو زيد سيدنا عبد الرحمن ابن القاسم ابن القاضي أطال الله حياته، وأدام به النفع، آمين». وفي آخرها: «انتهىٰ والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ محمد نبيه وآله وصحبه وسلم تسليماً». وقد أسميت هذه النسخة: نسخة تارودانت.

- **رابعـًا: نسخة الحسنية**: محفوظة في الخزانة الملكية الحسنية بالرباط، ضمن مجموع رقم)٤٤٨١) وتقع في خمس أوراق، في كل ورقة صفحتان، تبدأ من صفحة (٣٤٩) وحتىٰ صفحة (٣٥٤) وفي كل صفحة اثنان وعشرون سطرا، في كل سطر اثنتا عشرة كلمة تقريبًا، وليس عليها اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ.

وفي أولها ومواطن القول فيها تزيين بالحمرة، وقد كتبت بخط مقروء؛ إلا أن

مصورتها غير واضحة، وعليها تعقيبة في صفحاتها اليمنىٰ، والخطأ فيها قليل وعليها تصحيحات وتعليقات، وفي آخرها مقابلة لم يتبين لي صاحبها، ويظهر أن هذه النسخة قوبلت علىٰ نسخة المؤلف، ثم قرئت عليه، وقوبلت علىٰ نسخته، وعلىٰ ما نقل عن الشيخ الجادري فيها، حيث كتب في موطن منها: «قف علىٰ هذا البياض هنا في الموضعين، كذلك هو عند المؤلف في مبيضته، وسألته عنه حين قراءتي عليه هذا ... المفيد، ومقابلتي معه ... كذلك هو عندي في التقييد الذي هو للإمام الجادري، والله سبحانه أعلم»[1].

ومطلعها: «بسم الله الرحمن الرحيم وصلىٰ الله علىٰ سيدنا ومولانا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليماً.

قال شيخنا الأستاذ المحقق المدقق الأعرف الولي الصالح أبو زيد سيدنا عبد الرحمن ابن القاسم ابن القاضي وصل الله بقاءه وأدام النفع به، آمين».

وفي آخرها: «انتهىٰ» ثم كتب: «بلغت المقابلة والتصحيح بحمد الله وحسن عونه».

وقد أسميت هذه النسخة: النسخة الحسنية.

١)) لوحة ٥ من المخطوط، وقد أثبت ذلك في تحقيق هذه الرسالة.

نماذج من النسخ الخطية

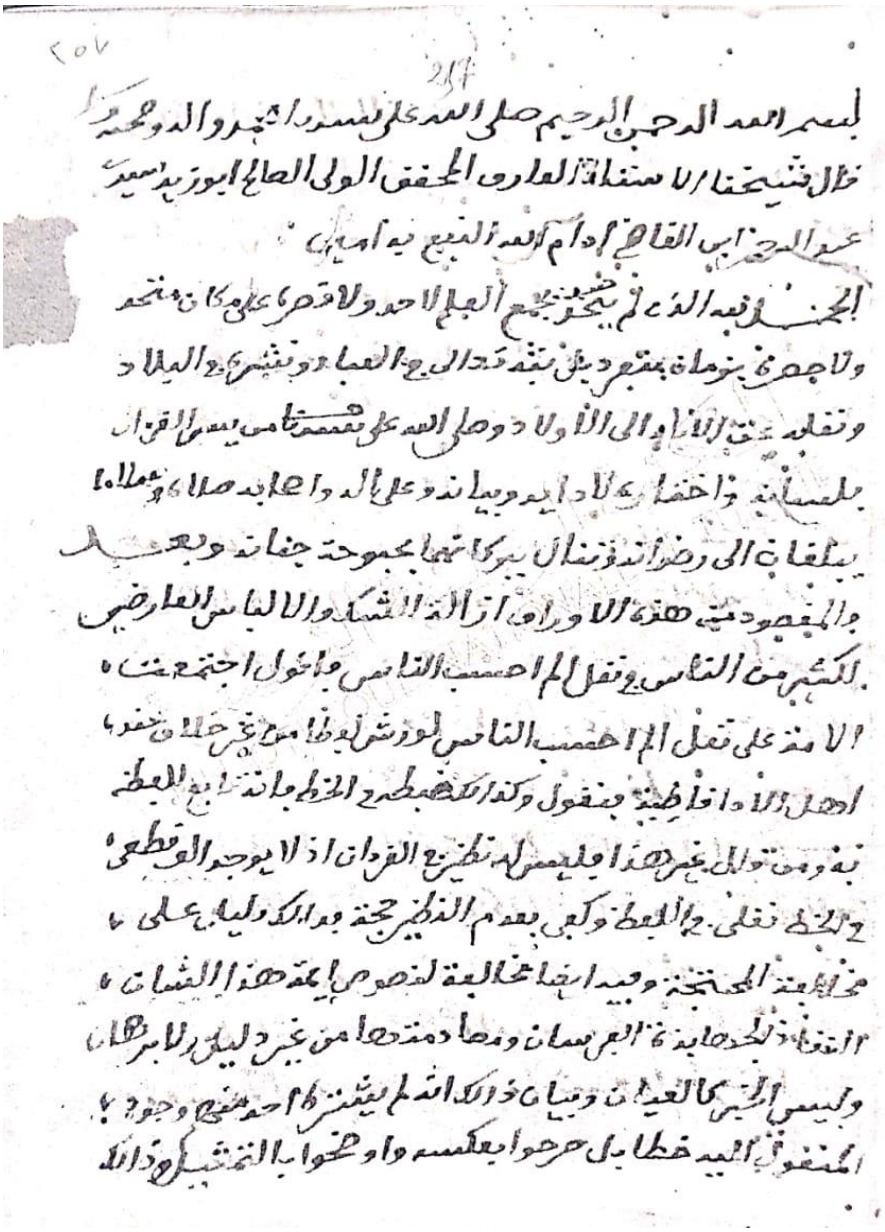

الورقة الأولىٰ من نسخة "تونس" الأصل

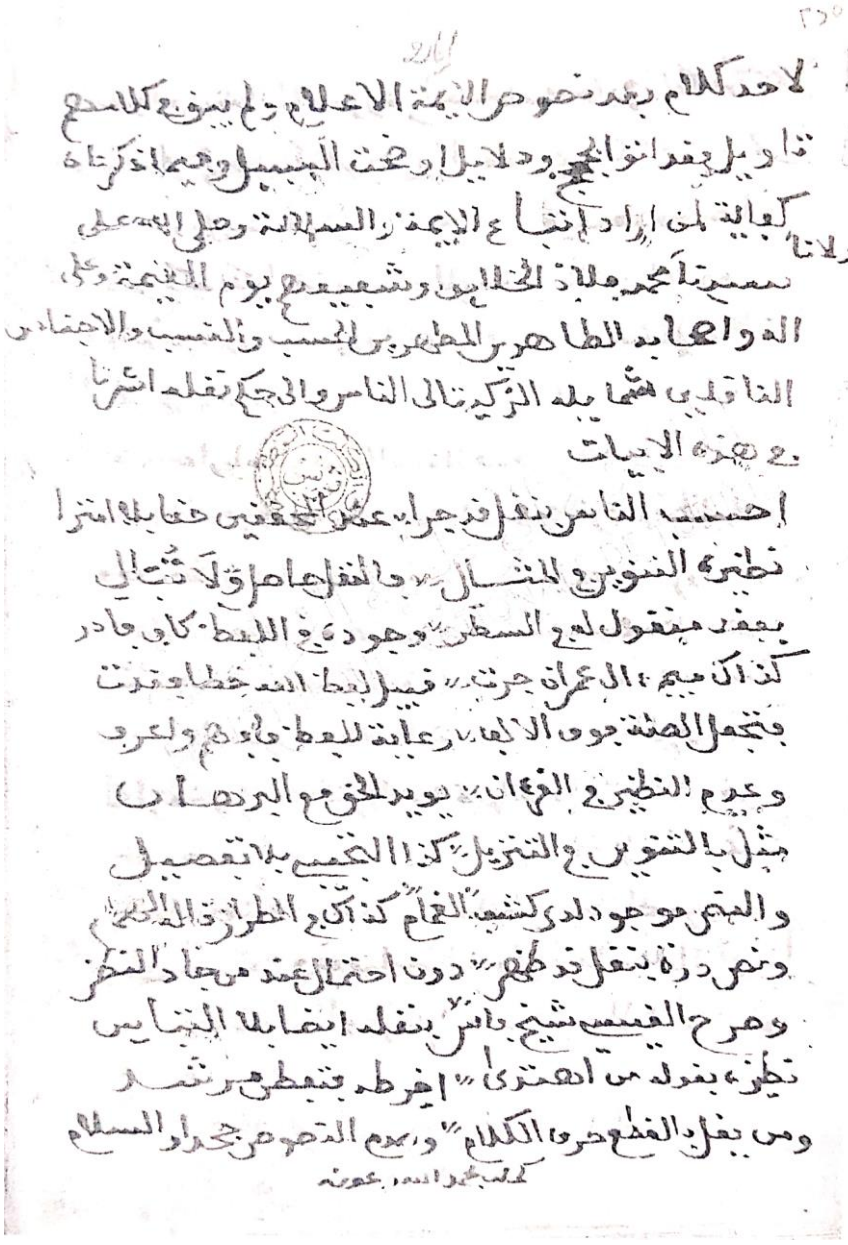

الورقة الأخيرة من نسخة تونس

الورقة الأولىٰ من نسخة الحسنية

الورقة الأخيرة من نسخة الحسنية

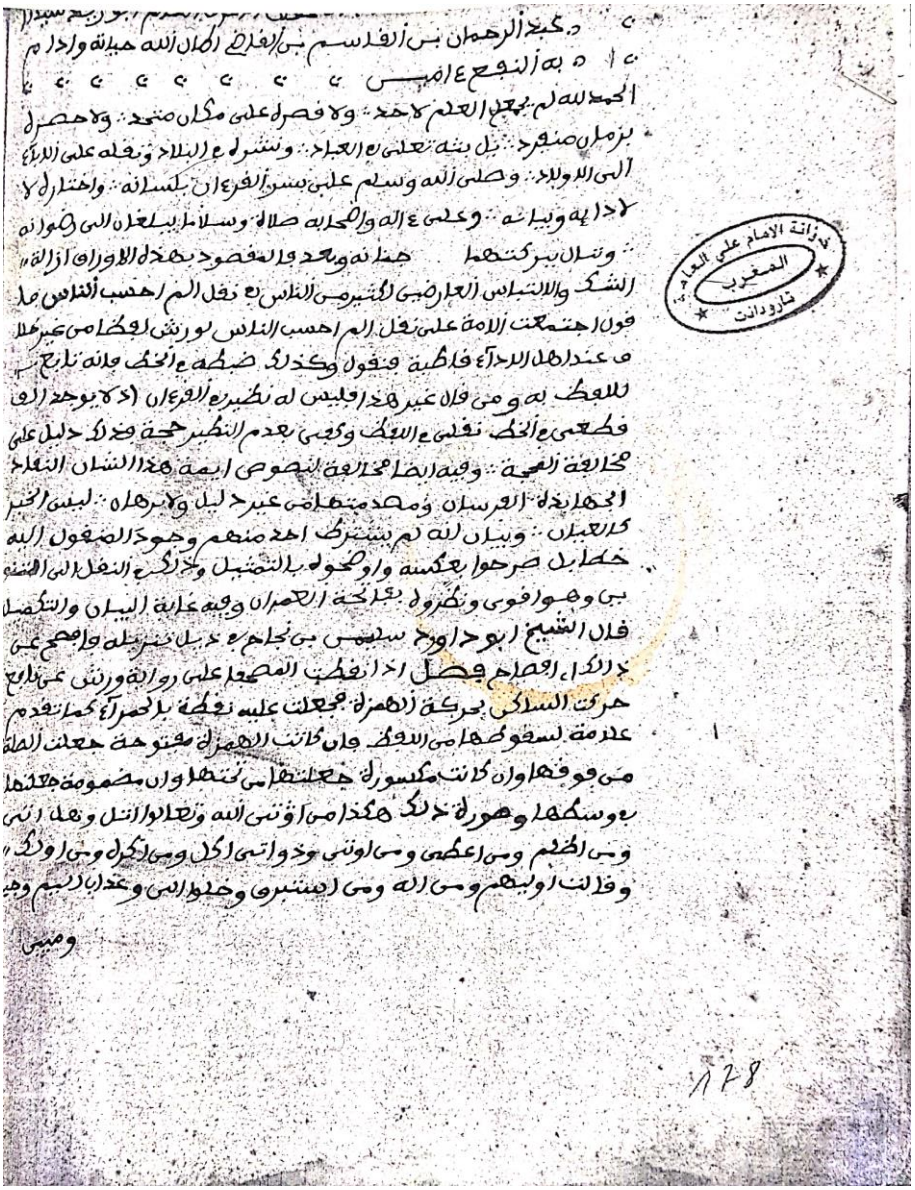

الورقة الأولىٰ من نسخة تارودانت

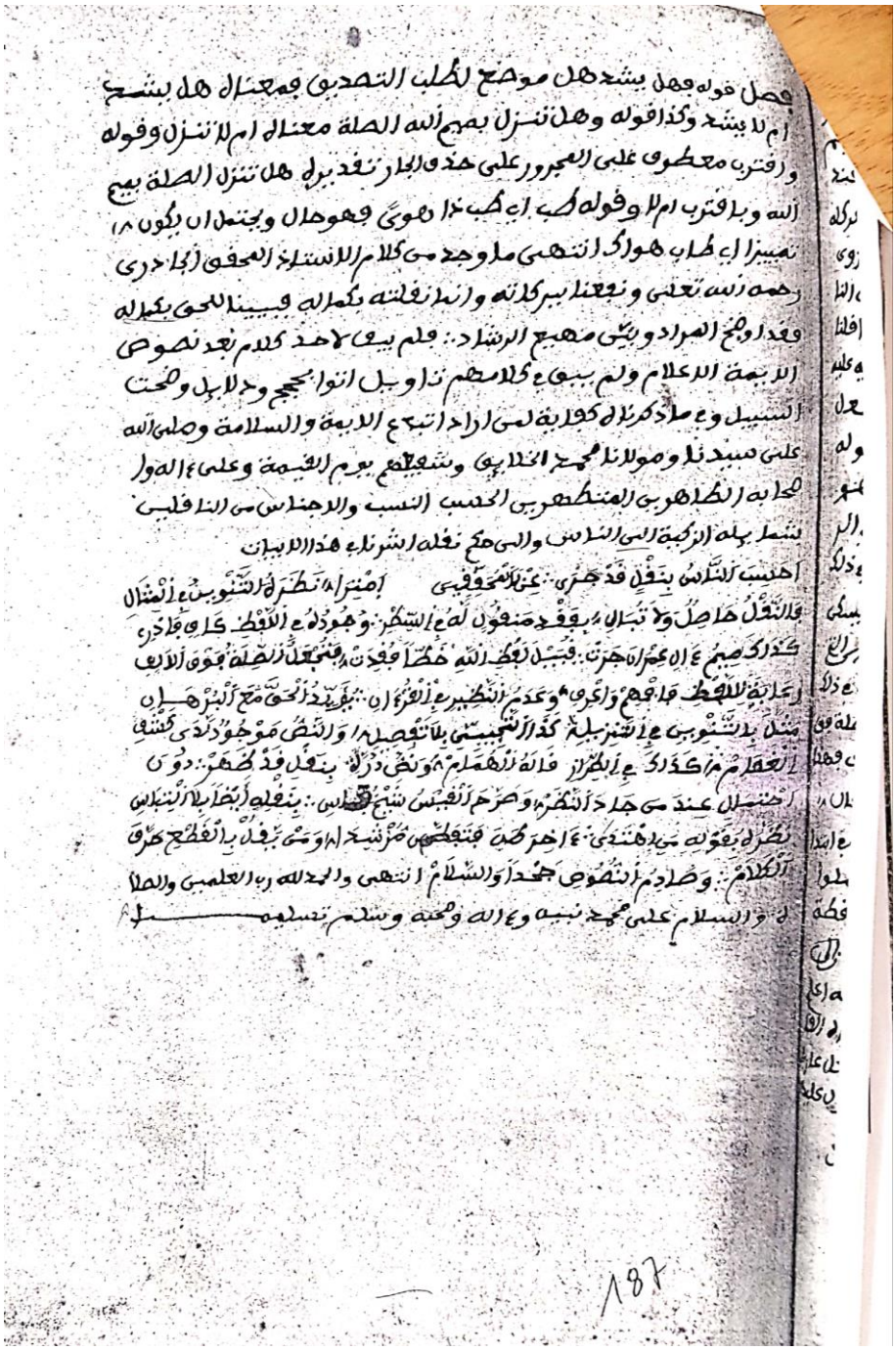

الورقة الأخيرة من نسخة تارودانت

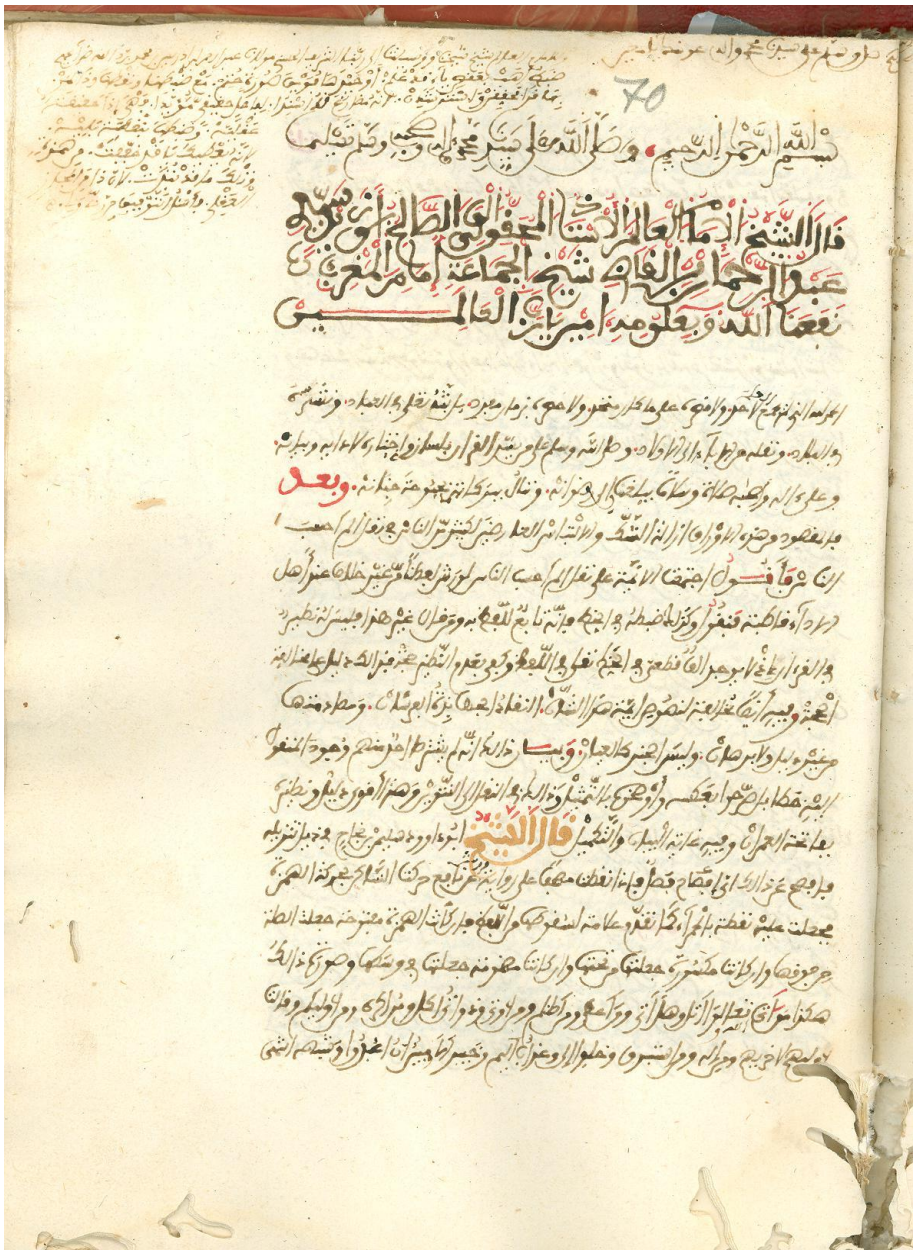

الورقة الأولىٰ من نسخة الحسنية الأولىٰ

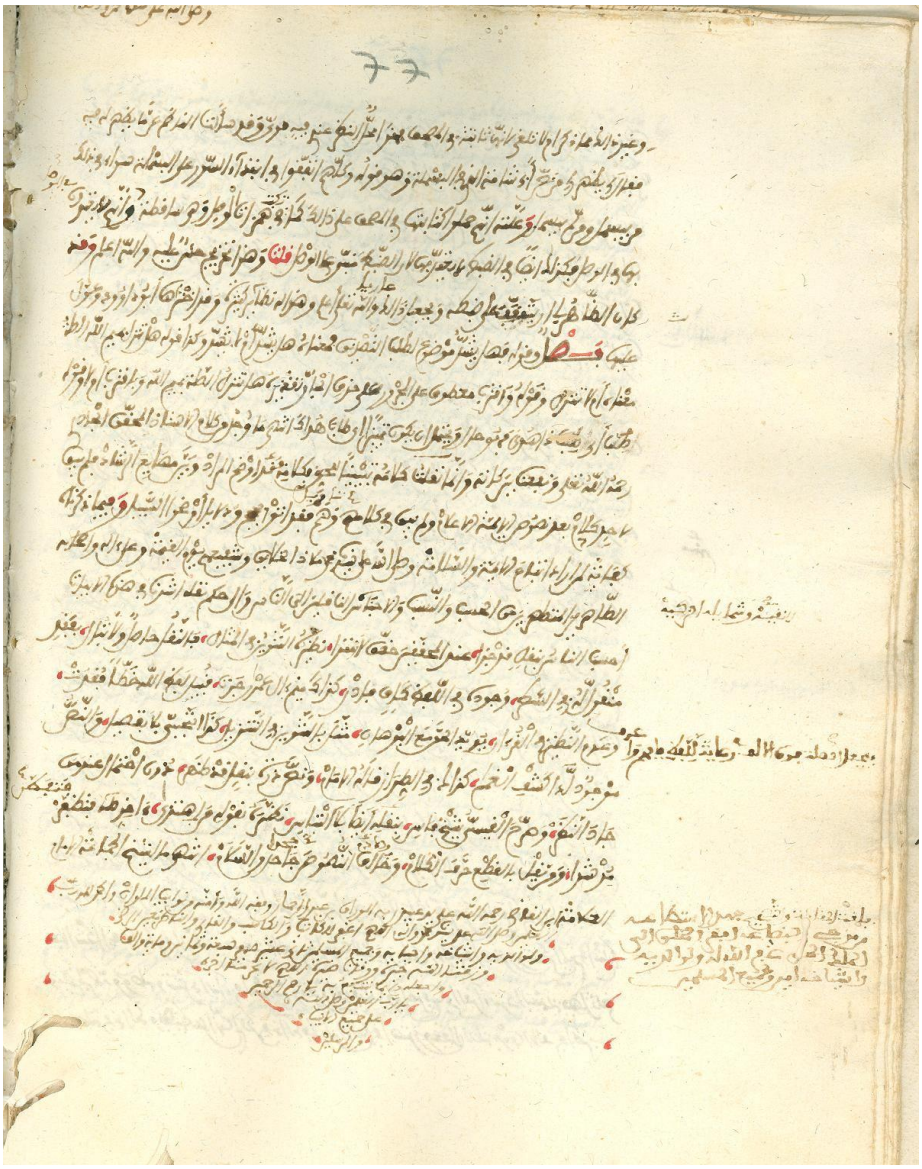

الورقة الأخيرة من نسخة الحسنية الأولىٰ

منهج التحقيق

اتبعت في تحقيق هذه الرسالة المنهج العلمي في تحقيق المخطوطات، وقمت بعمل ما يلي:

١- كتبت النسخة التي اعتمدتها أصلاً (وهي نسخة تونس) وفق قواعد الإملاء وأثبت علامات الترقيم، ثم قابلت عليها النسخ الأخرىٰ، وأثبت الفروق اللازمة في الهامش.

٢- ميزت ما أثبته من النسخ الأخرىٰ بجعله بين معقوفتين، وأشرت إلىٰ ذلك في الهامش.

٣- لا أشير إلىٰ الخلاف اليسير بين النسخ، ومالا تأثير له في مادتها العلمية؛ لئلا تزيد التعليقات علىٰ المتن، ومن ذلك:

- الأخطاء الإملائية في بعض النسخ.
- التقديم والتأخير الذي يظهر عدم تأثيره.
- ما كتب في هوامش النسخ مما لا علاقة له بنص المصنف.
- الزيادة أو السقط الحاصل من اجتهاد أو سهو الناسخ في ظاهره.

٤- كتبت الآيات القرآنية بالرسم العثماني وفق رواية ورش في مصحف المدينة النبوية الحاسوبي، وأشرت إلىٰ اسم السورة ورقم الآية في المتن.

٥- أورد اللفظ القرآني في الآية بلا نسبة إلىٰ قارئ بعينه، ولا استشهاد علىٰ ذلك؛ لئلا يطول بها البحث.

٦- أعرف بالأعلام غير المشهورين في أول موضع باختصار غير مخل، وتركت التعريف بالمشهورين؛ كالصحابة رضوان الله عليهم وأعلام التابعين والمؤلفين،

وكبار القراء المشهورين ورواتهم رحمهم الله جميعـًا، إلا من إشارة تبين المقصود.

٧- أوثق النصوص الواردة والنقول عن أهل العلم من مصادرها، قدر الإمكان؛ فإن تعذر ذلك اقتصرت علىٰ المصدر الأخير الذي أورد ذلك النقل.

٨- بينت المقصود من العبارات والألفاظ التي تحتاج إلىٰ بيان.

❊ ❊ ❊

القسم الثاني: النص المحقق

[(١)] الحمد لله الذي لم يجمع العلم لأحد، ولا قصره علىٰ مكان متحد ولا حصره بزمان منفرد، بل بثه تعالىٰ في العباد، ونشره في البلاد، ونقله عن الآباء إلىٰ الأولاد، وصلىٰ الله وسلم علىٰ من يسر القرآن بلسانه واختاره لأدائه وبيانه، وعلىٰ آله وأصحابه، صلاة وسلاماً يبلغان إلىٰ رضوانه، وننال ببركاتهما بحبوحة جنانه؛ وبعد:

فالمقصود بهذه الأوراق: إزالة الشك و[الالتباس][(٢)]، العارضين لكثير من الناس في نقل ﴿ أَلَمْ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ ﴾ فأقول:

اجتمعت الأمة علىٰ نقل ﴿ أَلَمْ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ ﴾ لورش لفظاً من غير خلاف عند أهل الأداء قاطبة، فنقول: وكذلك ضبطه في الخط[(٣)]؛ فإنه تابع للفظ به، ومن

(١) تقديم النساخ: « بسم الله الرحمن الرحيم وصلىٰ الله علىٰ سيدنا محمد وآله وصحبه و[سلم * تسليما]** .

قال شيخنا الأستاذ العارف المحقق الولي الصالح أبو زيد سيدي عبد الرحمن ابن القاضي أدام الله النفع به، آمين.

*وآله وصحبه وسلم: زيادة من تونس.

** زيادة من الحسنية.

والمثبت من تونس، وفي الحسنية: «الشيخ الإمام العالم الأستاذ المحقق الولي الصالح أبو زيد سيدي عبد الرحمن بن القاسم بن القاضي شيخ الجماعة إمام المغرب نفعنا الله به وبعلومه، آمين يا رب العالمين».

وفي تارودانت: «شيخنا الأستاذ المحقق الأعرف العالم أبوزيد سيدنا عبدالرحمن ابن القاسم».

(٢) في نسخة تونس (الالباس).

(٣) هذا هو المقصود من هذه الرسالة اللطيفة، وهو إثبات اتفاق النقل في الخط واللفظ في هذا الموضع، وعلة ذلك عنده: عدم وقوع النقل في اللفظ دون رسمها منقولة خطاً، وعلامته عند ورش: نقطة حمراء علىٰ الهمز؛ دلالة علىٰ سقوطها من اللفظ، وجعل الصلة فوقها للفتح، كما ثبت النقل عن ورش في ذلك، وهذه الحجة كافية لحسم الخلاف في هذه المسألة، ثم قرر بعد ذلك ثبوت الأدلة الأخرىٰ كما سيأتي، والخلاف المذكور فيها منسوب لورش في روايته عن الإمام نافع رحمهما الله.

قال غير هذا فليس له نظير في القرءان[1] إذ لا يوجد ألف قطعي في الخط نقلي في اللفظ، وكفىٰ بعدم النظير حجة، فذلك دليل علىٰ مخالفة المحجة، وفيه أيضاً مخالفة لنصوص أئمة هذا الشأن النقاد الجهابذة الفرسان، ومصادمتها من غير دليل ولا برهان، وليس الخبر كالعيان.

وبيان ذلك أنه لم يشترط أحد منهم وجود المنقول إليه[2] خطاً، بل صرحوا بعكسه وأوضحوه بالتمثيل، وذلك في النقل إلىٰ التنوين، وهو أقوىٰ دليل، ونظّروه بفاتحة آل عمران وفيه غاية البيان والتكميل، قال الشيخ أبو داوود سليمان ابن نجاح[3] في ذيل تنزيله[4] فأفصح عن ذلك أيّ إفصاح:

«فصل وإذا نقطت مصحفا علىٰ رواية ورش عن نافع[5] حركت الساكن بحركة الهمزة فجعلت عليه نقطة بالحمراء كما تقدم؛ علامة لسقوطه من اللفظ، فإن كانت الهمزة مفتوحة جعلت الصلة من فوقها، وإن كانت مكسورة جعلتها من تحتها، وإن كانت مضمومة جعلتها في وسطها[6]، وصورة ذلك هكذا: ﴿مَنَ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾ الشعراء: ٨٩ ﴿*قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ﴾ الأنعام:١٥١ ﴿هَلَ أَتَىٰ﴾ الإنسان:١ ﴿مَنَ أَعْطَىٰ﴾ الليل: ٥ ﴿*وَمَنَ أَظْلَمُ﴾ البقرة: ١١٤ ﴿مَنُ اوتِيَ﴾ الحاقة: ١٩

(١) لعل المراد (ومن قال غير هذا فيقال له ليس له نظير).

(٢) المقصود بالحرف المنقول إليه ما يكون لورش حال النقل، وهو الحرف الأول الساكن.

(٣) هو: سليمان بن نجاح أبي القاسم، أبو داود المقرئ، مولىٰ المؤيد بالله الأموي، ولد سنة ثلاث عشرة وأربعمائة، قرأ علىٰ الداني وأكثر عنه وهو أثبت الناس فيه، وروىٰ عن ابن عبد البر وغيره، نزل دانية وتوفي ببلنسية في رمضان سنة ست وتسعين وأربع مائة عن ثلاث وثمانين سنة. غاية النهاية (١/ ٣١٧) والوافي للصفدي (١٥/ ٢٦٦). وغيرها.

(٤) مصنف أبي داود (أصول الضبط وكيفيته علىٰ جهة الاختصار). وقد نقل ابن القاضي قوله بنصه من كتابه.

(٥) نافع المدني، أول القراء السبعة.

(٦) وقد ضبطت في مصحف ورش المطبوع كذلك.

﴿ذَوَاتَيۡ أُكُلٍ﴾ سبأ:١٦ ﴿مَنۡ أُكۡرِهَ﴾ النحل: ١٠٦ ﴿مِّنۡ أُوْلَٰٓئِكُمۡ﴾ القمر: ٤٣ ﴿*وَقَالَتۡ أُولَٰئِهِمۡ لِأُخۡرَىٰهُمۡ﴾ الأعراف:٣٩ ﴿ مِنۡ إِلَٰهٍ ﴾ آل عمران: ٦٢ ﴿مِنِ ٱسۡتَبۡرَقٖ ﴾ الرحمن:٥٤ ﴿ خَلَوۡاْ إِلَىٰ﴾ البقرة: ١٤ ﴿ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ البقرة: ١٠ ﴿خَبِيرٍ ۝١ أَلَّا ﴾ هود: ١ – ٢ ﴿ مُّبِينٌ ۝٢ أَنِ ٱعۡبُدُواْ﴾ نوح: ٢– ٣»[١] اهـ.

قلت: فهذا أدل دليل علىٰ عدم اشتراط الحرف المنقول إليه أن يكون موجوداً في الخط؛ لتمثيله بالكلم الثلاث من المنوّن[٢]، ولاجواب عن ذلك إذ لا فرق بينهما عند كل ذي رأي سديد، وأنصف الحق ولم يلتزم ربقة التقليد.

وفي قطعه أيضا علة أخرىٰ ومفسدة كبرىٰ وهي أعظم وأشنع وأبشع من هذا كله[٣]؛ وهي أنّا اختبرنا طلبة المغرب بأسرهم[٤]، إذ يرسمونه قطعياً فنقول لهم كيف يقرأه ورش؟ فيجيبون بأنه يقرأه قطعيا كما هو في الخط وهذا كما ترىٰ لا نظير له[٥]، وهو خرق للإجماع، وتحريف وتبديل للقرآن العزيز، فقائل ذلك لاتحل تلاوته ولا روايته، وتجب عليه التوبة من قولته؛ وإلا يدخل في آية آل عمران[٦]، نعوذ بالله من الخسران ونسأله الثبات علىٰ الإيمان، بجاه سيد ولد عدنان صلىٰ الله عليه وسلم آمين[٧].

(١) أصول الضبط وكيفيته علىٰ جهة الاختصار ص ٦٢.

(٢) الوارد ذكرها في النقل عن أبي داود.

(٣) في تونس: « أشنع وأشبع وأعظم من كل شيء».

(٤) لم أقف علىٰ مقصوده من هؤلاء الطلبة، ولعل ذلك حين جلس للتدريس هناك.

(٥) وهو خلاف قراءة ورش في الأصل، والمقصود به رسم الهمزة علىٰ القطع.

((٣ في هامش الحسنية: «قف علىٰ قوله رضي الله عنه: وإلا فداخل في آية آل عمران، ويعني بذاك قوله تعالىٰ: ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾.

(٧) في قوله: (بجاه سيد ولد عدنان): توسل بجاه نبينا محمد صلىٰ الله عليه وسلم، وقد نص علىٰ عدم مشروعيته شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره، وفي المسألة تفصيل ليس هذا محله، ينظر: مجموع الفتاوىٰ (٢/ ٤٢٢).

وأيضا قد جرىٰ العمل عند الناس قاطبة في ضبط ﴿ أَلَمَّ اللَّهُ ﴾ آل عمران: ١ – ٢ بجعل الصلة فوق ألف الوصل[١]، وما ذاك إلا لأنهم اعتبروا الحرف المفقود، وهذا لا مخالفة فيه عند الرئيس والمرؤوس من غير مرية بينهم، فهذا أيضا كما ترىٰ أدلُّ دليل علىٰ نقل ﴿ أَلَمَّ اَحَسِبَ النَّاسُ ﴾ [والألزم في الجميع، فأيُّ جواب عن هذا؟[٢]]

[والعجب أيضا من كونهم اعتبروا المفقود والموجود من غير دليل[٣]].

وكذلك صرح أبو إسحاق التجيبي[٤] في كلامه بعدم اشتراط الحرف المنقول إليه، فمثل بالتنوين كأبي داوود، ولا مرية أن ابن نجاح أعلم بكلام شيخه في محكمه من غيره[٥].

وقال صاحب كشف الغمام عن مرسوم خط الإمام[٦]:

«وأما الفصل الثاني وهو ما ينقل وما ينقل إليه؛ فما ينقل: حركة الهمزة، وما ينقل إليه: الساكن بشروطه المتقدمة، وسواء كان الساكن ثابت الصورة؛ نحو: ما مثلنا به[٧]، أو كان محذوف الصورة؛ نحو: التنوين في ﴿رَّحِيمٌ

(١) وهو الذي جرىٰ عليه العمل في رسم مصحف ورش المطبوع في مجمع الملك فهد بالمدينة النبوية.

(٢) غير واضحة في نسخ المخطوط، والأظهر ما أثبته فيها.

(٣) ساقطة من نسخة تونس.

(٤) هو: إبراهيم بن أحمد بن علي الجزري، أبو إسحاق التجيبي، له كتاب "التبيان" في رسم وضبط المصاحف، ينقل عنه ابن عاشر(١٠٤٠هـ) في فتح المنان، والقيسي وابن القاضي وصاحب كشف الغمام وغيرهم من علماء الرسم، والغالب أنه ينقل من كلام أبي داود بنصه، عاش آخر المائة السابعة وبداية الثامنة كما يظهر، ومات بعد الخراز كما تفيد النقول بذلك. رحم الله الجميع. ينظر مقدمة فتح المنان لابن عاشر. وقراءة الإمام نافع عند المغاربة د. عبدالهادي حميتو (٢/ ٥٢٠).

(٥) هو الداني، ونص كلامه في المحكم كما ذكر الإمام ابن القاضي رحمهم الله تعالىٰ، وقد نقله عنه أبو داود؛ ولذلك ذكره المصنف هنا.

(٦) هو: الحسن بن علي بن أبي بكر المنبهي الشهير بالشباني، مصنف كشف الغمام عن مرسوم خط الإمام، حققه د.حسن حميتو وفقه الله.

(٧) غير واضحة في تونس.

﴿ ءَأَشْفَقْتُمْ ﴾ المجادلة: ١٢ – ١٣ ﴿ أَخْتِلَٰقٌ ۝ ٱلْمُنزِلَ ﴾ ص: ٧ – ٨ ، ﴿ عَجِيبٌ ۝ ءَإِذَا ﴾ ق: ٢ – ٣ ، ﴿ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ ﴾ يونس:٢ والميم في ﴿ أَلَمَّ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ ﴾ علىٰ أن الميم الموجودة هي الميم الأولىٰ[١]، وما أشبه ذلك»[٢]اهـ.

قلت: فهذا أيضاً نص صريح من غير إشارة ولا تلويح في عين النازلة، والحمد لله علىٰ سوابغ نعمه الكاملة.

وقال في الطراز عند قول الخراز[٣] في عمدة البيان[٤]: «وحكمها لورشهم في النقل»إلخ.

«والمعتبر أيضًا فيما قبلها ما كان منطوقًا به، فإن نطق به مفتوحاً كانت فوق الألف؛ نحو:﴿ قَدْ أَفْلَحَ ﴾ و ﴿ أَلَمَّ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ ﴾»[٥].

فانظر أيضا كيف صرح رحمه الله بالنقل فيه.

وقال في موضع آخر:

«أكثر المتأخرين علىٰ أن الميم الثانية لما ذهبت صَحِبَتْها حركتها، وجوز بعضهم أن تكون الميم الثانية هي الموجودة، وهو غير صحيح؛ لأن رسم الأول في نحو كاف ولام يردّه»[٦]اهـ.

---

(١) يعني في لفظ حرف الميم (ميم) من الم، والمراد أن الثابت في الرسم هو الحرف الأول والنقل جار علىٰ الثاني في اللفظ، وهو مقصوده من قوله قبل ذلك: «أو كان محذوف الصورة».

(٢) كشف الغمام، تعذر الحصول عليه.

(٣) الطراز شرح التنسي علىٰ ضبط الخراز: وهو: أبو عبدالله محمد بن محمد بن إبراهيم الأموي الشريشي الشهير بالخراز، اختلف في تحديد سنة مولده ووفاته، والأقرب أنه عاش في آخر القرن السابع وأول الثامن، وتوفي قبل ٧١٨هـ تقريبا. ينظر: مقدمة الطراز.

(٤) عمدة البيان، هي منظومة الإمام الخراز في الضبط ثم زاد عليها «الذيل» ثم نظم المورد (مورد الظمآن) فغير الرسم الذي في العمدة بالمورد، وترك ما فيها من الضبط كما هو، فصار متصلا بالمورد. فهو عنوان تشترك فيه ثلاثة متون للخراز، يسمي الأول بعضهم: القديم، أو المهذب والمختصر.

(٥) الطراز ص٢٥٠.

(٦) الطراز ص٢١٨.

فقوله: «أكثر المتأخرين علىٰ أن الميم الثانية لما ذهبت صَحِبَتْها حركتها»[1][2].

أي: لا تجعل الجرة في موضعها، هذا هو مراده كما صرح به القيسي[3] وتلميذه الجادري[4] كما يأتي إن شاء الله، وإياك أن تتوهم غير هذا.

وأوائل السور اختلف فيها؛ هل كتبت علىٰ المعنىٰ أو علىٰ الاختصار؟

علىٰ قولين؛ قال بعضهم: «رسمها الصحابة علىٰ غاية الاختصار، واكتفوا منها بالحرف الأول»[5].

---

(١) في ذلك تنبيه علىٰ أن المثبتة في رسم المصحف هي الأولىٰ، وأن الحذف واقع علىٰ الثانية، فإذا حذفت لزم حذف حركتها.

(٢) القائل المشار إليه هو: الفقيه الحافظ أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن عبدالجليل الأموي التنسي، ولد قريباً من سنة ٨٢٢هـ أخذ عن عدد من علماء تلمسان كابن زاغو وابن النجار وابن مخلوف وله نقول عن أبي داوود وغيره رحم الله الجميع، وله مشاركة في عدد من الفنون كالفقه والحديث والشعر، وألف الطراز في شرح الضبط المذكور هنا وهو ضبط الإمام الخرا، توفي سنة ٨٩٩هـ. ينظر: الضوء اللامع (٨/ ١٢٠) ونفح الطيب (٢/ ٥٧٤) وقد أورد الدكتور أحمد شرشال ترجمته في مقدمة تحقيق كتاب الطراز.

(٣) هو: أبو عبد الله محمد بن سليمان بن موسىٰ القيسي الكفيف المحقق الأستاذ الحاذق النحرير، ولد قريبا من سنة ٧٣٠ هـ أخذ عن أبي عبد الله الصفار وهو أول شيوخه المعتبرين، وقد أخذ عن غيره، له نظم "الميمونة الفريدة" في الضبط، عاش أكثر من ثمانين سنة، توفي سنة ٨١٠هـ ودفن قرب قبة الخطار وترجمته شحيحة في المصادر ينظر: قراءة الإمام نافع (٢/ ٤٩٦).

(٤) هو: أبو زيد، عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن يوسف الفاسي، ويعرف بالجادري والجاديري والباخوري. فقيه، محدث، مؤقت، ولد بفاس سنة ٧٧٧هـ، ولي التوقيت بجامع القرويين، وأخذ عن الفخار والقيسي وغيرهم، قال عنه ابن القاضي: «الإمام العالم العلم الأستاذ المحقق الموفق». وله تآليف في فنون مختلفة، منها: شرح الدرر اللوامع في مقرأ نافع، وشرح مختصر الخاقانية، وشرح منظومة القيسي في الضبط وأسماه (المفيدة)، وروضة الأزهار في علم وقت الليل والنهار، وله شرح علىٰ البردة، وتوفي بفاس واختلف في سنة وفاته فقيل سنة ٨١٨هـ وقيل ٨٣٩هـ. معجم المؤلفين (٥/ ١٦٤) . نيل الابتهاج ص٢٥٤ و درة الحجال ترجمة ١٠١١ هدية العارفين (١/ ٥٤٧).

(٥) المعني بذلك: الرجراجي؛ لقوله: «لا تلحق حروف المد؛ لأن الصحابة رسموها علىٰ إرادة غاية الاختصار، فلو ألحقت فيها حروف المد لكان ذلك مخالفاً لغرض الصحابة رضوان الله عليهم». حلة الأعيان، ونقله عنه في الطراز.
وينظر: الجامع لأحكام القرآن (١/ ١٥٥) والبحر لأبي حيان (١/ ٥٦) والطراز ص١١٩.

وقال التنسي: «والذي عندي أن الصحابة رضي الله عنهم لم يرسموها علىٰ الاختصار؛ وإنما رسموها علىٰ المعنىٰ [لا علىٰ اللفظ فلم يحذف مها شيء البتة[١]»[٢] اهـ.

قلت: فانظر في قول التنسي: «إنما كتبت علىٰ المعنىٰ »][٣] كيفية ضبطها لم يذكره هو ولا غيره، فتردد فيها النظر[٤]؛ هل تضبط أو تبقىٰ عارية؟

مع أن الداني[٥] في المحكم[٦] صرح بضبطها، ونصه:

«وحروف التهجي التي في أوائل السور المختلف في قراءتها: لابد من نقطها، وكذلك الميم في ﴿ الٓمٓ ٱللَّهُ ﴾ في آل[٧] عمران»[٨] اهـ.

وإليه أشار القيسي في الميمونة بقوله:

والنقط عن عثمان[٩] في الفواتح كسائر الحروف هذا واضح[١٠]

(١) في نسخة تونس: "لا علىٰ اللفظ" وهو خطأ.

(٢) الطراز ص ١٢٣.

(٣) ساقط من نسخة تونس.

(٤) ساقطة من تارزدانت، والمثبت من تونس.

(٥) هو: عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد بن عمر الأموي، مولاهم القرطبي المالكي، الإمام العلم، المعروف بأبي عمرو الداني، لنزوله بدانية، ولد سنة إحدىٰ وسبعين وثلاث مائة، وهو أحد الأئمة في علم القرآن، له تآليف كثيرة، حسن الخط جيد الضبط، من أهل الحفظ والذكاء والتفنن، توفي بدانية، في شوال سنة أربع وأربعين وأربع مائة. معرفة القراء للذهبي ص٢٢٨.

(٦) مصنف الداني في نقط المصاحف.

(٧) في تونس (أوائل).

(٨) المحكم للداني ص٢٢٠.

(٩) المراد به: عثمان بن سعيد، أبو عمرو الداني. كما قدم قبل هذه الأبيات.

(١٠) الميمونة الفريدة، مخطوط لأبي عبدالله القيسي لم أقف عليه كاملاً.

وقد صرح بالنقل أيضًا أستاذ المغرب سيدي ميمون الفخار[١] في الدرة الجلية نظم فيها ضبط المقنع والمحكم والتنزيل والتجيبي وغيرها[٢]، ونظرها بفاتحة آل عمران ولا يشك أحد أنه أعلم الناس بفن القرآن[٣]، وكلامه في المسألة واضح لمن فهم المراد وغاب عن الجحد والعناد، قال رحمه الله ونفع به:

إن صح قبل الهمزة السكون لفظًا وخطا نقله مبين
إن لم ير خطا كذاك الشكل للفظ دون الخط هذا النقل
وذاك في الميم الذي من قبل أحسب الناس تدبر قول
كذا هجاء ميم آل عمران[٤] لا شكل إذ لا حرف عن برهان[٥]

وقد سمعت عن شيخنا ومفيدنا وسيدنا ووالدنا القاسم ابن القاضي[٦] رحمه الله أن تأليف سيدي ميمون هي مدونة هذا الفن، ولنشرح كلامه إن شاء الله لنزيده إيضاحًا وبيانًا، وتتقوىٰ حججه دلالةً وبرهانًا.

(١) هو: أبو وكيل، ميمون بن مساعد المصمودي، مقرئ من أهل فاس. كان مولىٰ لرجل يدعىٰ أبا عبد الله الفخار، أخذ عن أبي عبد الله القيسي الضرير شيخ الجماعة بفاس وأبي عبد الله الزيتوني وأبي عبد الله اللخمي شيخ الجماعة بفاس، وأقرأ في جامع القرويين بفاس، له تصانيف، منها: تحفة المنافع في أصل مقرأ الإمام نافع، والدرة الجلية في نقط المصاحف العلية، ونظم الرسالة في فقه المالكية، ونظم المقدمة الأجرومية في النحو، قال ابن القاضي عن تآليفه: "إن تآليف سيدي ميمون هي مدونة هذا الفن" توفي جوعًا في فاس سنة ٨١٦ هـ. سلوة الأنفاس (٢/ ١) والأعلام (٧/ ٣٤٢) ونيل الابتهاج ص٦١٤ وطبقات الحضيكي (٢/ ٣٨٧).

(٢) الدرة الجلية في رسم المصحف وضبطه. أو "الدرة الجلية في نقط المصاحف العلية" نظمها ميمون الفخار بعد أرجوزة شيخه القيسي "الميمونة الفريدة" وهي عمدة في بابها وقد نظم فيها ما في المقنع للداني، والتنزيل لأبي داود، ونظم التجيبي وغيرها، كما ذكر ذلك عنه ابن القاضي، وقد نظمها عام ٨١٠هـ.

(٣) غير واضحة في نسخ المخطوط، والأقرب ما أثبته.

(٤) في الطبعة المحققة للمتن: كذاك في هجاء ميم العمران. ص٣٥ بتحقيق: د.ياسر المزروعي.

(٥) الدرة الجلية في رسم المصحف وضبطه الأبيات من ٣١٢-٣١٥ ص٣٥.

(٦) هو: القاسم ابن القاضي، والد أبي زيد، وقد تقدمت ترجمته.

قوله:

إن صـــح قبـــل الهمـــزة الســـكون لفظـــا وخطـــا نقلـــه مبـــين

أخبر رحمه الله أنه إن وقع قبل الهمزة ساكن صحيح بشروطه المعهودة وكان ذلك الساكن موجوداً في [الحالتين: لفظا وخطًا؛ نقله مبين، أي: فإن النقل إلىٰ ذلك الساكن][1] جلي ظاهر بين، لا مرية فيه لأحد لا في اللفظ ولا في الخط، بمعنىٰ أنه يراعىٰ النقل، ويحكم به في اللفظ والخط جميعا من دون تأمل ولا برهان؛ لوجود المنقول إليه في العيان، فتجعل علىٰ الساكن المنقول إليه حركة النقل، فلا يشك فيه ذو عقل.

وإلىٰ هذا المعنىٰ ووضوحه وبيانه أشار رحمه الله بالبيت الأول وهو قوله:

إن صـــح قبـــل الهمـــزة ....

وأما إعرابه؛ فقوله: إن صح: شرط.

وقبل الهمزة: ظرف متعلق بفعل الشرط الذي هو صح، والسكون: فاعل صح.

والجملة شرطية لا محل لها، والجزم محكوم به لمحل الفعل وحده وهو صح كما هو [مقرر][2] في محله.

وقوله: نقله مبين جملة من مبتدأ وخبر، جواب الشرط الذي هو: إن صح، وحذف منها الفاء، علىٰ حد قوله: من يفعل الحسنات إلخ... ضرورة.

ولفظًا وخطًا: الأظهر فيهما نصبهما علىٰ نزع الخافض، ويجوز فيهما النصب علىٰ الحال من الضمير المستتر في مبين وذلك ظاهر.

ثم قال رحمه الله مشيرا الىٰ الحالة الثانية وهي ما إذا لم يكن المنقول اليه موجوداً خطًا:

إن لـــم يـــر خطـــا كـــذاك الشـــكل إلـــخ .....

(١) ساقطة من نسخة تونس، والمثبت من الحسنية.

(٢) في نسخة تارودانت: مقدر.

أي: إن لم ير المنقول إليه للعيان في الخط، بل كان مفقوداً فيه غير موجود، أي لا صورة له؛ وإنما هو موجود في اللفظ خاصة؛ لعدم كتبه، نحو: ﴿ أَلَمٓ ۚ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ﴾ و﴿مُّبِينٌ ۝ أَنِ ٱعْبُدُواْ﴾ نوح: ٢- ٣ و﴿رَّحِيمٌ ۝ ٱشْمَأْزَّتْ﴾ المجادلة: ١٢ – ١٣ ونحوها، فكذلك الشكل لا يرىٰ أيضا فيه.

أي: فكما انعدم المنقول إليه في الخط ولم يوجد إلا في اللفظ، فكذلك ينعدم الشكل المنقول في [الخط][1] أيضا ولا يوجد إلا في اللفظ.

[ثم قال: كذاك الشكل][2]، فأخبر رحمه الله أن النقل حاصل إلىٰ الحرف المعدوم خطًا بلا شك ولا مرية، وإنما خالف ما تقدم في أن الشكل المنقول لا يظهر في الخط؛ لفقد موضعه الذي يجعل فيه، أي: إن لم ير خطًا المنقول إليه؛ فكذلك حركة النقل لا ترىٰ خطًا فلا تجعل مثلا جرة حمراء أمام الميم الأولىٰ في موضع الثانية؛ هكذا: أَلَمٓ.

وهذا هو الذي جعله القيسي محل النظر؛ لا أنه جعل النظر في النقل وعدمه، فهذا لا يقوله أحد منهم؛ لأنه من فحول هذا الفن، وصاحب علم رشيد وعقل سديد حسبما شرح كلامه تلميذه الجادري لرجزه بحضرته مشافهة منه كما يأتي نقله بلفظه عنه إن شاء الله، فلم يبق للعقل مجالٌ، ولا في اللفظ إشكال، حيث شرح كلامه بنفسه وأضاع ليله البهيم في مجلس درسه، [والشكل في كلامه؛ المراد به: حركة الهمزة المنقولة.

قال الداني في المحكم][3]: «والشكل أصله التقييد، تقول: شكلت الكتاب شكلاً؛ أي: قيدته وضبطته، وشكلت الدابة شكالا، وشكلت الطائر شكولا، والشكل: الضرب المشابه[4].

(١) في نسخة تارودانت: اللفظ.

(٢) ساقطة من تونس.

(٣) ساقط من تونس.

(٤) ينظر معجم مقاييس اللغة مادة (شكل).

ومنه قوله تعال: ﴿ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴾ ص: ٥٨ أي: من ضربه. ومثله قول الرجل: ما أنت من شكلي، أي: من ضربي. والشكل: المثل، والشكل: الأمر اذا اشتبه، والقوم أشكال؛ أي: أشباه»[١] اهـ.

وإلىٰ هذا أشار شيخ الجماعة القيسي في الميمونة الفريدة بقوله:

والشـــكل يـــأتي ولـــه معـــانٍ ... في محكـم العـدل الإمـام الـداني

الضـــرب[٢] والتقييـــد ثـــم المثـــل ... والضبط هكذا يقول الأعدل اهـ

قوله: «للفظ دون الخط هذا النقل».

أخبر رحمه الله أن النقل في ﴿ أَلَمَّٓ ۚ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ ﴾ و ﴿ مُّبِينٌ ۝ أَنِ ٱعْبُدُواْ ﴾ نوح: ٢- ٣ ونحوهما لا يظهر له أثر في الضبط[٣]؛ لعدم الحرف المنقول إليه، فهذا النقل يظهر أثره في اللفظ، إذ لابد منه، وأما في الخط فلا يظهر له أثر؛ لعدم الحرف المنقول إليه، وعدم وضع حركة الهمزة في موضع المحذوف مبطوحة حمراء كما تقدم.

[فالنقل إذا][٤] حاصل في اللفظ لقرع اللسان له، بخلاف وضع علامته في الخط؛ فإنه لم يعرجوا عليه، هذا معنىٰ كلامه رحمه الله بدليل مانظَّره بعد من فاتحة آل عمران.

وأما إعراب البيت الثاني أيضا؛ فقوله: إن لم ير خطًا: شرط وفعله: ير، ودخلت عليه لم فجزمت لفظه، وعملت أداة الشرط في محله، علىٰ ما هو المقرر في محله.

وخطًا: الأقرب فيه: نصبه علىٰ الظرفية، والعامل فيه: فعل الشرط الذي قبله وهو ير.

(١) المحكم ص٢٢.

(٢) في تونس: الضبط، وهو خطأ.

(٣) في تونس: اللفظ، والأظهر أن الصواب ما أثبت.

(٤) زيادة من تونس

وقوله: كذاك الشكل، جملة من مبتدأ وخبر تقدم فيها الخبر علىٰ مبتدأه، وهي جواب الشرط، وحذف منها الفاء أيضا كما هو مقرر عند أهله.

وقوله: للفظ دون الخط إلخ: جملة من مبتدأ وخبر، قدم فيهما الخبر أيضا علىٰ مبتدئه.

وقوله: دون الخط: ظرف يتعلق به المجرور المجعول خبراً، ويحتمل أيضا الحالية.

وهذه الجملة من المبتدأ والخبر استئنافية استئنافاً [بيانيا][1]؛ فكأن قائلا قال له: أنت قد قلت: إن لم ير المنقول إليه خطاً فكذلك الشكل لا يرىٰ أيضا خطاً، فما هذا النقل؟

فأجاب بأنه للفظ لا للخط، وذلك ظاهر والله أعلم.

قوله:

وذاك في الميم الذي من قبل أحسب الناس .....

أخبر رحمه الله ومثل وبين وأوضح أن الموضع الذي وقع فيه هذا الحكم المشار إليه بالبيت الثاني هو ﴿ أَلَمٓ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ ﴾.

قوله: تدبر قولي. أي افهم ما قلته لك واحمله علىٰ نظائره من التنوين، وأشار بذلك رحمه الله إلىٰ قلة من يفهم مراده، فقال: تدبر قولي؛ أي تدبر ما قلته لك وتفطن له ولاتحمله علىٰ غير ما أردت وقصدت كما يعتقده من لا خبرة عنده.

ثم إنه أتىٰ [بدليلٍ؛ بأن نظره بحجة قوية][2] ظاهرة جلية لا يشك فيها أريب، ولا يحيد عنها كل مصيب؛ فقال: كذا هجاء ميم آل عمران.

أي: حكم هجاء ميم ﴿ أَلَمٓ ٱللَّهُ ﴾ كحكم ﴿ أَلَمٓ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ ﴾ فتجعل صلة

(١) زيادة من تارودانت

(٢) في تونس: "بدليل ثان نظره بحجة قوية".

همزة الوصل فوق الألف تابعة للمفقودة خطًا لا للموجودة، فلم تحصل المتابعة إلا في اللفظ كما أنه في ﴿ أَلٓمٓ ۚ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ ﴾ لم يحصل النقل إلا في اللفظ دون الخط، إذ لا وَضعَ خطا لحركة النقل علىٰ محل الساكن؛ فوقعت المتابعة للحرف الملفوظ به لا للمكتوب، فلو كانت تابعة رعايةً للخط لجعلت من أسفل؛ وهذا لم يقل به أحد، فيا عجبا كل العجب أي فرق بينهما حتىٰ جعلوا ﴿ ٱحَسِبَ ﴾ بقطع الهمزة؛ رعاية للرسم، وجعلوا صلة ألف الجلالة من فوق؛ رعاية للمعدوم، فهذا الحكم من غير دليل ولا برهان، فجزىٰ الله عنا خيراً من اتبع الحق بعد الوضوح والبيان، بل يلزم من قطع ﴿ٱحَسِبَ ﴾ أن يجعل الصلة أسفل الألف، ومن أبىٰ فقد خالف نصوصهم لأنهم نظروها بها.

قوله:

..... لا شكل إذ لا حرف عن برهان

[أخبر رحمه الله أنه لا حركة قبل همزة الوصل علىٰ حرفها في الخط تتبع إليها][1]، بل الحركة وحرفها معًا معدومان، وليس ثَمَّ حرفٌ مع حركته حتىٰ يتبع كما هو معهود وموجود في أكثر المواضع، بل اتبعت الصلة للفظ لا للخط كما تقدم في التنوين، فكذلك أيضا حكمها هنا، إذ التنوين يلفظ به وتتبعه الصلة، فكذلك في ﴿أَلٓمٓ ۚ ٱللَّهُ ﴾ آلا فرق، فهذا معنىٰ كلامه: لاشكل إذ لا حرف إلخ.

ثم أمرك بأنك تقول ما تقدم وتعلن به لأنك أتيت ببرهان قاطع ونور ساطع وضياء لامع فلا تعتبر من يقول بخلافه، فذاك حائد عن الصواب وأوصافه، وإنما أطلنا الكلام مع الإطناب قصداً لإزالة الشك والارتياب.

(١) زيادة من تارودانت.

وقد صرح أيضًا بنقله شيخ الجماعة بفاس[1] أبو عبدالله القيسي في أرجوزته المسماة بالميمونة الفريدة، نظم فيها ما للمقنع والتنزيل والتجيبي وغير ذلك، فقال:

والواو بعد النون من ياسينا فهل يشدد وبعد نونا

كذاك شكل الهمز من احسبا أين محله لدىٰ النقل اطلبا

وهل تنزل بميم الله الصلة اصغوا للذي قلناه

واقترب الذي أتىٰ بعد اهتدىٰ وذا كثير إن بحثت طب هدىٰ[2]

قال الإمام العالم العلم الأستاذ المحقق الموفق الجادري رحمه الله: «هذه المسائل الأربعة توقف فيها الناظم ولم يجب فيها بحكم؛ لعدم النص عليها، والذي يظهر فيها وما ارتضاه الناظم ما أذكره إن شاء الله.

فأما قوله تعالىٰ: ﴿ يَٰسٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ يس: ١ – ٢ ؛ و ﴿ نٓ وَٱلْقَلَمِ ﴾ القلم:١؛ فعلىٰ رواية الإظهار لا إشكال في تعرية الواو من الشد، وعلىٰ رواية الإدغام الظاهر أنه يشدد قولا واحداً، ولا يكون فيه الوجهان اللذان في إدغام النون في الواو والياء كما يأتي بعد في بابه؛ لعدم شرط الوجه الثاني، وهو تعرية الحرفين معا؛ النون من السكون، والواو من التشديد، وهنا [لا نون] يُعَرَّىٰ[3]، فقد بطل هذا الوجه الذي هو التعرية.

(١) بالسين المهملة، مدينة مشهورة كبيرة علىٰ برّ المغرب من بلاد البربر، وهي حاضرة البحر وأجلّ مدنه قال البكري: مدينة فاس مدينتان مفترقتان مسوّرتان؛ عدوة القرويّين وعدوة الأندلسيين، وهما في سفح جبل، تقع قرب جبال الأطلسي شمال غرب المغرب. معجم البلدان للحموي (٤/ ٢٣٠) الروض (ص٤٣٤) وموقع منظمة اليونسكو.

(٢) الميمونة الفريدة لأبي عبدالله القيسي، مخطوط.

(٣) زيادة من تونس.

وقال [لي][١] الناظم: «يحتمل أن يكون فيه الوجهان من طريقة أخرىٰ وذلك لأجل عدم النون المدغم، ويكون ذلك بالحمل علىٰ المد في أوائل السور؛ هل ينزل أم لا؟ فقلت له: ذلك يظهر لكنا وجدنا من نظائر هذا كثرة ولم يختلف في تشديده، وذلك نحو قوله تعالىٰ: ﴿ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ ﴾ هود: ١٤ ونحو ﴿ ٱلذِے ﴾ و﴿ٱلذِينَ ﴾ و ﴿ ٱلَّتِي ﴾ و﴿ ٱلَّيْلَ ﴾ و﴿مِّمَّا ﴾ و﴿ مِمَّ ﴾ و﴿ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلذِے نَعِدُهُمْ ﴾ وشبهه.

قلت: وينبغي أن يكون مثل هذه شد الميم من ﴿ أَلَمَّ ﴾ ومن ﴿ طَسَمَّ ﴾ وشبهه. قلت: ولكن يبقىٰ هنا خلاف آخر، وهو الذي نقلته عن الجعبري[٢] إنما يرد في حالة دون حالة، كالمنفصل؛ المشارقة علىٰ السكون، والمغاربة علىٰ التشديد»اهـ.

قلت: ويشير بهذا الكلام الأخير إلىٰ ما ذكره برهان الدين الجعبري في الجميلة[٣] لما ذكر علامة التشديد، قال:

«وهذا حكم المشدد في الحالين المتفق، وإن اختلف فيه فعلىٰ الخلاف، وإن اختص بالوصل فالمغاربة علىٰ العلامة والمشارقة علىٰ حذفها»[٤] اهـ.

أي: إذا كان الحرف المدغم متصلا في كلمة واحدة فلابد من وضع علامة التشديد، فإن كان مختلفاً فيه، فمن أدغم يضع العلامة ومن أظهر فلا، وما كان إدغامه خاصاً بالوصل كالمنفصل مثل الذي يصح عليه الوقف، فاختلف فيه؛

(١) زيادة من تونس.

(٢) هو: إبراهيم بن عمر بن إبراهيم، العالم المقرئ الأستاذ برهان الدين، أبو إسحاق الجعبري، ولد سنة ٦٤٠هـ له تصانيف وافرة في القراءات والرسم والعدد ونحوها، وقد أخذ عنه وأفاد من مؤلفاته خلق، توفىٰ سنة ٧٣٢هـ. معرفة القراء الكبار ص٣٩٧ والدرر الكامنة (١/ ٥٥).

(٣) جميلة أرباب المراصد في شرح عقيلة أتراب القصائد، شرح الجعبري علىٰ عقيلة الشاطبي.

(٤) جميلة أرباب المراصد (٧٥٨).

فمذهب المغاربة جعل علامة التشديد دلالة علىٰ إدغامه، والضبط مبني علىٰ الوصل، والمشارقة لا يجعلون علامة التشديد لكونه مظهراً في الوقف اعتباراً بهذه الحالة، والله أعلم.

ثم قال الإمام الجادري في تمام شرح الأبيات المتقدمة:

«وأما قوله تعالىٰ ﴿ أَلَمَّ اَحَسِبَ ٱلنَّاسُ ﴾ إذا ضبطناه برواية ورش فالظاهر أيضا أنه تنزل حركة الهمزة حال النقل في موضع الميم الثانية وتجعل جرة في موضع الهمزة علىٰ رأس الألف، ونظير هذه المسألة: النقل للتنوين؛ نحو قوله تعالىٰ: ﴿رَّحِيمٌ ۝ ءَاْبَقْتُمْ﴾ المجادلة:١٢ – ١٣.

فقد نص التجيبي علىٰ أن حركة الهمزة تجعل في موضع التنوين لكثرته ساقطاً في الخط فكذلك هذا ولافرق.

وقال لي الناظم أيضا: «يجوز أن يجري فيه الوجهان وهو أن تلقىٰ حركة الهمزة في موضع الحرف المعدوم أو لا تلقىٰ، ويكون أيضا بالحمل علىٰ المد في الفواتح، وفرق بين مسألة التنوين وهذه؛ بأن التنوين مع عدم النقل قد تجعل له دلالة أخرىٰ تدل عليه، وذلك حركة مثل حركة التابع لها، ولم يجعلوها هنا دلالة علىٰ الميم مع عدم النقل إما سكونا أو غيره، فلما خولف بينهما مع عدم النقل، كذلك يخالف أيضا مع النقل.

وقد يجاب عن هذا الفرق: بأن التنوين إنما جعلوا له دلالة في كل حالة من الإظهار والإدغام والإخفاء والنقل وغير ذلك؛ ليدلوا علىٰ أن في الكلمة تنويناً وأنها منصرفة؛ بخلاف أن لو لم يجعلوا لها دلالة في وقت مّا لما عُلِمَ أنه في الكلمة، وأنها منصرفة، فكان اعتناؤهم به قوياً.

وأما نحو ﴿ أَلَمَّ ﴾ من فواتح السور فمعلوم قطعا أن هذه الحروف كلها لا يلفظ إلا بمسمياتها وأنه إذا كان ذلك كذلك فبالضرورة يعلم إن كان الأصل أن يكتب الاسم كله في الخط فيكتب مثلا ميم ولام وألف، وإن لم يكتب منه الا

المسمىٰ فيقدر هناك ما بقي والله تعالىٰ أعلم[١].

وأما قوله تعالىٰ: ﴿ أَلَمَّ ٱللَّهُ ﴾ فالظاهر أيضًا أن تجعل الصلة في رأس الألف لأجل فتحة الميم الذي قبله وإن كان محذوفًا من الخط، ونظيره أيضا: التنوين في نحو: ﴿ مُّرِيبٍ ۝ ٱلَّذِى ﴾ ق: ٢٦-٢٥ و ﴿ حَكِيمٌ ۝ ٱلطَّلَـٰقُ ﴾ البقرة: ٢٢٨ – ٢٢٩ و ﴿ فَتِيلًا ۝ ٱنظُرْ ﴾ النساء: ٤٩ – ٥٠ وشبه ذلك، فإنهم كلهم اتفقوا علىٰ جعل الصلة في الألف مطلقًا، ولم ينص أحد علىٰ خلافه، مع أن التنوين محذوف من الخط، فلا فرق بينه وبين هذا، وهذا إذا قلنا إن الحركة التي علىٰ الميم إنما هي حركة التقاء الساكنين، وهو المشهور المنصور المعول عليه عند الأئمة، وإن قيل: إنها حركة النقل؛ فيجرىٰ مجرىٰ ﴿ أَلَمَّ ٱحَسِبَ ٱلنَّاسُ ﴾ فيما ذكر كله، ويكون النقل فيه للجماعة مثل النقل عند ورش في ﴿ أَلَمَّ ٱحَسِبَ ٱلنَّاسُ ﴾.

وما روي عن أبي بكر[٢] عن عاصم[٣] من قطع الألف من اسم الله وهمزه فمثل ﴿ أَلَمَّ ٱحَسِبَ ٱلنَّاسُ ﴾ عند غير ورش وانظر هل تجعل الحركة في ﴿ الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ ﴾ في موضع الميم الثانية إذا قلنا إنها حركة التقاء الساكنين أم لا ؟

فيه نظر؛ وسيأتي آخر الكتاب التنبيه عليه، وأما جعل الحركة علىٰ سائر الحروف الموجودة في الخط التي في الفواتح فتجعل عليها الحركات وسيأتي ذلك منصوصا آخر الكتاب إن شاء الله» ا.هـ.

وأما قوله تعالىٰ ﴿ وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴾ طه: ١٣٥ ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ ﴿ ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ ﴾ وما هو مثله؛ نحو: ﴿ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَـٰلَكُم ﴾ محمد: ٣٨ ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا ﴾ الفتح: ١ و﴿ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ

(١) علىٰ تقدير الجزء المرسوم من الحرف، وذلك لبيان سبب الإدغام.

(٢) هو: شعبة بن عياش أبو بكر الأسدي، راوي عاصم، اختلف في اسمه علىٰ أقوال؛ أصحها: شعبة.

(٣) هو: الإمام عاصم القارئ، أحد القراء السبعة.

﴿ وَٱفْتَرِبْ ﴾ العلق: ١٩ ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾ القدر: ١.

فمن أخذ من القراء في ذلك بالبسملة فلا إشكال في ذلك وأن الصلة تجعل تحت الألف في ﴿ ٱقْتَرَبَ ﴾ ويلحق الألف في: ﴿ ٱهْتَدَىٰ ﴾ ويسكن الميم في: ﴿أَمْثَٰلَكُمْ﴾ ويضم لمن ضمه ووصله، وتشد الباء في ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ﴾ وتعرىٰ التي قبلها[(١)].

ومن أخذ فيها من القراء بترك البسملة؛ فهل تلغىٰ البسملة في ذلك ويضبط علىٰ أنها لم تكن هناك فلا يلحق الألف في ﴿ ٱهْتَدَىٰ ﴾ وتجعل الصلة فوق الألف في ﴿ٱقْتَرَبَ ﴾ وغير ذلك مما ذكر أم لا تلغىٰ؛ لأنها ثابتة في المصحف؟ فهذا محل النظر عندي فيه قويّ.

وقد سألت الناظم عما يظهر له فيه؛ فقال لي:

«يظهر لي من نص أبي شامة [(٢)] الذي في البسملة، وهو قوله:

«وكلهم اتفقوا في ابتداء السور علىٰ البسملة سواء في ذلك من بسمل ومن لم يبسمل، وعلته: أنهم حملوا كتابتها في المصحف علىٰ ذلك كما تكتب همزات الوصل وهي ساقطة في الوصل» [(٣)].

مع أنهم لا يعتدون بها في الوصل فكذلك أيضا في الضبط لا يعتد بها، لأن الضبط مبني علىٰ الوصل[(٤)].

(١) لأن ما بعدها هو حرف الباء من "بسم الله" فلا نقل حينئذ.

(٢) هو: عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم بن عثمان أبو القاسم المقدسي المعروف بأبي شامة الشيخ، ولد سنة تسع وتسعين وخمسمائة، كثير التصانيف؛ شرح الشاطبية مطولا ولم يكمله ثم اختصره وهو الشرح المشهور، توفي في رمضان سنة خمس وستين وست مائة. غاية النهاية (١/ ٣٦٥).

(٣) إبراز المعاني لأبي شامة ص٦٨.

(٤) وفي هذا إشارة إلىٰ القول باعتبار البسملة كألفات الوصل، ومعاملتها عند الحذف كالإثبات؛ حتىٰ علىٰ قراءة تركها.

قلت: وهذا تخريج حسن[١] عليه، والله أعلم.

وقد كان الظاهر لي أن يتوقف علىٰ ضبطه، ويجعل ذلك عاريا فإذا رآه القارئ عاريًا سأل عنه الأستاذ فيُعرّفه حقيقة التلاوة فيه، ولِمَ جُعِلَ عاريًا والله تعالىٰ أعلم.

وهذا له نظائر كثيرة وقد اختارها أبو داوود[٢] وعول عليها.

فصل: وقوله «فهل يشد» هل: موضع لطلب التصديق، فمعناه: هل يشدد أم لا يشدد؟ وكذا قوله: وهل تنزل بميم الله الصلة معناه أم لا تنزل؟

وقوله: «واقترب» معطوف علىٰ المجرور علىٰ حذف الجار؛ تقديره: هل تنزل الصلة بميم **الله** وبـ **اقترب** أم لا؟

وقوله: «طب هوىٰ» أي: طب ذا هوىٰ، فهو حال، ويحتمل أن يكون تمييزاً؛ أي: طاب هواك.

انتهىٰ ما وُجد من كلام الأستاذ المحقق الجادري رحمه الله تعالىٰ ونفعنا ببركاته[٣].

وإنما نقلته بكماله؛ تبيينا للحق بكلامه فقد أوضح المراد، وبيّن مهيع الرشاد، فلم يبق لأحد كلام بعد نصوص الأئمة الأعلام، ولم يبق في كلامهم تأويل، فقد أتوا بحجج ودلائل وضحت السبيل، وفيما ذكرناه كفاية لمن أراد اتباع الأئمة والسلامة.

(١) في نسخة الحسنية: «قف علىٰ هذا البياض هنا في الموضعين، كذلك هو عند المؤلف في مبيضته، وسألته عنه حين قرائتي عليه هذا ... المفيد، ومقابلتي معه ... كذلك هو عندي في التقييد الذي هو للإمام الجادري، والله سبحانه أعلم».

(٢) هو سليمان بن نجاح، وغالب اختيارات القيسي لا تخرج عنها، كما ذكر ذلك عنه غير واحد، والله أعلم.

(٣) نقل ابن القاضي عن الإمام الجادري من كتابه ولم يسمه، وهو (المفيدة) ويظهر أنه وقف عليه؛ لقوله: «وجد من كلام الأستاذ المحقق...» ويظهر أيضاً أن الجادري لقي القيسي وسأله عن هذه المسائل وأجابه عنها مباشرة كما نص علىٰ ذلك صراحة، ويظهر أيضاً أن هذه النسخة قد قرئت علىٰ ابن القاضي وقوبلت علىٰ نسخته، وعلىٰ ما نقل عن تقييد الجادري كما هو مدون عليها، ولم أقف علىٰ هذا المصنف الذي ينقل منه، رحم الله الجميع.

وصلىٰ الله علىٰ سيدنا ومولانا محمد ملاذ الخلائق وشفيعهم يوم القيامة وعلىٰ آله وأصحابه الطاهرين المطهرين الحسب والنسب والأجناس، الناقلين شمائله الزكية إلىٰ الناس.

وإلىٰ حكم نقله أشرنا في هذه الأبيات:

أحسب الناس بنقل قد جرىٰ ... عند المحققين حقا لا امترا
نظيره التنوين في المثال ... فالنقل حاصل ولا تبال
بفقد منقول له في السطر ... وجوده في اللفظ كاف فادر
كذاك ميم آل عمران جرت ... قبيل لفظ الله خطاً فقدت
فتجعل الصلة فوق الألف ... رعاية للفظ فافهم واعرف
وعدم النظير في القرآن ... يؤيد الحق مع البرهان
مثل بالتنوين في التنزيل ... كذا التجيبي بلا تفصيل
والنص موجود لدىٰ كشف الغمام ... كذاك في الطراز قاله الهمام
ونص درة بنقل قد ظهر ... دون احتمال عند من جاد النظر
وصرح القيسي شيخ فاس ... بنقله أيضاً بلا التباس
نظره بقوله من اهتدىٰ ... آخر طه فتفطن مرشدا
ومن يقل بالقطع حرف الكلام ... وصادم النصوص جحداً والسلام [1]

كملت بحمد الله وعونه [2]

(١) في الحسنية: «بلغت المقابلة والتصحيح»

(٢) **في الحسنية:** «انتهىٰ ما للشيخ الجماعة الإمام العلامة ابن القاضي رحمه الله علىٰ يد عبيد ربه الوراق بن عبدالرحمن وفقه الله وأمنه من نوائب الملوان والحمد لله رب العالمين وصلىٰ الله علىٰ نبيه وآله، اللهم اعف للكاتب والكاسب والقارئ والناظر بعين الرضىٰ ولوالديه وأشياخه وأحبابه وجميع المسلمين، ثاني عشر صفر سبع وثمانين ومائة وألف، رزقنا الله خيره ووقانا ضيره، اللهم لا تحرمنا أجره، واجعله علما ينتفع به يا أرحم الراحمين يا رب العلمين وصلىٰ الله علىٰ جميع الأنبياء والمرسلين.

وفي نسخة تارودانت: «والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ محمد نبيه وآله وصحبه وسلم تسليماً.انتهىٰ علىٰ يد كاتبه».

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين، وسلم تسليمًا كثيراً إلىٰ يوم الدين، أما بعد:

فأخلص في خاتمة تحقيق هذا المؤلف إلىٰ أهم النتائج وأبرز التوصيات:

أبرز النتائج:

- رأي ابن القاضي في هذه المسألة موافق لما عليه المحققون من أهل العلم، كما بينه في رسالته وهو القول بموافقة اللفظ للخط في النقل لورش.
- ضعف القول بعدم النقل في الخط؛ وقلة من يقول به من أهل العلم المعتبرين.
- لم ينقل هذا القول عند المحققين من المصنفين في هذا الفن في القديم والحديث.

أهم التوصيات:

- ضرورة إخراج تراث هذا العَلَم وأمثاله من أهل التحقيق في هذا الفن، وإبراز جهودهم والإفادة منها.
- العناية بالتعليقات والحواشي والتقييدات المصنفة علىٰ كتب أهل العلم ومتونهم، ففيها إضافات واستدراكات عالية القيمة، وتحقيق المخطوط منها فيه مصلحة ظاهرة.
- ضرورة التعاون العلمي المنهجي بين مراكز البحوث والدراسات؛ لما في ذلك من حفظ الجهود، وتحقيق المصالح العلمية.

أسأل الله التوفيق والإعانة والتسديد، وأسأله الإخلاص في القول والعمل، إن ربي سميع مجيب الدعاء، والحمد لله رب العالمين، وصلىٰ الله وسلم علىٰ محمد.

المصادر والمراجع

١. إبراز المعاني من حرز الأماني، المؤلف: أبو شامة المقدسي (المتوفى: ٦٦٥هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية.

٢. الإتقان في علوم القرآن، المؤلف: جلال الدين السيوطي، المحقق: مركز الدراسات القرآنية، طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، الطبعة الثالثة: ١٤٣٢هـ.

٣. أصول الضبط وكيفيته على جهة الاختصار، المؤلف: سليمان بن نجاح أبو داود الأموي، تحقيق: د. أحمد شرشال، طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ١٤٢٧هـ.

٤. الأعلام، المؤلف: خير الدين ابن محمود الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ) الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر ٢٠٠٢ م.

٥. إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، المؤلف: إسماعيل الباباني (المتوفى: ١٣٩٩هـ) عنى بتصحيحه: محمد شرف الدين، والمعلم رفعت بيلكه الكليسى، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان.

٦. الإيضاح لما ينبهم عن الورى في قراءة عالم أم القرى، المؤلف: عبدالرحمن ابن القاضي، تحقيق: د. محمد بالوالي، مكتبة وجدة/ المغرب، الطبعة الأولى: ١٤٢٧هـ.

٧. البحر المحيط في التفسير، المؤلف: أبو حيان الأندلسي، المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر – بيروت.

٨. التقاط الدرر ومستفاد المواعظ والعبر من أخبار وأعيان المائة الحادية والثانية عشر، تأليف: محمد ابن الطيب القادري، تحقيق: هاشم ابن العلوي القاسمي، دار الآفاق الجديدة/ بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٠٣هـ.

٩. الجامع لأحكام القرآن، المؤلف: أبو عبد الله محمد ابن أحمد القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة.
١٠. جميلة أرباب المراصد في شرح عقيلة أتراب القصائد، تأليف: برهان الدين إبراهيم ابن عمر الجعبري، تحقيق: محمد خضر الزوبعي، دار الغوثاني للدراسات القرآنية، سوريا، الطبعة الأولىٰ/ ١٤٣٦هـ.
١١. الدرة الجلية في رسم وضبط المصاحف العثمانية، للعلامة ميمون الفخار (ت:٨١٦هـ) تحقيق: د. ياسر المزروعي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت الطبعة الأولىٰ ١٤٣١هـ.
١٢. درة الحجال في غرة أسماء الرجال أبو العباس أحمد ابن أبي العافية (ت: ١٠٢٥هـ) تحقيق: مصطفىٰ عطا. دار الكتب العلمية لبنان.
١٣. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، المؤلف: ابن حجر العسقلاني (المتوفىٰ: ٨٥٢هـ) المحقق: مراقبة / محمد عبد المعيد ضان، الناشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية – صيدر اباد/ الهند، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.
١٤. الروض المعطار في خبر الأقطار، المؤلف: أبو عبد الله الحِميرىٰ، المحقق: إحسان عباس، الناشر: مؤسسة ناصر للثقافة – بيروت، الطبعة الثانية: ١٩٨٠ م.
١٥. سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، تأليف: محمد ابن جعفر الكتاني، تحقيق: د. الشريف محمد الكتاني.
١٦. شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، المؤلف: محمد ابن محمد ابن مخلوف (المتوفىٰ: ١٣٦٠هـ) علق عليه: عبد المجيد خيالي، الناشر: دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢٤ هـ.

١٧. صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر، تأليف: محمد ابن الحاج ابن محمد ابن عبد الله الصغير الإفراني، تحقيق: د. عبدالمجيد خيالي. مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء/ المغرب. الطبعة الأولىٰ: ١٤٢٥هـ.

١٨. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، المؤلف: شمس الدين السخاوي (المتوفىٰ: ٩٠٢هـ) الناشر: منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت.

١٩. طبقات الحضيكي، المؤلف: محمد ابن أحمد الحضيكي، تحقيق: د. أحمد بومزكو، مطبعة النجاح، الدار البيضاء/ المغرب، الطبعة الأولىٰ: ١٤٢٧هـ.

٢٠. الطراز في شرح ضبط الخراز، المؤلف: أبو عبدالله التنسي، تحقيق: د. أحمد شرشال، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، الطبعة الثانية: ١٤٣٢هـ.

٢١. غاية النهاية في طبقات القراء، المؤلف: شمس الدين ابن الجزري، الناشر: مكتبة ابن تيمية، الطبعة: عني بنشره لأول مرة عام ١٣٥١هـ ج. برجستراسر.

٢٢. غيث النفع في القراءات السبع، المؤلف: علي ابن محمد ابن سالم، أبو الحسن النوري الصفاقسي المالكي (المتوفىٰ: ١١١٨هـ) الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، المحقق: أحمد محمود عبد السميع الشافعي الحفيان، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢٥ هـ.

٢٣. الفتاوىٰ الكبرىٰ لابن تيمية، المؤلف: شيخ الإسلام ابن تيمية الدمشقي (المتوفىٰ: ٧٢٨هـ) الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.

٢٤. فتح المنان المروي بمورد الظمآن في رسم القرآن، المؤلف: عبدالواحد ابن

عاشر، تحقيق: د. سلوىٰ الأشقر، الطبعة الأولىٰ: ١٤٣٦هـ.

٢٥. الفجر الساطع والضياء اللامع في شرح الدرر اللوامع، تأليف عبدالرحمن ابن القاضي، تحقيق: أحمد البوشيخي، الطبعة الأولىٰ: ١٤٢٨هـ.المطبعة الوطنية، مراكش.

٢٦. قراءة الإمام نافع عند المغاربة من رواية أبي سعيد ورش، المؤلف: د. عبد الهادي حميتو منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية، ١٤٢٤هـ.

٢٧. كشف الغمام عن مرسوم خط الإمام، المؤلف: الحسن ابن علي ابن أبي بكر المنبهي الشهير بالشباني، حققه د.حسن حميتو، مؤسسة دار الحديث الحسنية، ١٩٩١م.

٢٨. المحكم في نقط المصاحف، المؤلف: أبو عمرو الداني (المتوفىٰ: ٤٤٤هـ) المحقق: د. عزة حسن، الناشر: دار الفكر – دمشق الطبعة: الثانية، ١٤٠٧هـ.

٢٩. معجم البلدان، المؤلف: ياقوت الحموي (المتوفىٰ: ٦٢٦هـ) الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٩٥ م.

٣٠. معجم المؤلفين، المؤلف: عمر ابن رضا كحالة الدمشقي (المتوفىٰ: ١٤٠٨هـ) الناشر: مكتبة المثنىٰ - بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت.

٣١. معجم مقاييس اللغة، المؤلف: أحمد بن فارس (المتوفىٰ: ٣٩٥هـ) المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٣٢. معرفة القراء الكبار علىٰ الطبقات والأعصار، المؤلف: شمس الدين الذهبي (المتوفىٰ: ٧٤٨هـ) الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولىٰ ١٤١٧ هـ- ١٩٩٧م.

٣٣. نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، تأليف: محمد ابن الطيب القادري، تحقيق: محمد حجي، وأحمد التوفيق. دار المغرب.
٣٤. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب، المؤلف: شهاب الدين المقري التلمساني (المتوفى: ١٠٤١هـ) المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر/ بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٩٦٨.
٣٥. نيل الابتهاج بتطريز الديباج للتنبكي، (ت:١٠٣٦) تقديم: أ.د. حماه الله ولد السالم/ موريتانيا، دار الكتب العلمية، لبنان.
٣٦. هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، المؤلف: إسماعيل ابن محمد أمين الباباني (المتوفى: ١٣٩٩هـ) الناشر: طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية استانبول ١٩٥١، أعادت طبعه بالأوفست: دار إحياء التراث العربي بيروت – لبنان.
٣٧. الوافي بالوفيات، المؤلف: صلاح الدين الصفدي المحقق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، الناشر: دار إحياء التراث – بيروت: ١٤٢٠هـ.
٣٨. اليواقيت الثمينة في أعيان مذهب أهل المدينة، تأليف: محمد البشير ظافر الأزهري، مطبعة الملاجئ العباسية، مصر، الطبعة الأولى: ١٣٢٤هـ.

المراجع الالكترونية:

- موقع منظمة اليونسكو للتراث الثقافي العالمي.

❊ ❊ ❊

التناسب بين القسم المتعدد وجوابه في القرآن الكريم

إعداد

د . ناصر بن محمد بن ناصر آل عشوان

الأستاذ المشارك بقسم القرآن وعلومه

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

ملخص البحث

التناسب بين آيات القرآن وسوره أحد وجوه الإعجاز البياني للقرآن الكريم، ومن ذلك التناسب بين القسم وجوابه، وقد درج كثير من المفسرين علىٰ تعليل القسم: بأنه يحمل دلالة علىٰ عظمة المقسم به أو أهميته، دون الالتفات إلىٰ وجه تخصيص هذا المقسم به في موضع دون آخر، ودون النظر إلىٰ علاقة المقسم به بالمقسم عليه.

ويحاول هذا البحث الكشف عن وجوه المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه، وإثبات وجود صلة قوية بينهما، بحيث لو وضع مقسم به موضع الآخر؛ لاختل نظم الكلام ونسق المعنىٰ.

وسيكون محل الدراسة في هذا البحث ذكر كلام أهل العلم في المراد بالمقسم به والمقسم عليه، وما يظهر من وجوه التناسب بينهما.

وقد ورد القسم المتعدد في واحد وعشرين موضعًا، انتظمتها عشرون سورة من سور القرآن الكريم.

❊ ❊ ❊

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وأصحابه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين، أما بعد:

فإن تناسب آيات القرآن وسوره يكشف وجهًا من وجوه الإعجاز البياني للقرآن الكريم، فمع نزوله مفرقًا في ثلاث وعشرين سنة إلا أنك تجده متناسقًا عجيبًا لا يستطيع الفصحاء والبلغاء الإتيان بمثله؛ فهو محكم الألفاظ، متقن النظم، يُصدِّق بعضُه بعضًا.

ومن ذلك أسلوب القسم في القرآن، فالله تعالىٰ يقسم بما شاء علىٰ ما شاء، فيقسم تعالىٰ بذاته، وبأسمائه وصفاته، وبمخلوقاته، علىٰ أصول الإيمان وحال الإنسان.

ومن تأمل ذلك وجد وجوهًا من التناسب بين المقسم به والمقسم عليه، ويأتي هذا البحث لمحاولة الكشف عن بعض هذه الوجوه.

وقد وسمته بـ(التناسب بين القسم المتعدد وجوابه في القرآن الكريم).

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في بيان وجوه الإعجاز البياني في القرآن من خلال التناسب بين المقسم به والمقسم عليه.

أهداف البحث:

١. بيان التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في القسم المتعدد.

٢. الكشف عن وجه من وجوه الإعجاز البياني في القرآن في آيات القسم المتعدد.

٣. دراسة أقوال أهل العلم في المراد بالمقسم به والمقسم عليه، وبيان الراجح – غالبًا – في ذلك.

حدود البحث:

التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في آيات القسم المتعدد.

أسئلة البحث:

ما وجوه التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في القسم المتعدد؟

هل وجوه التناسب بين المقسم به والمقسم عليه كلها تدور حول غرض واحد؟

هل هناك إجماع من المفسرين علىٰ تحديد المقسم به والمقسم عليه في آيات القسم المتعدد؟

منهج البحث:

اعتمدت في البحث علىٰ المنهج الاستقرائي والتحليلي والنقدي.

الدراسات السابقة:

هناك دراسة سابقة بعنوان: (التناسب بين القسم المفرد وجوابه في القرآن الكريم) للباحث د. ناصر بن محمد آل عشوان، منشور في مجلة الدراسات القرآنية، الجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه، العدد (٦) ١٤٣١ه، وهو بحث في القسم المفرد وعلاقته بجوابه، فهو مختلف عن هذا البحث من جهتين، الأولىٰ: موضع الدراسة، فكل بحث يدرس آيات غير الآيات في البحث الآخر، الثانية: طبيعة تقسيم البحث، فالدراسة السابقة قسمت البحث علىٰ الموضوعات، وهذه الدراسة قسمته علىٰ ترتيب الآيات والسور.

خطة البحث:

رأيت أن أجعل تقسيم هذا البحث مرتبًا علىٰ السور التي ورد فيها القسم، إذ لا يناسب إلا هذا التقسيم، فتسقيم البحث حسب موضوعات المقسم به، أو المقسم عليه لا يستقيم؛ لوجود اختلاف في تحديد المراد بالمقسم به أو جوابه.

وقد بلغ عدد المواضع (٢١) موضعا في (٢٠) سورة.

ثم ختمت البحث بخاتمة، وبثبت للمصادر والمراجع.

إجراءات البحث:

يقوم منهج البحث علىٰ جمع الآيات التي ورد فيها أسلوب القسم المتعدد، ودراسة أقوال أهل العلم في المراد بالمقسم به والمقسم عليه، وبيان الراجح – غالبا- في ذلك، والكشف عن وجوه التناسب بين المقسم به والمقسم عليه، وإن كان في المقسم به أو المقسم عليه خلاف دون ترجيح المراد، بيّنت وجه التناسب علىٰ كل قول.

والله أسأل التوفيق والسداد، وأن يفقهنا في الدين، ويعلمنا التأويل، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

❊ ❊ ❊

سورة الصافات

قال تعالىٰ: ﴿ وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ۝١ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ۝٢ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا ۝٣ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ۝٤ ﴾ [الصافات: ١ – ٤]

المقسم به:

﴿ وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ۝١ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ۝٢ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا ﴾ ما عليه أكثر أهل العلم من المتقدمين والمتأخرين أن المقسم به هم: الملائكة، علىٰ اختلاف صفاتهم. وهو قول ابن عباس، وابن مسعود، ومسروق، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وعكرمة، وقتادة، وغيرهم.

قال ابن جرير: "والذي هو أولىٰ بتأويل الآية عندنا ما قاله مجاهد، ومن قال: هم الملائكة؛ لأن الله –جل ثناؤه– ابتدأ القسم بنوع من الملائكة، وهم الصافون بإجماع من أهل التأويل، فلأن يكون الذي بعده قَسمًا بسائر أصنافهم أشبه". (١)

وقد وصف الله –تعالىٰ– الملائكة في هذه الآيات بأنهم: صافون، أي: تصفُّ في السماء، في الصلاة، والذكر، وغيره، أو لأنهم يصفُّون بأجنحتهم في السماء، ينتظرون أمر الله.

ووُصِفوا بأنهم: زاجرون؛ لأنهم يزجرون السحاب وغيره إلىٰ حيث شاء – سبحانه وتعالىٰ–.

ثم وصفهم بوصف ثالث: (التاليات ذكرا) فهم في تلاوة لذكر الله، من تسبيح وتقديس لله –تعالىٰ–، وقد يكون المراد: ما تتلوه وتلقيه إلىٰ الأنبياء، كما كان جبريل

(١) جامع البيان: ١٩ / ٤٩٤. وممن اختاره: ابن القيم، والشوكاني، وابن عاشور، والشنقيطي، والسعدي.
وذُكر في معنىٰ الآيات أقوال غير ذلك. انظر: جامع البيان: ١٩ / ٤٩٢، المحرر الوجيز: ١٢ / ٣٣٢، التبيان في أيمان القرآن: ٦٤٦، تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٤ / ٢، فتح القدير: ٤ / ٤٤٢، التحرير والتنوير: ٢٣ / ٨٣، تيسير الكريم الرحمن: ٦٤٦، أضواء البيان: ٦/ ٦٧٣ .

ينزل بالوحي علىٰ أنبياء الله -عليهم الصلاة والسلام-. [1]

المقسم عليه:

﴿ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ﴾ أقسم -تعالىٰ- بهذه المخلوقات علىٰ تفرده بالإلهية، فالمراد هنا: تأكيد إفراده بالعبادة، وليس المراد: كونه إلهاً فقط، فهذا أمر يُقِرّ به المشركون. [2]

وجه التناسب بين المقسم به والمقسم عليه:

أقسم -تعالىٰ- بهذه المخلوقات العلوية العظيمة، ومع عظمتها فهي لا تخرج عن طاعة الله، ولذا أقسم بها علىٰ وحدانيته، ففيه تعريض بهؤلاء المشركين، الضعفاء، فهم مع ضعفهم تكبروا عن عبادة الله -تعالىٰ-، قال السعدي: "فلما كانوا متألهين لربهم، ومتعبدين في خدمته، ولا يعصونه طرفة عين، أقسم بهم علىٰ ألوهيته". [3]

• ويمكن أن يقال: بأن في الإقسام بالصافات: إشارة إلىٰ وجوب توحد القصد لله، كما في توحد قصد الملائكة.

وقد أشار إلىٰ هذا البقاعي، حيث قال: "ولما كان من البلاغة أن يناسب بين القسم والمقسم عليه، وكان الاصطفاف دالاً علىٰ اتحاد القصد كما في صفوف القتال والصلاة، وكان الملائكة لا قصد لهم إلا الله من غير عائق عن ذلك؛ فكانوا أحق الخلق بالاصطفاف، تارة للصلاة، وتارة للتسبيح والتقديس، وتارة لتدبير الأرزاق، وتارة لتعذيب أهل الشقاق إلىٰ غير ذلك من الأمور التي لا تسعها الصدور". [4]

(١) انظر المراجع السابقة.
(٢) انظر: التحرير والتنوير: ٢٣ / ٨٥، ٨٦.
(٣) تيسير الكريم الرحمن: ٦٤٦.
(٤) نظم الدرر: ٦ / ٢٨٩.

- وفي الإقسام بالزاجرات: تهديد للكفار، المشركين معه –تعالىٰ– غيره.
- وفي الإقسام بالتاليات: بيان ما عليه الملائكة من تسبيح لله وتقديس وذكر، وفيه تعريض بالمشركين في عدم تأثرهم بذكر الله، بخلاف حال الملائكة.

سورة الذاريات

قال تعالىٰ: ﴿ وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا ۝١ فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا ۝٢ فَٱلۡجَٰرِيَٰتِ يُسۡرٗا ۝٣ فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا ۝٤ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٞ ۝٥ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٞ ﴾ [الذاريات : ١-٦] .

المقسم به:

﴿ وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا ۝١ فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا ۝٢ فَٱلۡجَٰرِيَٰتِ يُسۡرٗا ۝٣ فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا﴾.

﴿ وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا ﴾ أكثر أهل العلم علىٰ أن المراد بها: الرياح، وهو المروي عن سلف هذه الأمة، والمشهور عنهم. نقل الإجماع علىٰ ذلك: الزجاج، وابن عطية. (١)

﴿ فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا ﴾ أكثر أهل العلم علىٰ أن المراد بها: السحاب، التي تحمل وِقْرها – أي: ثقلها – من الماء. (٢)

﴿ فَٱلۡجَٰرِيَٰتِ يُسۡرٗا ﴾ هي: السفن التي تجري ميسرة في الماء. وعليه أكثر أهل العلم. (٣)

---

(١) انظر: جامع البيان: ٢١ / ٤٧٩، معاني القرآن للزجاج: ٥ / ٥١، النكت والعيون: ٥ / ٣٦٠، المحرر الوجيز: ١٤ / ٢، الجامع لأحكام القرآن: ١٩ / ٤٦٩، التبيان في أيمان القرآن: ٤٢٤، تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٤ / ٢٣١، أضواء البيان: ٧ / ٦٥٩.

(٢) وهذا هو المروي عن: علي بن أبي طالب، وابن عباس، ومجاهد. وقيل بل معناها: السفن المحملة بالناس، وقيل: الحاملات من النساء إذا ثقلن بالحمل. وهذا القول الأخير: ظاهر السقوط. كما ذكر ذلك الشنقيطي.
انظر: جامع البيان: ٢١ / ٤٨٢، النكت والعيون: ٥ / ٣٦١، المحرر الوجيز: ١٤ / ٢، الجامع لأحكام القرآن: ١٩ / ٤٧٠، البحر المحيط: ٩ / ٥٤٨، أضواء البيان: ٧ / ٦٥٩.

(٣) وهو المروي عن جمع من الصحابة والتابعين، وهو مذهب الجمهور، كما حكىٰ ذلك: ابن القيم، وابن كثير.
وقيل أقوال أخرىٰ، منها: أنها السحاب، وقيل: هي النجوم، أو الكواكب تجري، مسخرة مذللة منقادة. وهذا اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية، نقله عنه تلميذه ابن القيم واختاره.
قال ابن القيم: "ثم أقسم –سبحانه– بما فوق ذلك، وهي الجاريات يسرا: وهي النجوم التي من فوق الغمام، ويسرا أي: مسخرة مذللة منقادة، وقال جماعة من المفسرين: إنها السفن تجري ميسرة في =

﴿ فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا ﴾ هم الملائكة، التي تُقسِّم أمر الله في خلقه. [١]

وبناء علىٰ ما سبق: فهناك مَن جعل هذه الصفات الأربع لموصوف واحد، وهو الرياح. وقد جوَّزه الزمخشري، واستظهره الرازي، واختاره ابن عاشور. [٢]

وهناك من جعل هذه الصفات لأمور مختلفة.

قال القاسمي: ذكرنا أن هذه الأمور الأربعة يجوز أن تكون أموراً متباينة، وأن تكون أمراً له أربعة اعتبارات. والأول هو المأثور عن علي ﷺ: أن الذاريات هي الرياح، والحاملات هي السحاب، والجاريات هي السفن، والمقسِّمات هي الملائكة.

واللفظ متسع بجوهره للكل، والله أعلم. [٣]

المقسم عليه:

﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ۝٥ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ ﴾.

أقسم تعالىٰ بهذه الأمور الأربعة علىٰ صدق ما وعد به الناس، من البعث والنشور، وقيام الساعة، ووقوع الحساب والجزاء.

=

الماء جريا سهلا، ومنهم من لم يذكر غيره. واختار شيخنا- رحمه الله - القول الأول، وقال: هو أحسن في الترتيب والانتقال من السافل إلىٰ العالي، فإنه بدأ بالرياح وفوقها السحاب وفوقه النجوم وفوقها الملائكة، المقسمات أمر الله الذي أمرت به بين خلقه".

انظر: جامع البيان: ٢١ / ٤٨٢، النكت والعيون: ٥ / ٣٦١، المحرر الوجيز: ١٤ / ٢، الجامع لأحكام القرآن: ١٩ / ٤٧٠، التبيان في أيمان القرآن: ٤٢٤، ٤٢٥، البحر المحيط: ٩ / ٥٤٨، تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٤ / ٢٣٢، محاسن التأويل: ١٥ / ١٨٩، أضواء البيان: ٧ / ٦٦٠.

(١) انظر: جامع البيان: ٢١، ٤٢٨، المحرر الوجيز: ١٤ / ٢، التبيان في أيمان القرآن: ٤٢٥، تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٤ / ٢٣٢، أضواء البيان: ٧ / ٦٦١.

(٢) انظر: الكشاف: ١٠٤٩، مفاتيح الغيب: ٢٨ / ١٦٨، التحرير والتنوير: ٢٦ / ٣٣٧.

(٣) انظر: محاسن التأويل: ١٥ / ١٨٩.

وجه التناسب بين المقسم به والمقسم عليه:

علىٰ رأي من رأىٰ التباين بين الصفات الأربع، وأن المقسم به هو: الرياح التي تذرو، والسحاب المحمل بالماء، والسفن الجارية، والملائكة التي تُقسم أمر الله.

فوجه التناسب علىٰ هذا: يكون من باب الاستدلال بأن من قدر علىٰ هذه الأمور، فهو قادر علىٰ البعث، وإحياء الناس بعد موتهم[1].

قال البيضاوي: "كأنه استدل باقتداره علىٰ هذه الأشياء العجيبة، المخالفة لمقتضىٰ الطبيعة، علىٰ اقتداره علىٰ البعث للجزاء الموعود". [2]

وقد ذكر ابن القيم وجوهًا من دلالة هذه الأمور علىٰ ربوبية الله ووحدانيته، وأطال في ذكر أسرارها. [3]

قلت: وما ذكره البيضاوي، وابن القيم، من أن المقصود الاستدلال بهذه المخلوقات العظيمة علىٰ قدرة الله تعالىٰ علىٰ إمكانية البعث، صحيح من حيث الدليل، إلا أن هذا يتأتىٰ مع غير هذه المخلوقات، مما هو من المخلوقات العجيبة، المخالفة لمقتضىٰ الطبيعة، ولذا فلا بد أن يكون هناك وجه للتناسب غير ما ذكراه.

ويمكن أن يقال: بأن هذه الأمور الأربعة فيها من مصالح العباد ومنافعهم الشيء الكثير، وهذا في الدنيا، فمراعاة مصالح الناس في الآخرة، والاهتمام بما يصلح دينهم، أولىٰ وأعظم، ومن ذلك أن مصلحة العباد تقتضي أن يكون هناك بعث ونشور، وجزاء وحساب؛ لتُجزىٰ كل نفس بما عملت.

• وأما وجه التناسب علىٰ قول من قال: بأنها صفات لشيء واحد، وهو الرياح.

فإن في تنوع أحوال الرياح دلالة علىٰ ما يحصل من تنوع في مواقف البعث والنشور.

(١) انظر: دراسات في علوم القرآن للدكتور/ محمد بكر إسماعيل : ٣٢٤.
(٢) أنوار التنزيل: ٥ / ٩٥.
(٣) انظر: التبيان في أيمان القرآن: ٤٢٦-٤٣٤.

قال ابن عاشور: "ومن رشاقة هذا التفسير أن فيه مناسبة بين المقسم به والمقسم عليه، وهو قوله: ﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ۝ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَاقِعٌ ﴾. فإن أحوال الرياح المذكورة هنا مبدؤها: نفخ، فتكوين، فإحياء، وكذلك البعث مبدؤه: نفخ في الصور، فالتئام أجساد الناس التي كانت معدومة أو متفرقة، فبث الأرواح فيها فإذا هم قيام ينظرون". (١)

(١) التحرير والتوير: ٢٦: ٣٣٩. وانظر مفاتيح الغيب: ٢٨ / ١٦٨ ،والقسم في اللغة وفي القرآن: ١١٧، ١١٨.

سورة الطور

قال تعالىٰ: ﴿ وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٍ مَّسۡطُورٖ ۝٢ فِي رَقّٖ مَّنشُورٖ ۝٣ وَٱلۡبَيۡتِ ٱلۡمَعۡمُورِ ۝٤ وَٱلسَّقۡفِ ٱلۡمَرۡفُوعِ ۝٥ وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ ۝٦ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٞ ﴾. [الطور : ١-٧] .

المقسم به:

أقسم تعالىٰ في هذه السورة بخمسة أمور:

﴿ وَٱلطُّورِ ﴾ الجبل المعروف، الذي كلم الله عليه موسىٰ عليه السلام. هذا قول جمهور المفسرين من السلف والخلف، كما نص علىٰ ذلك ابن القيم. (١)

﴿ وَكِتَٰبٍ مَّسۡطُورٖ ۝٢ فِي رَقّٖ مَّنشُورٖ ﴾ أي: مكتوب، والسطر: ترتيب الحروف المكتوبة. (٢)

وقد وقع الخلاف في تحديد هذا الكتاب الذي أقسم الله به: فقيل: الكتاب الذي كتب الله لملائكته في السماء، يقرؤون فيه ما كان وما يكون. وقيل: التوراة. وقيل: صحائف أعمال العباد يوم القيامة. وقيل: اللوح المحفوظ. وقيل: هو القرآن. (٣)

وهذا الأخير هو الذي يظهر، قال ابن القيم: "ولعل هذا أرجح الأقوال؛ لأنه -سبحانه- وصف القرآن بأنه في: ﴿ فِي صُحُفٖ مُّكَرَّمَةٖ ۝١٣ مَّرۡفُوعَةٖ مُّطَهَّرَةِۭ ۝١٤ بِأَيۡدِي سَفَرَةٖ ۝١٥ كِرَامِۭ بَرَرَةٖ ﴾ [عبس: ١٣ – ١٦] فالصحف هي: الرّق، وكونه بأيدي سفرة هو كونه منشورًا، وعلىٰ هذا فيكون قد أقسم بسيد الجبال وسيد الكتب، ويكون

(١) وقد قيل في معناه غير ذلك.
انظر: جامع البيان: ٢/ ٤٨، معاني القرآن للزجاج: ٥ / ٦١، النكت والعيون: ٥ / ٣٧٦، التبيان في أيمان القرآن: ٣٩٩، تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٤ / ٢٣٩، أضواء البيان: ٧ / ٦٨٣ .

(٢) انظر:المحرر الوجيز: ١٤ / ٤٧.

(٣) انظر:معاني القرآن للزجاج: ٥ / ٦١، النكت والعيون: ٥ / ٣٧٧، المحرر الوجيز: ١٤، ٤٧، الجامع لأحكام القرآن: ١٩، ٥١٢، التبيان في أيمان القرآن: ٤٠٠.

ذلك متضمّنًا للنبوتين العظميين: نبوة موسىٰ، ونبوة محمد -صلىٰ الله عليهما وسلم- وكثيرًا ما يقرن بينهما وبين محلهما، كما في سورة التين والزيتون". [١]

﴿ وَٱلۡبَيۡتِ ٱلۡمَعۡمُورِ ﴾ في المراد به قولان لأهل العلم، الأول: أنه بيت في السماء السابعة، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك -وهو الراجح-. ويدل عليه ما ثبت في الصحيحين في حديث المعراج: أن الرسول ﷺ قال: "فرفع لي البيت المعمور، فسألت جبريل، فقال: هذا البيت المعمور يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك، إذا خرجوا لم يعودوا إليه آخر ما عليهم". [٢]

وفي رواية عند مسلم: "فإذا أنا بإبراهيم ﷺ مسندا ظهره إلىٰ البيت المعمور، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه". [٣]

القول الثاني: إن المراد به: البيت الحرام، ورجحه القاسمي، حيث قال: "الذي يُعْمَر بكثرة غاشيته، وهو الكعبة المعمورة بالحجاج والعمّار، والطائفين والعاكفين والمجاورين. وروي أنه بيت في السماء بحيال الكعبة من الأرض، يدخله كل يوم سبعون ألفًا من الملائكة ثم لا يعودون فيه أبداً. والأول أظهر؛ لأنه يناسب ما جاء في سورة التين من عطف: ﴿ ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ ﴾ علىٰ ﴿ وَطُورِ سِينِينَ ﴾، والقرآن يفسر بعضه بعضًا؛ لتشابه آياته وتماثلها كثيراً، وإن تنوعت بلاغة الأسلوب". [٤]

﴿ وَٱلسَّقۡفِ ٱلۡمَرۡفُوعِ ﴾ وهو: السماء، سُمِّيت بذلك؛ لأنها سقف للأرض. [٥]

---

(١) التبيان في أيمان القرآن: ٤٠١. وقد أجاب عما سبق من الأقوال. وممن اختار هذا القول: الشنقيطي في أضواء البيان: ٧ / ٦٨٣، وابن عثيمين في تفسير سورة الطور: ١٧٤ (ضمن مجموع (من سورة الحجرات – الحديد)

(٢) رواه البخاري في صحيحه: ٣ / ١١٧٤، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، و ٣ / ١٤١١، كتاب فضائل الصحابة، باب المعراج. ومسلم في صحيحه: ١ / ١٥٠، كتاب الإيمان، حديث: ٢٦٤.

(٣) صحيح مسلم: ١ / ١٤٦، كتاب الإيمان، حديث: ٢٥٩.

(٤) انظر: محاسن التأويل: ١٥ / ٢٠٩. وممن رجَّحه أيضًا: ابن عاشور، التحرير والتنوير: ٢٧ / ٣٩.

(٥) انظر: جامع البيان: ٢١ / ٥٦٦.

وذهب ابن كثير إلىٰ أن الآية تحتمل هذا القول، وتحتمل ما روي عن الربيع بن أنس: أنه العرش.[1]

والذي يظهر ما اختاره ابن جرير، ويشهد له قوله تعالىٰ: ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴾ [الأنبياء : ٣٢]، وما بعده في جواب القسم من قوله تعالىٰ: ﴿ يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ﴾ [الطور : ٩]، ولإقسام الله بها في مواضع أخرىٰ.

﴿ وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ﴾ المراد به: بحر الدنيا. وهو قول الجمهور.[2]

واختُلف في معنىٰ المسجور علىٰ أقوال منها: الموقد نارًا. وقيل: المملوء، وهذا اختيار ابن جرير. وقيل: الذي قد ذهب ماؤه. وقيل: المحبوس.[3]

وما اختاره ابن جرير من أن المراد: المملوء، داخل في معنىٰ: المحبوس، فإنه مع كونه مملوءًا، فإن الله قد حبسه، ومنعه من أن يفيض علىٰ وجه الأرض.

قال ابن القيم: "وإذا اعتبرت أسلوب القرآن ونظمه ومفرداته رأيت اللفظة تدل علىٰ ذلك كله، فإن البحر محبوس بقدرة الله -عز وجل-، ومملوء ماء، ويذهب ماؤه يوم القيامة ويصير نارًا، فكل من المفسرين أخذ معنىٰ من هذه المعاني".[4]

المقسم عليه:

﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ۝٧ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ﴾ وقوع عذاب الله علىٰ من يستحقه، وأنه لا دافع له إذا وقع، والمراد بهذا العذاب: ما يكون يوم القيامة بدلالة ما بعده من الآيات من الإخبار عما يكون يوم القيامة.

(١) انظر:تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٤ / ٢٤٠.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٤ / ٢٤٠. وهذا ما رجحه الشيخ ابن عثيمين، لأن (ال) في البحر للعهد الذهني. تفسيرسورة الطور: ١٧٦.

(٣) انظر:معاني القرآن للفراء: ٣ / ٩١، جامع البيان: ٢١ / ٥٦٧، المحرر الوجيز: ١٤ / ٤٩، التبيان في أيمان القرآن: ٤٠٥، تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٤ / ٢٤٠.

(٤) التبيان في أيمان القرآن: ٤١٠.

وجه التناسب بين المقسم به والمقسم عليه:

وسأذكر – إن شاء الله – كل مقسم به ومناسبته علىٰ حدة.

فأما الإقسام بالطور فمناسبته للمقسم عليه من وجوه:

١. أن البعض قد يظن أن هناك ما يتحصن به حال نزول العذاب، ومنها الجبال – كما ظن ذلك ابن نوح – فأقسم الله ﷻ بهذا الجبل لبيان خضوعه لأمر الله.

قال الرازي: "إن القسم لما كان علىٰ وقوع العذاب وعلىٰ أنه لا دافع له، وذلك لأنه لا مهرب من عذاب الله؛ لأن من يريد دفع العذاب عن نفسه، ففي بعض الأوقات يتحصن بمثل الجبال الشاهقة، التي ليس لها طرف وهي متضايقة؛ بيّن أنه لا ينفع التحصن بها من أمر الله –تعالىٰ–، كما قال ابن نوح عليه السلام: ﴿ قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾[هود: ٤٣]. حكاية عن نوح عليه السلام". (١)

٢. تأكيد وقوع ذلك اليوم، وشدة ما فيه من الأهوال، فهذه الجبال الشاهقة الثابتة الراسية يوم القيامة تتحرك من مكانها: ﴿ وَتَسِيرُ ٱلۡجِبَالُ سَيۡرٗا ﴾ [الطور : ١٠]، ﴿ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ سُيِّرَتۡ ﴾ [التكوير : ٣]. فناسب أن يقسم بالطور حال كونه مستقرًا ثابتًا، علىٰ الحال التي سيكون عليها يوم القيامة.

• وأما الإقسام في قوله –تعالىٰ–: ﴿ وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ ﴾، الذي هو القرآن؛ فلما فيه من الإخبار بوقوع عذاب يوم القيامة، ومنه: ما أخبر الله به في هذه السورة: ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٞ ﴾.

• وأما الإقسام في قوله –تعالىٰ–: ﴿ وَٱلۡبَيۡتِ ٱلۡمَعۡمُورِ ﴾. فمناسبته من وجهين:

١. أن في وصفه بالمعمور –سواء قلنا هو البيت الذي في السماء أو الكعبة–

(١) مفاتيح الغيب: ٢٨ / ٢٠٦.

دليل علىٰ أنه معمور بالطاعة، وذكر الله –تعالىٰ–، فالأولىٰ بهؤلاء المكذبين أن يقتدوا بهؤلاء العمار في عبادة الله وطاعته، فإن لم يؤمنوا؛ فعذاب الله بهم واقع.

٢. إن قيل بأن البيت المعمور هو الكعبة، فمناسبته من حيث كونه مكان نزول الوحي، المتضمن الإيمان بالبعث، والجزاء.

• وأما الإقسام في قوله –تعالىٰ–: ﴿ وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ ﴾. فمناسبته من وجوه:

١. أن العذاب يكون من جهة السماء.

٢. التهديد لهؤلاء المكذبين بأن يُسقط عليهم هذه السماء، التي جعلها سقفًا محفوظًا؛ بسبب كفرهم وعنادهم، قال –تعالىٰ–: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ﴾ [فاطر : ٤١].

٣. تأكيد وقوع ذلك اليوم، وشدة ما فيه من الأهوال، فهذه السماء المرفوعة يوم القيامة تتحرك، وتضطرب، وتموج، وتدور، وتزول، وتشقق، قال –تعالىٰ–: ﴿ يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ﴾[الطور : ٩]،﴿ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ﴾ [التكوير : ١١]، ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴾ [الانشقاق : ١].

فناسب أن يقسم بها حال كونها مرفوعة ثابتة، علىٰ الحال التي ستكون عليها يوم القيامة.

• وأما الإقسام في قوله –تعالىٰ–: ﴿ وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ﴾ فمناسبته من وجهين:

١. أن من معاني المسجور: الموقد، وهذا الإيقاد يكون يوم القيامة، فأقسم بما سيكون دلالة علىٰ تحقق وقوعه: ﴿ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴾ [التكوير : ٦].

٢. فيه تهديد لهؤلاء المكذبين أن يحل بهم ما حل بفرعون وقومه، حينما كذبوا موسىٰ عليه السلام.(١)

(١) ذهب ابن عاشور إلىٰ أن المراد بالبحر هنا: هو بحر القلزم (البحر الأحمر) الذي أهلك الله فيه فرعون. التحرير والتوير: ٢٧ / ٣٩. وفيما ذكر نظر، فلا دليل عليه.

وقد أشار إلىٰ بعض مما سبق البقاعي، حيث يقول: "ومقصودها: تحقيق وقوع العذاب، الذي هو مضمون الوعيد المقسم علىٰ وقوعه في الذاريات، الذي هو مضمون الإنذار المدلول علىٰ صدقه في (ق)، وأن وقوعه أثبت وأمكن من الجبال التي أخبر الصادق بسيرها، وجعل دكّ بعضها آية علىٰ ذلك، ومن الكتاب في أثبت أوضاعه، لإمكان غسله وحرقه، ومن البيت الذي يمكن عامره وغيره إخرابه، والسقف الذي يمكن رافعه وضعه، والبحر الذي يتمكن من سجره أن يرسله". [1]

(١) مصاعد النظر: ٣/ ٢٨.

سورة القلم

قال تعالىٰ: ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ۝١ مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ﴾ .

[القلم : ١-٢] .

المقسم به:

﴿ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ﴾ أقسم -تعالىٰ- بالقلم، وبما يسطرون.

فأما المراد (بالقلم) فاختُلف فيه علىٰ قولين:

الأول: أنه القلم الذي كتب به اللوح المحفوظ، وهذا ما ذكره ابن جرير، ولم يذكر غيره. (١)

الثاني: أن القلم: جنس القلم، الذي يُكتب به. (٢)

وأما المراد (بما يسطرون) فهو مبنيٌ علىٰ نوع (ما).

فإما أن تكون موصولة، فيكون الضمير عائداً إلىٰ أصحاب القلم، فيكون المعنىٰ: والذي يكتبون، فأقسم بالخلق وأفعالهم، كأنه قال: وأصحاب القلم ومسطوراتهم.

وإما أن تكون مصدرية، فيكون المعنىٰ: وسطْرهم، فالقسم بنفس الكتابة. (٣)

والذي يظهر أن هذا قسم بكل قلم، وبكل ما يكتبه القلم، أو بكل كتاب وآلته؛ لما تفيده (أل) في القلم من العموم والشمول.

---

(١) انظر: جامع البيان: ٢٣ / ١٤٥.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٤ / ٤٠١، فتح القدير: ٥ / ٣٠٨، التحرير والتنوير: ٢٩ / ٦٠.

(٣) انظر: جامع البيان: ٢٣ / ١٤٨، الكشاف: ١١٢٨، الجامع لأحكام القرآن: ٢١ / ١٣٩، تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٤ / ٤٠١، التبيان في أيمان القرآن: ٣٠٢، إرشاد العقل السليم: ٩ / ١١، التحرير والتنوير: ٢٩ / ٦٠.

المقسم عليه:

﴿ مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ﴾ أي: ولست -ولله الحمد- بمجنون. ففيه تكذيب للمشركين في قولهم: ﴿ وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٞ ﴾ [الحجر : ٦] .(١)

وجه التناسب بين المقسم به والمقسم عليه:

في الإقسام بالقلم والكتابة دلالة واضحة علىٰ نفي ما نسبه المشركون من الجنون لرسول الله ﷺ.

قال ابن القيم: "وأنت إذا طابقت بين هذا القسم والمقسم به وجدته دالاً عليه أظهر دلالة وأبينها، فإن ما سطَّر الكاتب بالقلم من أنواع العلوم التي يتلقاها البشر بعضهم عن بعض لا تصدر من مجنون، ولا تصدر إلا ممن له عقل وافر، فكيف يصدر ما جاء به الرسول من هذا الكتاب الذي هو في أعلىٰ درجات العلوم، بل العلوم التي تضمنها ليس في قوىٰ البشر الإتيان بها، ولا سيما من أميّ لا يقرأ كتابًا، ولا يخطُّه بيمينه، مع كونه في أعلىٰ أنواع الفصاحة، سليمًا من الاختلاف، بريًا من التناقض، يستحيل من العقلاء كلهم لو اجتمعوا في صعيد واحد أن يأتوا بمثله، ولو كانوا في عقل رجل واحد منهم، فكيف يتأتىٰ ذلك من مجنون لا عقل له يميز به ما عسىٰ كثير من الحيوان أن يميزه، وهل هذا إلا من أقبح البهتان، وأظهر الإفك.

فتأمل شهادة هذا المقسم به للمقسم به عليه ودلالته عليه أتم دلالة". (٢)

• وقد يقال: بأن القسم بالقلم والكتابة إشارة إلىٰ كتابة القرآن الكريم، فهو قسم بكتابة القرآن علىٰ صدق القرآن، ومن جاء به.

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٤ / ٤٠٢.

(٢) التبيان في أيمان القرآن: ٣١٢، ٣١٣. وانظر تيسر الكريم الرحمن: ٨١٣.

سورة الحاقة

قال تعالىٰ: ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ ٣٨ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ ٣٩ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴾ [الحاقة : ٣٨-٤٠] .

المقسم به:

﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ ٣٨ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ ﴾ هذا إقسام منه -تعالىٰ- بالأشياء كلها، ما تبصرونه وما لا تبصرونه.

قال ابن القيم: "وهذا أعم قسم وقع في القرآن، فإنه يعم العلويات والسفليات، والدنيا والآخرة، وما يُرىٰ وما لا يُرىٰ، ويدخل في ذلك الملائكة كلهم، والجن والإنس، والعرش، والكرسي، وكل مخلوق، وذلك كله من آيات قدرته وربوبيته، وهو سبحانه يُصرِّف الأقسام كما يُصرِّف الآيات" [1]

فهو قسم بكل المخلوقات، بل هو قسم بالخالق -سبحانه-. [2]

المقسم عليه:

﴿ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ٤٠ ﴾ أقسم تعالىٰ بما يبصرون وما لا يبصرون علىٰ صدق رسوله ﷺ فيما بَلَّغه عن ربه. وإضافة القول إلىٰ رسول الله ﷺ؛ لأنه الذي بَلَّغه. [3].

وجه التناسب بين المقسم به والمقسم عليه:

أقسم تعالىٰ بما يُرىٰ وما لا يُرىٰ، وكله حق موجود، فكذلك القرآن حق.

قال ابن القيم: "ومن تأمل المخلوقات ما يراه منها وما لا يراه، واعتبر ما جاء به الرسول بها، ونقل فكرته في مجاري الخلق والأمر: ظهر له أن هذا القرآن من عند

(١) التبيان في أيمان القرآن: ٢٦٤.

(٢) انظر:تيسير الكريم الرحمن: ٨١٩.

(٣) انظر:تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٤ / ٤١٧.

الله، وأنه كلامه، وهو أصدق الكلام، وأنه حق ثابت كما أن سائر الموجودات -ما يُرىٰ منها ومالا يُرىٰ- حق. فكأنه -سبحانه- يقول: إن القرآن حق كما أن ما شاهدوه من الخلق ومالا يشاهدونه حق موجود، بل لو فكرتم فيما تبصرون وفيما لا تبصرون؛ لدلكم ذلك علىٰ أن القرآن حق، ويكفي الإنسان من جميع ما يبصره وما لا يبصره نفسه، ومبدأ خلقه ونشأته، وما يشاهده من أحواله ظاهرًا وباطنًا ففي ذلك أبين دلالة علىٰ وحدانية الرب، وثبوت صفاته، وصدق ما أخبر به رسوله، ومن لم يباشر قلبه ذلك حقيقة لم تخالط بشاشة الإيمان قلبه". (١)

• ويمكن أن يقال: بأن الله -تعالىٰ- أقسم بما يبصرون وما لا يبصرون، علىٰ صدق رسوله ﷺ، ومن جملة ما يبصرون: رسول الله ﷺ، فهم يعرفون حاله، وأخلاقه، ويعرفون الشعر، والكهانة، ومع ذلك اتهموه ﷺ بأنه شاعر، وكاهن.

فبان أن السبب فيما اتهموه به، هو عدم إيمانهم، وعدم تذكرهم، قال -تعالىٰ-: ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [الحاقة : ٤١-٤٣] .

فكأنه -تعالىٰ- أقسم بما يبصرون إشارة إلىٰ ما يعرفون من حاله ﷺ، وأنه ليس بشاعر، ولا بكاهن، ومع ذلك لم يؤمنوا، فعدم إيمانهم بما لا يبصرون أولىٰ.

• **ومن الوجوه أيضًا:**

أن العلم الحديث اكتشف من الأشياء ما لم يكن مشاهدًا، وهي الآن مشاهدة مرئية، ومن الأشياء ما يكون مرئيًا لشخص دون آخر، وما يكون مرئيًا في مكان دون مكان، وفي زمان دون زمان، وكذلك العكس.

فإقسام الله -تعالىٰ- بما يُرىٰ وما لا يُرىٰ أعظم دليل علىٰ إعجاز هذا القرآن، وأنه لا يمكن أن يكون من كلام بشر.

(١) التبيان في أيمان القرآن: ٢٦٥، ٢٦٦.

سورة المدثر

قال تعالىٰ: ﴿كَلَّا وَٱلْقَمَرِ ۝٣٢ وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ۝٣٣ وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ ۝٣٤ إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ﴾ [المدثر : ٣٢-٣٥].

المقسم به:

﴿ وَٱلْقَمَرِ ﴾ المعروف.

﴿ وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴾ في هذه الآية قراءتان، الأولىٰ: (إذ) بإسكان الذال من غير ألف بعدها، و(أدبر) بهمزة مفتوحة، وإسكان الدال بعدها.. القراءة الثانية: (إذا) بألف بعد الذال، و(دبر) بفتح الدال من غير همزة قبلها. (١)

واختُلف في هاتين القراءتين، هل هما بمعنىٰ واحد أو لا؟ فذهب بعض أهل اللغة –يونس بن حبيب، وأبو عبيدة، وابن قتيبة– إلىٰ أن بينهما فرقًا، فدَبر الليل: إذا مضىٰ، وأدبر: أخذ في الإدبار. (٢)

وذهب الفراء، والزجاج، وابن جرير، والنحاس، وأبو علي الفارسي، والزمخشري، وغيرهم: إلىٰ أنهما بمعنىٰ واحد. قال النحاس: "الصحيح أن دبر وأدبر بمعنىٰ واحد. علىٰ هذا كلام المفسرين، وأكثر أهل اللغة". (٣)

﴿ وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ ﴾ أي: أضاء. (٤)

---

(١) بالأولىٰ قرأ نافع، ويعقوب، وحمزة، وخلف، وحفص. وبالثانية قرأ الباقون. انظر: السبعة: ٦٥٩، النشر:٢/ ٢٩٤.

(٢) انظر:مجاز القرآن: ٢ / ٢٧٥، ٢٧٦، تفسير غريب القرآن: ٤٩٧، مفاتيح الغيب: ٣٠ / ١٨٣، الجامع لأحكام القرآن: ٢١ / ٣٩١، البحر المحيط: ١٠ / ٣٣٥.

(٣) إعراب القرآن: ٥ / ٤٨. وانظر: معاني القرآن للفراء: ٣ / ٢٠٤، معاني القرآن للزجاج: ٥ / ٢٤٨، جامع البيان: ٢٣ / ٤٤٣، الحجة لأبي علي الفارسي: ٤ / ٧٤، الكشاف: ١١٥٨، البحر المحيط: ١٠ / ٣٣٦.

(٤) انظر:المحرر الوجيز: ١٥ / ١٩١.

المقسم عليه:

﴿ إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ ﴾ اختُلف في عود الضمير (إنها) فقيل: راجع إلىٰ سقر. وقيل: للنذارة وأمر الآخرة، فيكون للقصة والحال. وقيل: قيام الساعة. وقيل: تكذيبهم بمحمد ﷺ كبيرة من الكبائر.(١)

وجه التناسب بين المقسم به والمقسم عليه:

إن قيل بأن المراد بجواب القسم: النار، والساعة، وأمور الآخرة، فالتناسب من حيث: تشبيه إبداء الخلق وإعادته في القمر، والليل، والصبح، ببدء خلق الإنسان وإعادته بعد الموت. قال ابن القيم: "وأقسم -سبحانه- - بهذه الأشياء الثلاثة - وهي: القمر، والليل إذا أدبر، والصبح إذا أسفر علىٰ المعاد؛ لما في القسم من الدلالة علىٰ ثبوت المقسم عليه، فإنه يتضمن كمال قدرته وحكمته، وعنايته بخلقه.

وإبداء الخلق وإعادته كما هو مشهود في إبداء النهار والليل وإعادتهما، وفي إبداء النور وإعادته في القمر، وفي إبداء الزمان وإعادته الذي هو حاصلٌ بسير الشمس والقمر، وإبداء الحيوان والنبات وإعادتهما، وإبداء فصول السنة وإعادتها، وإبداء ما يحدث في تلك الفصول وإعادته، فكل ذلك دليل ظاهر علىٰ المبدأ والمعاد، الذي أخبرت به رسله كلهم عنه". (٢)

• وإن قيل: بأن المراد بجواب القسم: تكذيبهم بالرسول ﷺ، وبما جاء به من ربه، فالتناسب من حيث: إن في القمر ضياء، وفي تولي الليل وإدباره ضياء، وفي الصبح ضياء، فأقسم بهذه الأمور الدالة علىٰ الضياء؛ لما في القرآن وصدق رسوله ﷺ من الصدق البين الواضح كالضياء، ولما يُحدِثه القرآن من النور في قلوب المؤمنين.

وفي إدبار الليل إشارة إلىٰ انقشاع ظلام الكفر، وفي ضوء القمر وإسفار الصبح إشارة إلىٰ نور الإيمان. (٣)

(١) انظر: جامع البيان: ٢٣ / ٤٤٣، المحرر الوجيز: ١٥ / ١٩٢، البحر المحيط: ١٠ / ٣٣٦.
(٢) التبيان في أيمان القرآن: ٢٦٠، ٢٦١.
(٣) انظر: نظم الدرر: ٨ / ٢٣٤، التحرير والتنوير: ٢٩ / ٣٢٢.

سورة القيامة

قال تعالىٰ: ﴿ لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢ أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ ﴾ [القيامة :١-٣].

المقسم به:

﴿ لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴾ أقسم -تعالىٰ- بيوم القيامة، وبالنفس اللوامة[1].

أما يوم القيامة فمعروف. وأما النفس اللوامة فاختُلف في المراد بها، فقيل: هي التي تلوم صاحبها يوم القيامة علىٰ ما فات وتندم، وتلوم علىٰ الخير إذ لم تزدد منه، وتلوم علىٰ الشر لم فعلته، وعلىٰ هذا القول فهي عامة، تشمل كل نفس. وقيل: هي النفس الفاجرة الكافرة. وقيل: النفس المؤمنة. وعلىٰ هذين القولين فهي خاصة.[2]

والقول بالعموم أولىٰ؛ لأنه لا يوجد بشر إلا ويلوم نفسه، ويندم إما في الدنيا وإما في الآخرة.[3]

المقسم عليه:

يؤخذ من قوله -تعالىٰ-:﴿ أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ ﴾ ، فيكون المقسم عليه: إثبات البعث والنشور.[4]

(١) اختُلف في {لا} المُبتدأ بها في قوله -تعالىٰ-: {لا أقسم بيوم القيامة} علىٰ ثلاثة أقوال: الأول: أنها صلة، ومعنىٰ الكلام: أُقسِم بيوم القيامة. الثاني: أنها دخلت توكيدًا للكلام. الثالث: أنها ردٌّ لكلام مضىٰ من كلام المشركين في إنكار البعث، ثم ابتدأ القَسم فقال: أُقسِم بيوم القيامة. انظر: تفسير الطبري (٢٣/ ٤٦٨)، تفسير الشوكاني (٥/ ٤٠٣).

(٢) انظر: جامع البيان: ٢٣ / ٤٦٩، المحرر الوجيز: ١٥ / ٢٠٧، التبيان في أيمان القرآن: ٢٣، تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٤ / ٤٤٨.

(٣) انظر: جامع البيان: ٢٣ / ٤٧٠، مجموع فتاوىٰ ابن تيمية: ٤ / ٢٦٤ .

(٤) انظر: الكشاف: ١١٦٠، التبيان في أيمان القرآن: ٢٣٠، البحر المحيط: ١٠ / ٣٤٣، إرشاد العقل السليم: ٩ / ٦٤، التحرير والتنوير: ٢٩ / ٣٣٨.

وجه التناسب بين المقسم به والمقسم عليه:

أقسم -سبحانه- بيوم القيامة، وبالنفس اللوامة على وقوع البعث والجزاء يوم القيامة. وهذا قسم بمحل الجزاء، وبما يظهر من أحوال الناس في ذلك اليوم، فالمقسم به هو المقسم عليه.

قال أبو حيان: "والمناسبة بين القسمين من حيث أحوال النفس من سعادتها، وشقاوتها، وظهور ذلك في يوم القيامة". (١)

(١) البحر المحيط: ١٠ / ٣٤٣. وانظر: مفاتيح الغيب: ٣٠ / ١٩١، التبيان في أيمان القرآن: ٢٥، إرشاد العقل السليم: ٩ / ٦٤، تيسير الكريم الرحمن: ٨٣١، التحرير والتنوير: ٢٩ / ٣٣٧.

سورة المرسلات

قال تعالىٰ: ﴿ وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ۝١ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ۝٢ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ۝٣ فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ۝٤ فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ۝٥ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ۝٦ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ ﴾.

[المرسلات : ١-٧].

المقسم به:

أقسم تعالىٰ في هذه السورة بخمسة أمور:

﴿ وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ﴾ اختُلف في المراد بها علىٰ أربعة أقوال، الأول: أنها الملائكة تُرسل بأمر الله ونهيه، فيكون معنىٰ (عرفا) العرف الذي هو ضد المنكر. وبه قال: أبو هريرة، ومسروق، والسدي، وغيرهم. وبه قال الشيخ السعدي. **الثاني**: أنها الرياح المرسلات يتبع بعضها بعضًا. وهذا قول: ابن مسعود، ورواية عن ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، وهو قول أكثر أهل التفسير. **الثالث**: أنهم الرسل أُرسِلوا بما يُعرفون به من المعجزات. **الرابع**: أنها السحاب.

وقد حكىٰ ابن القيم هذه الأقوال كلها، وذكر أن الأخيرين لا يدخلان في تفسير الآية. (١)

﴿ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ﴾ نقل القرطبي عن المهدوي الإجماع علىٰ أن المراد بها: الرياح. (٢)

ولم يذكر ابن جرير غير هذا القول. (٣)

(١) انظر: مجاز القرآن: ٢ / ٢٨١، جامع البيان: ٢٣ / ٥٨٠، المحرر الوجيز: ١٥ / ٢٥٧، الجامع لأحكام القرآن: ٢١ / ٤٩٤، التبيان في أيمان القرآن: ٢٢٢، تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٤ / ٤٥٩، تيسير الكريم الرحمن: ٨٣٦، أضواء البيان: ٨ / ٦٨٦.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن: ٢١ / ٤٩٦.

(٣) انظر: جامع البيان: ٢٣ / ٥٨٣.

وما ذكره المهدوي من حكاية الإجماع فيه نظر؛ فقد حُكي الخلاف في معنىٰ هذه الآية، بل ذكر القرطبي وغيره شيئًا من الخلاف في ذلك، حيث قيل فيها: إنهم الملائكة الموكلون بالرياح يعصفون بها، وقيل: الملائكة تعصف بروح الكافر، وقيل: الآيات المهلكة، كالزلازل والخسوف.(١)

﴿ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ﴾ اختُلف في المراد بها علىٰ أقوال، فقيل: الرياح تنشر السحاب، وقيل: المطر ينشر النبات، وقيل: الملائكة تنشر الكتب، وقيل: الملائكة تنشر أجنحتها في الجو، وقيل غير ذلك.(٢)

﴿ فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ﴾ اختُلف في المراد بها، فقيل: الملائكة تفرق بين الحق والباطل، وقيل: القرآن وما فرق الله فيه بين الحق والباطل، وقيل: ما تفرق الملائكة من الأقوات، والأرزاق، والآجال، وقيل: الرياح تفرق بين السحاب، وقيل: الرسل يفرقون بين الحلال والحرام.(٣)

﴿ فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ﴾ الملائكة باتفاق، أي: تُلقي وحي الله إلىٰ رسله إعذارًا وإنذارًا. نقل القرطبي حكاية الإجماع عن المهدوي، ولم يذكر ابن جرير غيره، وممن حكىٰ الاتفاق علىٰ ذلك: ابن القيم، وابن كثير، وابن عاشور.(٤)

وقد حكىٰ القرطبي قولًا عن قطرب: أنهم الرسل يلقون إلىٰ أممهم ما أنزل عليهم.(٥)

(١) انظر: معاني القرآن للزجاج: ٥ / ٢٦٥، النكت والعيون: ٦ / ١٧٦، الجامع لأحكام القرآن: ٢١، ٤٩٦.

(٢) انظر: جامع البيان: ٢٣ / ٥٨٥، المحرر الوجيز: ١٥ / ٢٥٩، الجامع لأحكام القرآن: ٢١ / ٤٩٦، التبيان في أيمان القرآن: ٢٢٦، تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٤ / ٤٥٩.

(٣) انظر: جامع البيان: ٢٣ / ٥٨٧، النكت والعيون: ٦ / ١٧٦، الجامع لأحكام القرآن: ٢١ / ٤٩٧، التبيان في أيمان القرآن: ٢٢٧، تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٤ / ٤٥٩، أضواء البيان: ٨ / ٦٨٦.

(٤) انظر: جامع البيان: ٢٣ / ٥٨٨، الجامع لأحكام القرآن: ٢١ / ٤٩٧، التبيان في أيمان القرآن: ٢٢٨، تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٤ / ٤٥٩، التحرير والتنوير: ٢٩ / ٤١٩.

(٥) انظر: الجامع لأحكام القرآن: ٢١ / ٤٩٨. وذكره ابن عطية دون نسبته: ١٥ / ٢٦٠، وكذلك ذكره أبو حيان دون نسبة: ١٠ / ٣٧٣.

والذي يظهر أن القسم في هذه السورة وقع علىٰ صنفين: الرياح، والملائكة، فالمرسلات، والعاصفات: المراد بهما: الرياح، وما بعد ذلك يراد به الملائكة.

قال ابن القيم: "ويظهر -والله أعلم بما أراد من كلامه- أن القسم في هذه السورة وقع علىٰ النوعين: الرياح، والملائكة. ووجه المناسبة: أن حياة الأرض والنبات وأبدان الحيوان بالرياح، فإنها من روح الله، وقد جعلها الله -تعالىٰ- نشورًا، وحياة القلوب والأرواح بالملائكة. فبهذين النوعين يحصل نوعا الحياة، ولهذا -والله أعلم- فصل أحد النوعين من الآخر (بالواو)، وجعل ما هو تابع لكل نوع بعده (بالفاء)". (١)

المقسم عليه:

﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ ﴾ أي: إنما توعدون من البعث والجزاء لواقع.

وجه التناسب بين المقسم به والمقسم عليه:

أقسم -تعالىٰ- بالرياح، وبالملائكة علىٰ المعاد والجزاء؛ لأن في الرياح والملائكة حياة الأبدان والأرواح. (٢)

ومن وجوه التناسب أيضًا: أن الله -تعالىٰ- أقسم بما تيقنوا وقوعه وشاهدوه -وهو الرياح بأوصافها- علىٰ وقوع ما يشكون في وقوعه -وهو البعث- ﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ ﴾.

قال الشيخ/ عطيه محمد سالم: "والواقع أن بين كل قسم ومقسم عليه مناسبة ارتباط في الجملة غالبًا، والله -تعالىٰ- يقسم بما شاء علىٰ ما شاء؛ لأن المقسم به من مخلوقاته، فاختيار ما يقسم به هنا أو هناك غالبًا يكون لنوع مناسبة، ولو تأملناه هنا

(١) التبيان في أيمان القرآن: ٢٢٨، ٢٢٩. وانظر: البحر المحيط: ١٠ / ٣٧٤، مفاتيح الغيب: ٣٠ / ٢٣٦، التحرير والتنوير: ٢٩ / ٤٢٠.

(٢) انظر: التبيان في أيمان القرآن: ٢٢٨، ٢٢٩.

لوجدنا المقسم عليه هو: يوم القيامة، وهم مكذبون به، فأقسم لهم بما فيه إثبات القدرة عليه، فالرياح عرفًا تأتي بالسحاب تنشره ثم يأتي المطر، ويحيي الله الأرض بعد موتها. وهذا من أدلة القدرة علىٰ البعث.

والعاصفات منها بشدة، وقد تقتلع الأشجار وتهدم البيوت مما لا طاقة لهم بها، ولا قدرة لهم عليها، وما فيها من الدلالة علىٰ الإهلاك والتدمير، وكلاهما دال علىٰ القدرة علىٰ البعث.

ثم تأتي الملائكة بالبيان والتوجيه والإعذار والإنذار: ﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ ﴾".[1]

(١) تتمة أضواء البيان: ٨ / ٦٨٦، ٦٨٧.

سورة النازعات

قال -تعالىٰ-: ﴿ وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا ۝١ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا ۝٢ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا ۝٣ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا ۝٤ فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا ﴾ [النازعات : ١-٥] .

المقسم به:

أقسم -تعالىٰ- في هذه السورة بخمسة أمور:

﴿ وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا ﴾ اختُلف في المراد بها علىٰ أقوال، **الأول**: الملائكة التي تنزع أرواح بني آدم من أجسادهم، وهو قول أكثر المفسرين. **الثاني**: الموت ينزع النفوس، قاله مجاهد. **الثالث**: النفوس حين تنزع، قاله السدي. **الرابع**: النجوم تنزع من أفق إلىٰ أفق، ومن المشرق إلىٰ المغرب، وهو قول: الحسن، وقتادة، واختاره: الأخفش، وأبو عبيدة. **الخامس**: القسي تنزع بالسهم، قاله عطاء.[1]

﴿ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا ﴾ اختلف المفسرون في المراد بها علىٰ أقوال، الأول: الملائكة تنشط نفس المؤمن، فتقبضها كما يُنشط العقال من البعير إذا حل، فهي تخرج بسرعة وخفة، وهذا قول أكثر أهل التفسير. **الثاني**: الموت ينشط الإنسان، قاله مجاهد. **الثالث**: النجوم تنشط من أفق إلىٰ أفق، قاله قتادة، واختاره أبو عبيدة.[2] **الرابع**: أنها الأوهاق، جمع: وهق، وهو الحبل في طرفه أنشوطة، تشد به الدواب والإنسان، قاله عطاء.[3]

(١) انظر: معاني القرآن للفراء: ٣ / ٢٣٠، مجاز القرآن: ٢ / ٢٨٤، تفسير غريب القرآن: ٥١٢، جامع البيان: ٢٤ / ٥٩، النكت والعيون: ٦ / ١٩٢، معالم التنزيل: ٨ / ٣٢٣، المحرر الوجيز: ١٥ / ٢٩٧، التبيان في أيمان القرآن: ٢٠٧، تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٤ / ٤٦٦.

(٢) هذا قوله في المجاز: ٢ / ٢٨٤، وقد نسب إليه الماوردي: ٦ / ١٩٣، والقرطبي: ٢٢ / ٤٠ أنه قال: الوحش حين تنشط من بلد إلىٰ بلد.

(٣) انظر: جامع البيان: ٢٤ / ٥٩، النكت والعيون: ٦ / ١٩٣، المحرر الوجيز: ١٥ / ٢٩٨، معالم التنزيل: ٨ / ٣٢٤، التبيان في أيمان القرآن: ٢١١، تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٤ / ٤٦٦، أضواء البيان: ٩ / ٢٢.

﴿ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا ﴾ فيها أقوال لأهل العلم، **أولها**: الموت يسبح في نفس ابن آدم، رواية عن مجاهد. **الثاني**: الملائكة ينزلون من السماء، مسرعين كالفرس الجواد، رواية عن مجاهد، وبه قال أبو صالح. **الثالث**: النجوم تسبح في فلكها، قاله قتادة، وأبو عبيدة. **الرابع**: السفن تسبح في الماء، قول عطاء بن أبي رباح. **الخامس**: نفوس المؤمنين تسبح بعد المفارقة صاعدة إلىٰ ربها. (١)

﴿ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا ﴾ قيل في معناها أقوال، **الأول**: أنها الملائكة، واختلف في سبقها: فقيل: تسبق ابن آدم بالخير، والإيمان، والعمل الصالح، وقيل: تسبق بأرواح المؤمنين إلىٰ الجنة، وقيل: تسبق الشياطين بالوحي إلىٰ الأنبياء. (٢). **الثاني**: الخيل السابقة. عطاء. **الثالث**: الموت يسبق الآمال. مجاهد. **الرابع**: النجوم يسبق بعضها بعضًا في السير. قتادة. (٣)

﴿ فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا ﴾ ممن حكىٰ الإجماع علىٰ أن المراد بها: الملائكة. ابن عطية، وابن القيم، وابن كثير. (٤)

وقد ذكر الماوردي خلافًا في ذلك، من أنها: الكواكب السبعة. ونسبه إلىٰ خالد بن معدان عن معاذ بن جبل. (٥)

قلت: ما ذكره الماوردي لا ينقض الإجماع؛ لعدم صحة هذا القول عن معاذ بن

(١) مجاز القرآن: ٢ / ٢٨٤، وانظر: المراجع السابقة.

(٢) الملائكة تسبق الشياطين، هذا قول الفراء: ٣ / ٢٣٠، وذكر ابن القيم: ٢١٣: أنه قول الفراء، والزجاج. وما في معاني القرآن للزجاج: ٥ / ٢٧٨ من باب حكاية الأقوال، وليس قولا له.

(٣) انظر هذه الأقوال، وغيرها: تفسير غريب القرآن: ٥١٢، جامع البيان: ٢٤ / ٦٤، النكت والعيون: ٤ / ١٩٣، معالم التنزيل: ٨ / ٣٢٥، المحرر الوجيز: ١٥: ٣٠٠، التبيان في أيمان القرآن: ٢١٢، تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٤ / ٤٦٦.

(٤) انظر: المحرر الوجيز: ١٥ / ٣٠٠، التبيان في أيمان القرآن: ٢١٤، تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٤ / ٤٦٦.

(٥) انظر: النكت والعيون: ٦ / ١٩٤.

جبل ﷺ.[1]

والذي يظهر هو حمل كل هذه الصفات علىٰ الملائكة، قال ابن القيم: "فأقسم بطوائف الملائكة وأصنافهم،﴿ وَٱلنَّٰزِعَٰتِ ﴾: التي تنزع الأرواح من الأجساد.﴿وَٱلنَّٰشِطَٰتِ ﴾: التي تنشطها، أي: تخرجها بسرعة وخفة، من قولهم: نشط الدلو من البئر، إذا أخرجها، وأنا أنشط بكذا أي: أخف له وأسرع.﴿ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ﴾: التي تسبح في الهواء في طريق ممرها إلىٰ ما أمرت به، كما تسبح الطير في الهواء.﴿فَٱلسَّٰبِقَٰتِ ﴾: التي تسبق وتسرع إلىٰ ما أمرت به، لا تبطئ عنه ولا تتأخر.﴿فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ ﴾ : التي تدبر أمور العباد التي أمرها ربها بتدبيرها، وهذا أولىٰ الأقوال".[2]

المقسم عليه:

قيل: إن جواب القسم قوله: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴾ ، وقيل: موجود في قوله : ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴾[3]، وقيل: ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴾[4]، وقيل: محذوف، تقديره: لتبعثن[5]، وقيل مما ترك للعلم به. قال الفراء: "ويسأل السائل: أين جواب القسم في النازعات؟ فهو مما ترك جوابُه لمعرفة السامعين بالمعنىٰ، وكأنه لو ظهر كان: لتبعثُنّ، ولتحاسبُنّ؛ ويدل علىٰ ذلك قولهم: (أئذا كنا عظامًا

(١) قال محقق التبيان في أيمان القرآن: ٢١٦"حكاه خالد بن معدان عن معاذ بن جبل –رضي الله عنه–، ولا يثبت؛ لأن خالد بن معدان لم يسمع من معاذ بن جبل، فروايته مرسلة". أ. هـ . وانظر : تهذيب التهذيب:٣/ ١١٨.
وقد شنع ابن القيم علىٰ من قال بهذا القول، من أنه ليس من أقوال أهل الإسلام. انظر: التبيان في أيمان القرآن: ٢١٦.

(٢) التبيان في أيمان القرآن: ٢١٠، ٢١١.

(٣) وهو قول ابن عاشور في التحرير: ٣٠/ ٦٦.

(٤) انظر:جامع البيان: ٢٤/ ٦٨، المحرر الوجيز: ١٥ / ٣٠٢، البحر المحيط: ١٠ / ٣٩٦.

(٥) انظر:معاني القرآن للزجاج: ٥ / ٢٧٨، الكشاف: ١١٧٥ البحر المحيط: ١٠ / ٣٩٦.

ناخرة)[١]، ألا ترىٰ أنه كالجواب لقوله: لتبعثن إذ قالوا: ﴿ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً ﴾ نبعث".[٢]

وقد ذكر ابن القيم توجيهًا لمن قال بهذا القول، حيث يقول: "وجواب القسم محذوف -يدل عليه السياق- وهو البعث المستلزم لصدق الرسول وثبوت القرآن، أو أنه من القسم الذي أريد به التنبيه علىٰ الدلالة والعبرة بالمقسم به، دون أن يراد به مقسمًا عليه بعينه، وهذا القسم يتضمن الجواب المقسم عليه وإن لم يذكر لفظًا، ولعل هذا مراد من قال: إنه محذوف للعلم به.

لكن هذا الوجه ألطف مسلكًا؛ فإن المقسم به إذا كان دالاً علىٰ المقسم عليه مستلزما استغنىٰ عن ذكره بذكره، وهذا غير كونه محذوفًا؛ لدلالة ما بعده عليه، فتأمله". [٣]

قلت: الذي يظهر –سواء قلنا بحذف جواب القسم، أو أنه غير محتاج إلىٰ جواب– أن المراد: الدلالة علىٰ وقوع البعث والجزاء، فالمقسم به يدل علىٰ هذا، وكذلك سياق الآيات هو حديث عن البعث، واستدلال عليه.

والبعث والنشور متضمن لصدق القرآن، وصدق ما أخبر به، وصدق المبلِّغ لهذا القرآن، رسول الله ﷺ، وهذه أمور ثلاثة متلازمة.

وجه التناسب بين المقسم به والمقسم عليه:

أن في المقسم به دلالة علىٰ البعث والجزاء، فنزع الأرواح، ونشطها، هو الموت المؤذن بالانتقال من الدنيا إلىٰ الآخرة، وفي السبح، والسبق، والتدبير، إشارة إلىٰ الموت أيضًا، فهي تسبح في الهواء إلىٰ ما أمرت به من النزع وغيره، وهي مسابقة إلىٰ تنفيذ أمر الله، وهي مدبرة للأمر الذي أمرت به، قال أبو السعود: "والمقسم عليه

(١)كذا عند الفراء.

(٢) معاني القرآن: ٣ / ٢٣١. وهو ما ذهب إليه ابن جرير كما في جامع البيان: ٢٤ / ٦٨.

(٣) التبيان في أيمان القرآن: ٢١٧، ٢١٨.

محذوف تعويلاً علىٰ إشارة ما قبله من المقسم به إليه، ودلالة ما بعده من أحوال القيامة عليه، وهو: لتبعثن، فإن الإقسام بمن يتولىٰ نزع الأرواح، ويقوم بتدبير أمورها، يلوح بكون المقسم عليه من قبيل تلك الأمور لا محالة وفيه من الجزالة مالا يخفي". (١)

• **وجه آخر**: أن في وصف الملائكة بهذه الصفات، وسرعة امتثالهم لأمر ربهم - فهم لا يعصون الله ويفعلون ما يؤمرون- فيه تعريض بهؤلاء المشركين، المعاندين، الذي لا يطيعون الله ويعصونه، ويكذِّبون رسوله، ويجحدون كتابه.

• **ووجه آخر**: أن في هذا القسم إشارة إلىٰ أن كل شيء في هذا العالم خلق لحكمة، فتنوع أعمال الملائكة، دليل علىٰ هذا، وهذا ينافي خلق الناس عبثًا، كما قال -تعالىٰ-: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴾ [المؤمنون : ١١٥-١١٦].

(١) إرشاد العقل السليم: ٩/ ٩٦.

سورة التكوير

قال -تعالىٰ-: ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ۝١٥ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ۝١٦ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ۝١٧ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ۝١٨ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴾ [التكوير : ١٥-١٩].

المقسم به:

أقسم سبحانه بثلاثة أمور:

﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ۝١٥ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ﴾ اختلف المفسرون في المراد بالموصوف بهذه الصفات الثلاث، علىٰ قولين، **الأول**: أن المراد النجوم، فهي تخنس أي: تختفي وتتوارىٰ عن الأنظار بالنهار، وتكنس أي: تدخل وقت غروبها. قال ابن القيم: "أقسم -سبحانه- بالنجوم في: طلوعها، وجريانها، وغروبها. هذا قول علي، وابن عباس، وعامة المفسرين، وهو الصواب". (١)

الثاني: أن المراد الظباء، أو بقر الوحش. وممن قال به: ابن مسعود، وجابر بن زيد، وابن عباس، وإبراهيم النخعي. (٢)

والذي يظهر هو قول جمهور المفسرين من أن المراد: النجوم، وقد أطال ابن القيم في الرد علىٰ أصحاب القول الثاني، حيث ذكر عشرة أوجه في الرد عليهم. (٣)

﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ﴾ واختُلف في معنىٰ (عسعس) هل هو بمعنىٰ: أدبر وذهب، أو بمعنىٰ: أقبل؟(٤) علىٰ قولين لأهل العلم، **الأول**: أن معنىٰ (عسعس) أدبر، وهذا قول الفراء، حيث قال: "اجتمع المفسرون علىٰ أن معنىٰ (عسعس):

(١) التبيان في أيمان القرآن: ١٨٤.

(٢) انظر: معاني القرآن للفراء: ٣ / ٢٤٢، جامع البيان: ٢٤، ٤٧٨، معالم التنزيل: ٨ / ٣٤٩، المحرر الوجيز: ١٥ / ٣٣٩، تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٤ / ٤٧٨، التبيان في أيمان القرآن: ١٨٤.

(٣) انظر: التبيان في أيمان القرآن: ١٨٦ – ١٨٩.

(٤) انظر: الأضداد لابن الأنباري ص٣٢.

أدبر". [1] واختار هذا القول الطبري، وابن القيم. [2] **الثاني**: أن المعنىٰ: أقبل الليل. وهذا اختيار ابن كثير، وابن عثيمين. [3]

قلت: ولعل الأولىٰ حمل هذا اللفظ علىٰ كلا المعنيين. وهذا ما ذهب إليه: المبرد، والخليل. [4]

قال ابن عاشور –بعد ذكره لقول المبرد–: "وبذلك يكون إيثار هذا الفعل؛ لإفادته كلا حالين صالحين للقسم به فيهما؛ لأنهما من مظاهر القدرة، إذ يعقب الظلام الضياء، ثم يعقب الضياء الظلام، وهذا إيجاز". [5]

﴿ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾ أي: أسفر. قال ابن عطية: "استطار واتسع ضوؤه". [6]

المقسم عليه:

﴿ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴾ أي: إن القرآن الكريم لتبليغ رسول كريم، والمراد به جبريل.

قال ابن القيم: "ثم ذكر –سبحانه– المقسم عليه وهو: القرآن، وأخبر أنه قول رسول كريم، وهو – ههنا –: جبريل قطعًا؛ لأنه ذكر صفته بعد ذلك بما يعينه به.

وأما الرسول الكريم في (الحاقة) فهو محمد؛ لأنه نفىٰ بعده أن يكون قول من زعم أعداؤه أنه قوله". [7]

(١) معاني القرآن: ٣ / ٢٤٢. وفيما ذكره الفراء نظر؛ حيث لا إجماع، إلا أن يكون مقصده الأكثرون.
(٢) انظر: جامع البيان: ٢٤ / ١٦١، التبيان في أيمان القرآن: ١٩٠، ١٩١.
(٣) انظر: البحر المحيط: ١٠ / ٤١٨، تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٤ / ٤٧٩، تفسير جزء عم لابن عثيمين: ٧٦.
(٤) انظر: المحرر الوجيز: ١٥ / ٣٤٠، البحر المحيط: ١٠ / ٤١٨.
(٥) التحرير والتنوير: ٣٠ / ١٥٤.
(٦) المحرر الوجيز: ١٥ / ٣٤١.
(٧) التبيان في أيمان القرآن: ١٩١.

وجه التناسب بين المقسم به والمقسم عليه:

إقسامه -تعالىٰ- بالخنس الجوار الكنس، للارتباط الوثيق بين النجوم في علوها، واهتداء الناس بها، وكونها رجومًا للشياطين، وبين القرآن في علوه، واهتداء الناس به.

قال ابن القيم: "إن الارتباط الذي بين النجوم التي هي هداية للسالكين، وزينة للسماء، ورجوم للشياطين، وبين المقسم عليه وهو القرآن، الذي هو هدىٰ للعالمين، وزينة للقلوب، وداحض لشبهات الشيطان: أعظم من الارتباط الذي بين البقر والظباء والقرآن". [١]

• وفي القسم بالليل إذا عسعس، إشارة إلىٰ نور القرآن إذا أقبل عليه القلب ولىٰ وذهب ما فيه من الظلمات، كما هو حال قلب المؤمن، وإذا ولىٰ القلب عن هذا النور أقبلت الظلمات عليه، كما هو حال قلب الكافر.

• وفي القسم بالصبح إذا تنفس أي: أضاء، إشارة إلىٰ وضوح كون هذا القرآن تنزيل من رب العالمين، كوضوح الصباح حين اتساع ضوءه. [٢]

(١) المرجع السابق: ١٨٩، وانظر أيضا: ٢٢٢، ٢٢٣.

(٢) انظر: تتمة أضواء البيان: ٩ / ٧١.

سورة الانشقاق

قال -تعالىٰ-: ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ ۝١٦ وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ ۝١٧ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ۝١٨ لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴾ [الانشقاق : ١٦-١٩] .

المقسم به:

أقسم -تعالىٰ- بثلاثة أمور:

﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴾ وهو الحمرة التي تظهر في الأفق عند غروب الشمس. وهو ما تدل عليه اللغة، والشرع، وهو قول جماهير المفسرين، والفقهاء، وأهل اللغة.(١)، وقيل: إن المراد بالشفق: النهار، وهو مروي عن مجاهد. (٢) وقد ضعَّف قول مجاهد: ابن عطية، وابن القيم. (٣) وقيل: إن الشفق هو: البياض الذي يعقب الحمرة. وهذا مروي عن: ابن عباس، وأبي هريرة، وعمر ابن عبد العزيز، والأوزاعي، وهو إحدىٰ الروايتين عن أبي حنيفة. (٤)

وذكر ابن جرير عن بعضهم: أنه من الأضداد، وأنه اسم للحمرة والبياض. (٥)

﴿ وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ ﴾ أي: والليل وما جمع، و ضم، وحوىٰ. (٦)

(١) انظر:معاني القرآن للفراء:٣/ ٢٥١، تفسير غريب القرآن:٥٢١، جامع البيان:٢٤ / ٢٤٣، معاني القرآن للزجاج:٥ / ٣٠٥، الكشاف:١١٩٠، معالم التزيل:٨ / ٣٧٥، المحرر الوجيز:١٥ / ٣٧٩،التبيان في أيمان القرآن:١٧٥، تفسير القرآن العظيم: ٤ / ٤٨٩.

(٢) انظر:جامع البيان: ٢٤ / ٢٤٤، تفسير القرآن العظيم: ٤ / ٤٨٩.

(٣) انظر:المحرر الوجيز: ١٥ / ٣٧٩، التبيان في أيمان القرآن: ١٧٧.

(٤) انظر:تفسير عبد الرزاق: ٢ / ٣٥٩، أحكام القرآن للجصاص: ٣ / ٧٠٩، أحكام القرآن لابن العربي: ٤ / ٣٦٨، المحرر الوجيز: ١٥ / ٣٧٩، الجامع لأحكام القرآن: ٢٢ / ١٦٦.

(٥) انظر:جامع البيان: ٢٤ / ٢٤٤.

(٦) انظر:جامع البيان: ٢٤/ ٢٤٥،معالم التنزيل: ٨ / ٣٧٥،المحرر الوجيز: ١٥/ ٣٧٩،التبيان في أيمان القرآن: ١٧٧.

﴿ وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴾ أي: اجتمع نوره، وتم بدرًا. (١)

المقسم عليه:

﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴾ ورد في هذه الآية قراءتان متواترتان: الأولىٰ: بفتح الباء (لتركبَن)، والثانية بضمها. (٢)

فمن قرأ بالضم فالخطاب للناس كافة، ومن قرأ بالفتح، فقد اختلف في المراد بالخطاب فيه، فقيل: الخطاب للرسول ﷺ، والمعنىٰ: لتركبن يا محمد حالاً بعد حال، واختُلف في المراد بذلك، لتركبن سماء بعد سماء، أو لتصعدن درجة بعد درجة، أو حالاً بعد حال من الأحوال التي تتقلب فيها. وقيل: الخطاب للسماء، فالسماء تتغير من حال إلىٰ حال. وقيل: خطاب للإنسان، أي: لتركبن أيها الإنسان حالاً بعد حال من مرض وصحة وغيره. (٣)

والذي يظهر -علىٰ كلتا القراءتين- أن المراد: لتركبن أيها الناس حالاً بعد حال من أهوال يوم القيامة؛ لدلالة ما قبلها وما بعدها من الآيات.

قال ابن جرير: "وأولىٰ القراءات في ذلك عندي بالصواب قراءة من قرأ بالتاء وبفتح الباء؛ لأن تأويل أهل التأويل من جميعهم بذلك ورد، وإن كان للقراءات الأخر وجوه مفهومة، وإذا كان الصواب من القراءة في ذلك ما ذكرنا، فالصواب من التأويل قول من قال: لتركبن أنت يا محمد حالاً بعد حال وأمرًا بعد أمر من الشدائد.

والمراد بذلك -وإن كان الخطاب إلىٰ رسول الله موجهًا- جميع الناس أنهم يلقون من شدائد يوم القيامة وأهواله أحوالاً.

---

(١) انظر: جامع البيان: ٢٤ / ٢٤٨، و المراجع السابقة.

(٢) قرأ بالأولىٰ قرأ ابن كثير، وحمزة، والكسائي، وخلف. والثانية قرأ بها الباقون. انظر: السبعة: ٦٧٧، النشر: ٢ / ٢٩٨

(٣) انظر: جامع البيان: ٢٤ / ٢٥٠، الكشف لمكي: ٢ / ٣٦٧، معالم التزيل: ٨ / ٣٧٥، التبيان في أيمان القرآن: ١٧٩، تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٤ / ٤٨٩.

وإنما قلنا: عُني بذلك ما ذكرنا؛ أن الكلام قبل قوله: ﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴾ جرىٰ بخطاب الجميع، وكذلك بعده فكان أشبه أن يكون ذلك نظير ما قبله وما بعده". (١)

وجه التناسب بين المقسم به والمقسم عليه:

أن في الإقسام بالشفق: انتقالاً من ضوء النهار إلىٰ ظلمة الليل، وفي الإقسام بالليل وما وسق: انتقالاً من النهار إلىٰ الليل، وفيما حواه من أحوال مختلفة، وفي الإقسام باتساق القمر، واكتماله بدرًا: انتقالاً من حال كونه هلالاً حتىٰ كان بدرًا، ثم عوده مرة أخرىٰ كالعرجون القديم، في ذلك كله أدل دليل علىٰ جواب القسم: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴾.

قال ابن عاشور: "ومناسبة الأمور المقسم بها هنا للمقسم عليه؛ لأن الشفق، والليل، والقمر تخالط أحوالاً بين الظلمة وظهور النور معها، أو في خلالها، وذلك مناسب لما في قوله: ﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴾ من تفاوت الأحوال التي يتخبط فيها الناس يوم القيامة، أو في حياتهم الدنيا، أو من ظهور أحوال خير في خلال أحوال شر، أو انتظار تغير الأحوال إلىٰ ما يرضيهم إن كان الخطاب للمسلمين خاصة.

ولعل ذكر الشفق إيماء إلىٰ أنه يشبه حالة انتهاء الدنيا؛ لأن غروب الشمس مثل حالة الموت، وأن ذكر الليل إيماء إلىٰ شدة الهول يوم الحساب، وذكر القمر إيماء إلىٰ حصول الرحمة للمؤمنين". (٢)

• **ووجه آخر**: أن في الإقسام بهذه الأشياء الثلاثة، دليلاً علىٰ التغيير، والانتقال من حال إلىٰ حال، وهذا لا يمكن أن يكون من غير فاعل ومدبر، فثبت أن الله هو المدبر، والفاعل في انتقالها من حال إلىٰ حال، وإذا كان ذلك كذلك، فهو دليل علىٰ

(١) جامع البيان: ٢٤ / ٢٥٦.
(٢) التحرير والتنوير: ٣٠ / ٢٢٦.

قدرة الله تعالىٰ علىٰ نقل هؤلاء الناس من حال إلىٰ حال في الدنيا، وبعد الممات.

قال الشيخ عطية محمد سالم: "ولو اعتبرنا حال المقسم به من حيث تطور الحال من شفق أو آخر ضوء الشمس ثم ليل، وما جمع وغطىٰ بظلامه، ثم قمر يبدأ هلالاً إلىٰ اتساق نوره، لكان انتقالاً من تغير حركات الزمن إلىٰ تغير أحوال الإنسان قطعًا، وأن القادر علىٰ ذلك في الدنيا قادر علىٰ ذلك في الآخرة". (١)

(١) تتمة أضواء البيان: ٩ / ١٢٣، وانظر: التبيان في أيمان القرآن: ١٨٣.

سورة البروج

قال تعالىٰ: ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ۝١ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝٣ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴾ [البروج : ١-٤] .

المقسم به:

﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ﴾ أقسم تعالىٰ بالسماء ذات البروج، واختلف في المراد بالبروج علىٰ أقوال: أنها النجوم، ويدخل في هذا القول قول من قال: هي الكواكب، وقيل: البروج: منازل الشمس والقمر التي تعرفها العرب، وهذا ما اختاره ابن جرير، وعليه الجمهور، وقيل: القصور العظام في السماء، وقيل: قصور في السماء للحرس، وقيل: ذات الخلق الحسن، وقيل: ذات الرمل والماء.(١)

فأما القولان الأخيران، فغير داخلين في معنىٰ البروج. وأما من قال: قصور في السماء للحرس، فلعل قصده: النجوم، حيث جعلت من أجل ذلك.

والذي يظهر أن المراد بالبروج: النجوم (٢)، ويدل عليه قوله تعالىٰ: ﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ۝١٦ وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴾ [الحجر : ١٦ ، ١٧] فهذه البروج هي التي زين الله بها السماء، وجعلها حفظًا من كل شيطان مارد، وقال تعالىٰ: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴾ [الفرقان : ٦١] . فاقترانها مع الشمس والقمر دليل علىٰ أن المراد بها النجوم، كما قرن تعالىٰ في مواضع من كتابه بين النجوم والكواكب الأخرىٰ.

وأيضًا فإن القول: بأنها منازل الشمس والقمر أثر من آثار النجوم، فإن ما يعرف

(١) انظر: جامع البيان: ١٤ / ٣٠، ١٧ / ٤٨٢، ٢٤ / ٢٦٠، المحرر الوجيز: ١٥ / ٣٨٤، تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٣ / ٣٢٣، ٤ / ٤٩١.

(٢) وهذا ما اختاره ابن كثير في تفسيره: ٢ / ٥٤٨، ٣ / ٣٢٣، ٤ / ٤٩١.

بالأبراج عند العرب عبارة عن مجموعة من النجوم، وسميت كل مجموعة منها بما تشبه.

قال ابن قتيبة: "البروج: بروج النجوم، وهي اثنا عشر برجًا". (١)

﴿ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡمَوۡعُودِ ﴾ اليوم الموعود، هو يوم القيامة، باتفاق المفسرين. (٢)

﴿ وَشَاهِدٖ وَمَشۡهُودٖ ﴾ اختلف المفسرون في المراد بـ (الشاهد والمشهود) على أقوال كثيرة. (٣)

وكلها ترجع إلى معنيين هما: الحضور، والإعلام. فأقسم -تعالى- بكل شاهد، وبكل مشهود، وما ذكر من الأقوال في تحديد الشاهد والمشهود فمن باب اختلاف التنوع.

قال ابن جرير: "والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال: إن الله أقسم بشاهد شَهِد، وبمشهود شُهِد، ولم يخبرنا مع إقسامه بذلك أي شاهد وأي مشهود أراد، وكل الذي ذكرنا أن العلماء قالوا، هو المعني مما يستحق أن يقال له: شاهد ومشهود". (٤)

المقسم عليه:

قيل: هو مذكور، واختلف هؤلاء في تعيينه، فقيل: ﴿ إِنَّ بَطۡشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ ﴾، وهذا يروى عن قتادة، وهو قول: المبرد، والزجاج. (٥)

(١) تفسير غريب القرآن: ٥٢٢.

(٢) انظر: المحرر الوجيز: ١٥ / ٣٨٤، الجامع لأحكام القرآن: ٢٢ / ١٨٠، البحر المحيط: ١٠ / ٤٤٣، تفسير القرآن العظيم: ٤ / ٤٩٢، التحرير والتنوير: ٣٠ / ٢٣٨.

(٣) انظر: جامع البيان: ٢٤ / ٢٦٤، معالم التنزيل: ٨ / ٣٨١، المحرر الوجيز: ١٥ / ٣٨٥، الجامع لأحكام القرآن: ٢٢ / ١٨١، تفسير القرآن العظيم: ٤ / ٤٩١.

(٤) جامع البيان: ٢٤ / ٢٧٠، وانظر: التبيان في أيمان القرآن: ١٤٠، ١٤٢.

(٥) انظر: جامع البيان: ٢٤ / ٢٧٦، معاني القرآن للزجاج: ٥ / ٣٠٧، البحر المحيط: ١٠ / ٤٤٣.

وقيل: ﴿ قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ۝٤ ﴾، وهو اختيار: أبي حيان، وابن عثيمين.[1]

وأجيب عن هذا القول: بأن العرب لا تحذف علامة جواب القسم من الكلام إذا أجابته.[2] وقيل: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ﴾.[3]

وذهب آخرون إلىٰ أن جواب القسم محذوف، واختلفوا في تقديره، فقيل: تقديره: لتبعثن، وقيل: حُذف؛ لدلالة قوله تعالىٰ: ﴿ قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ﴾ عليه، والتقدير: أنهم ملعونون –أي كفار قريش– كما لُعن أصحاب الأخدود. وهذا ما ذهب إليه: الزمخشري، والبيضاوي، وأبو السعود.[4]

وقريب من هذا القول ما ذهب إليه: البقاعي، وابن عاشور، من أن جواب القسم: ما في قصة أصحاب الأخدود من العظة والاعتبار، والوعد للمؤمنين، والوعيد للمكذبين.[5]

وذهب آخرون إلىٰ أن القسم مما ترك جوابه، وهذا قول الفراء، واختيار الطبري، وابن القيم.[6]

والمختار في جواب القسم: أنه محذوف، وهو ما تضمنته قصة أصحاب الأخدود، يقول الزمخشري: "فإن قلت: أين جواب القسم؟ قلت: محذوف يدل عليه قوله: ﴿ قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ﴾ كأنه قيل: أقسم بهذه الأشياء أنهم ملعونون، يعني كفار قريش كما لُعن أصحاب الأخدود؛ وذلك أن السورة وردت في تثبيت المؤمنين، وتصبيرهم علىٰ أذىٰ أهل مكة، وتذكيرهم بما جرىٰ علىٰ من تقدّمهم: من التعذيب علىٰ الإيمان، وإلحاق أنواع الأذىٰ، وصبرهم وثباتهم، حتىٰ يأنسوا بهم،

(١) انظر: جامع البيان: ٢٤ / ٢٧٧، البحر المحيط: ١٠ / ٤٤٣، تفسير جزء عم: ١٣٥.
(٢) انظر: معاني القرآن للفراء: ٣ / ٢٥٣، جامع البيان: ٢٤ / ٢٧٧.
(٣) انظر: المحرر الوجيز: ١٥ / ٣٨٩، البحر المحيط: ١٠ / ٤٤٣.
(٤) انظر: الكشاف: ١١٩١، أنوار التنزيل: ٥ / ١٨٠، إرشاد العقل السليم: ٩ / ١٣٥.
(٥) انظر: نظم الدرر: ٨ / ٣٧٧، التحرير والتنوير: ٣٠ / ٢٣٧، ٢٣٨.
(٦) انظر: معاني القرآن: ٣ / ٢٥٣، جامع البيان: ٢٤ / ٢٧٧، التبيان في أيمان القرآن: ١٤٣.

ويصبروا علىٰ ما كانوا يلقون من قومهم، ويعلموا أن كفارهم عند الله بمنزلة أولئك المعذبين المحرقين بالنار، ملعونين أحقاء بأن يقال فيهم: قتلت قريش، كما قيل: قتل أصحاب الأخدود". (١)

ويدل علىٰ هذا أيضًا أن هذا هو الغرض من هذه السورة، ولذا نجدها أشارت إلىٰ هلاك المكذبين: أصحاب الأخدود، فرعون، ثمود، ثم ختمت السورة بالحديث عن قدرة الله –تعالىٰ–، فتضمنت السورة التهديد للكافرين، والبشارة للمؤمنين. (٢)

ويدخل في هذا القول قول من قال: محذوف تقديره (لتبعثن) فإن ضمن القصة إيماء إلىٰ عقوبة المكذبين يوم القيامة، ﴿ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴾.

وجه التناسب بين المقسم به والمقسم عليه:

أقسم –سبحانه– بالسماء ذات البروج؛ لما فيها من عظيم الخلق، وبديع الصنع، ما يشهد علىٰ حكمة الله، المقتضية أن يكون هناك ثواب للمطيعين، وعقاب للعصاة المكذبين، ثم أقسم باليوم الموعود، وهو يوم القيامة، الذي يكون فيه الجزاء والحساب، فإقسامه به يدل علىٰ تحقق وقوعه، ثم أقسم بكل شاهد ومشهود، ففي يوم الجزاء والحساب تكون الشهادة –إن كانت الشهادة من الإعلام– فتشهد الأرض، والجوارح، والأنبياء، وغيرهم علىٰ ما حصل من المكذبين في الدنيا، وفي ذلك اليوم يشهد الجميع ويحضرون –إن كانت الشهادة من الحضور– ﴿ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴾ [هود : ١٠٣]، ففيه دلالة علىٰ شهود الناس لذلك اليوم المشهود، وتحقق وقوعه، وتحقق ما فيه من الوعد والوعيد.

• وقد ذكر ابن عاشور وجهًا آخر، حيث قال: "ومناسبة القسم لما أقسم عليه:

(١) الكشاف: ١١٩١.

(٢) انظر: نظم الدرر: ٨ / ٣٧٧، ٣٧٨.

أن المقسم عليه تضمن العبرة بقصة أصحاب الأخدود، ولما كانت الأخاديد خطوطًا، مجعولة في الأرض، مستعرة بالنار، أقسم علىٰ ما تضمنها، بالسماء بقيد صفة من صفاتها التي يلوح بها للناظرين في نجومها، ما أسماه العرب بروجًا، وهي تشبه دارات متلألئة بأنوار النجوم اللامعة الشبيهة بتلهب النار.

وأما مناسبة القسم باليوم الموعود؛ فلأنه يوم القيامة باتفاق أهل التأويل، مع ما في القسم به من إدماج الإيماء إلىٰ وعيد أصحاب القصة المقسم علىٰ مضمونها، ووعيد أمثالهم المعرض بهم.

ومناسبة القسم (وشاهد ومشهود) علىٰ اختلاف تأويلاته، ستذكر عند ذكر التأويلات، وهي قريبة من مناسبة القسم باليوم الموعود، ويقابله في المقسم عليه قوله: ﴿ وَهُمۡ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ شُهُودٞ ﴾ ". [1]

(١) التحرير والتنوير: ٣٠/ ٢٣٧، ٢٣٨.

سورة الطارق

قال –تعالىٰ–: ﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ ۝٣ إِن كُلُّ نَفۡسٖ لَّمَّا عَلَيۡهَا حَافِظٞ ﴾ [الطارق: ١-٤].

المقسم به:

﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ ﴾ أقسم ربنا ﷻ بالسماء، ثم أقسم بالطارق، وجعله مبهمًا، ثم عظمه بقوله تعالىٰ: ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ﴾، ثم فسره بأنه: ﴿ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ ﴾.

واختُلف في المراد بالنجم الثاقب، فقيل: هو النجم المضيء، قال ابن عباس: هي الكواكب المضيئة، وثقوبه إذا أضاء، وقيل: يثقب الشياطين إذا أرسل عليها، وقيل: أريد به نجم مخصوص، فعن ابن عباس: أنه الجدي،وعن ابن زيد: أنه الثريا، وعنه أيضًا: أنه زحل. (١)

والذي يظهر: أن المراد بالنجم الثاقب الجنس لا العين. (٢)

المقسم عليه:

﴿ إِن كُلُّ نَفۡسٖ لَّمَّا عَلَيۡهَا حَافِظٞ ﴾. وكون النفس عليها حافظ يحتمل: أن يكون حافظ من الله يحفظها، ويعتني بها، كما قال –تعالىٰ–: ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ﴾ [الرعد :١١]، ويحتمل: أن يكون المراد: كل نفس عليها حافظ يحفظ أعمالها، ويحصيها، كما قال –تعالىٰ–: ﴿ وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامٗا كَٰتِبِينَ ﴾ [الانفطار : ١٠-١١]، وقوله تعالىٰ: ﴿ مَّا

(١) انظر: جامع البيان: ٢٤ / ٢٨٩، النكت والعيون: ٦ / ٢٤٦، المحرر الوجيز: ١٥ / ٣٩٧، الجامع لأحكام القرآن: ٢٢ / ٢٠١، تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٤ / ٤٩٧.

(٢) انظر: التبيان في أيمان القرآن: ١٥٧.

يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق : ١٨]. (١)

والآية تشمل كلا المعنيين، فإن ذكر حفظ النفس، والاعتناء بها: زيادة نعمة، وبيان أنها لم تترك سدىٰ، بل حفظت، وحفظ عليها عملها.

قال ابن القيم: "والمقسم عليه –ههنا–: حال النفس الإنسانية، والاعتناء بها، وإقامة الحفظة عليها، وأنها لم تترك سدىٰ، بل قد أرصد عليها من يحفظ عليها أعمالها ويحصيها، فأقسم سبحانه أنه ما من نفس إلا عليها حافظ من الملائكة يحفظ عملها وقولها، ويحصي ما تكتسب من خير أو شر". (٢)

والغرض من القسم هنا: إثبات البعث والجزاء، فإن الحفظ للإنسان، وحفظ أعماله يستلزم جزاءً، وهذا الجزاء بعد البعث والنشور. (٣)

وجه التناسب بين المقسم به والمقسم عليه:

أقسم –سبحانه– بالسماء، وبالطارق، وكلاهما يسيران علىٰ نظام دقيق، محفوظين من الخروج عن مسارهما، وهذا دليل علىٰ حفظ الإنسان.

قال البقاعي: "ودل علىٰ حفظ ما خلق لأجلها من هذه الأشياء المقسم بها علىٰ حفظ الإنسان؛ لأنها إذا كانت محفوظة عن أدنىٰ زيغ، وهي مخلوقة لتدبير مصالحه فما الظن به ؟" (٤)

• **ووجه آخر**: أن النجم حافظ للسماء من كل شيطان مارد، فناسب أن يقسم بالمحفوظ والحافظ، علىٰ حفظ الإنسان، وحفظ أعماله.

(١) انظر:جامع البيان: ٢٤ / ٢٩١، تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٤ / ٤٩٧، فتح القدير: ٥ / ٤٨٧.
(٢) التبيان في أيمان القرآن: ١٥٨.
(٣) انظر:التحرير والتنوير: ٣٠ / ٢٦٠.
(٤) نظم الدرر: ٨ / ٣٨٦.

سورة الطارق

قال تعالىٰ: ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ﴿١١﴾ وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ ﴾ [الطارق : ١١-١٤].

المقسم به:

أقسم -تعالىٰ- بأمرين هما:

﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ﴾ وذات الرجع أي: المطر، وسمي المطر: رجعًا؛ لأنه يجيء ويرجع ويتكرر، وقيل: لأنه يرجع إلىٰ الأرض. [١]، وروي عن ابن عباس: أنه السحاب فيه المطر. وهو قريب من القول السابق، وروي عن ابن زيد: الرجع: مصدر من رجوع الشمس، والقمر، والكواكب، من حال إلىٰ حال، ومن منزلة إلىٰ منزلة، وروي عن الحسن، وقتادة: ترجع بأرزاق العباد كل عام. [٢]

والذي يظهر: أن الآية تحتمل أن يراد بها: المطر، والرزق، وكل خير من السماء، وإن كان الأنسب هو: المطر؛ لمقابلته بالصدع، وهو النبات الناشئ عن هذا المطر، وبذلك فسره عامة المفسرين.

﴿ وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ ﴾ أي: ذات النبات؛ لأن الأرض تتصدع عنه، أي: تشقق. [٣]

المقسم عليه:

﴿ إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ ﴾ اختُلف في مرجع الضمير (إنه)،

(١) انظر: جامع البيان: ٢٤ / ٣٠٢، معاني القرآن للزجاج: ٥ / ٣١٢، المحرر الوجيز: ١٥ / ٤٠٣، تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٤ / ٤٩٨.

(٢) انظر : المراجع السابقة ما عدا: معاني القرآن.

(٣) انظر: جامع البيان: ٢٤ / ٣٠٢، المحرر الوجيز: ١٥ / ٤٠٣، الجامع لأحكام القرآن: ٢٢ / ٢٦٦، تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٤ / ٤٩٨.

فقيل: راجع إلىٰ القرآن -وإن لم يتقدم له ذكر، إلا أنه معلوم من المقام- وهذا ما عليه جمهور المفسرين، وقيل: راجع إلىٰ إثبات البعث والنشور، في قوله -تعالىٰ-: ﴿ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ۝٨ ﴾.

وأجاز هذا القول أبو حيان، واختاره الرازي، وعطية محمد سالم. (١)

ولا مانع من حمل الآية علىٰ كلا المعنيين، فإن القرآن متضمن للإيمان بالبعث، كما أن البعث متضمن لصدق القرآن، ومن جاء به، إلا أن الأنسب لسياق الآيات: القول الثاني، فآيات السورة تتحدث عن البعث، من: حفظ الأعمال، والمجازاة بها، والتذكير بأصل خلق الإنسان، استدلالا علىٰ قدرته تعالىٰ علىٰ إرجاعه.

وأيضًا: فإن من الأدلة التي يستدل بها القرآن علىٰ إثبات البعث: إحياء الأرض بعد موتها، وهذا كثير في القرآن، فناسب أن يكون المقسم عليه هنا: البعث؛ للاستشهاد علىٰ ذلك بإحياء الأرض بعد موتها.

وجه التناسب بين المقسم به والمقسم عليه:

علىٰ قول من قال: بأن المقسم عليه صدق القرآن، فوجه المناسبة: أن الماء به حياة الأرض، وبالقرآن حياة القلوب.

قال ابن عاشور: "وذكر من أحوال السماء ما له مناسبة بالمقسم عليه، وهو الغيث الذي به صلاح الناس، فإن إصلاح القرآن للناس كإصلاح المطر". (٢)

• وعلىٰ قول من قال: بأن جواب القسم هو: إثبات البعث والنشور، فالمناسبة واضحة، من حيث الاستدلال بإحياء الأرض بعد موتها، علىٰ إحياء الموتىٰ بعد موتهم.

(١) انظر: جامع البيان: ٢٤ / ٣٠٦، المحرر الوجيز: ١٥ / ٤٠٣، مفاتيح الغيب: ٣١ / ١٢١، الجامع لأحكام القرآن: ٢٢ / ٢١٦، البحر المحيط: ١٠ / ٤٥٣، التبيان في أيمان القرآن: ١٧٢، التحرير والتنوير: ٣٠ / ٢٦٦، تتمة أضواء البيان: ٩ / ١٦٣.

(٢) التحرير والتنوير: ٣٠ / ٢٦٦. وانظر: تفسير جزء عم لابن عثيمين: ١٥٥.

سورة الفجر

قال –تعالىٰ–: ﴿ وَٱلۡفَجۡرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشۡرٍ ۝٢ وَٱلشَّفۡعِ وَٱلۡوَتۡرِ ۝٣ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ ﴾. [الفجر : ١-٤].

المقسم به:

أقسم –سبحانه– في هذه السورة بخمسة أمور:

﴿ وَٱلۡفَجۡرِ ﴾ . قيل: هو الفجر المعروف، وهو الصبح، الذي هو انفجار الظلمة عن النهار من كل يوم، وهذا قول جمهور المفسرين، وقيل: إنه فجر معين، وهو فجر يوم النحر، وهذا القول مناسب لقول من قال: بأن الليالي العشر، عشر ذي الحجة، وقيل: صلاة الفجر، التي تفعل في ذلك الوقت. وقيل: غير ذلك. (١)

والذي يظهر من لفظ الفجر، أن المراد به: الصبح، وهو متضمن لصلاة الفجر؛ لفعلها فيه، ومتضمن لفجر يوم عرفة.

﴿ وَلَيَالٍ عَشۡرٍ ﴾. وهي عشر ذي الحجة، في قول جمهور المفسرين من السلف والخلف، وهو اختيار أكثر أهل التفسير، وقيل: هي العشر الأواخر من رمضان، وهي رواية عن: ابن عباس، والضحاك، واختار هذا القول الشيخ ابن عثيمين. (٢)

﴿ وَٱلشَّفۡعِ وَٱلۡوَتۡرِ ﴾. اختُلف في المراد بالشفع والوتر، علىٰ أقوال كثيرة، أوصلها بعضهم إلىٰ أكثر من ثلاثين قولاً. (٣)

(١) انظر: جامع البيان: ٢٤ / ٣٤٤، المحرر الوجيز: ١٥ / ٤٣٠، الجامع لأحكام القرآن: ٢٢ / ٢٥٦، تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٤ / ٥٠٥.

(٢) انظر: جامع البيان: ٢٤ / ٣٤٥، معالم التنزيل: ٨ / ٤١٥، المحرر الوجيز: ١٥ / ٤٣١، الجامع لأحكام القرآن: ٢٢ / ٢٥٧، تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٤/ ٥٠٥، التحرير والتنوير: ٣ / ٣١٣، تفسير جزء عم لابن عثيمين: ١٩٣.

(٣) انظر: تفسير غريب القرآن: ٥٢٦، جامع البيان: ٢٤ / ٣٤٨، المحرر الوجيز: ١٥ / ٤٣٣، البحر المحيط: ١٠ / ٤٧٠، تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٤ / ٥٠٥.

وما ذكره المفسرون في معنىٰ هذه الآية، هو من باب التمثيل، ومرجعها إلىٰ أمرين، قال ابن القيم: "وذكرت أقوال أخر، هذه أصولها، ومدارها كلها علىٰ قولين: أحدهما: أن الشفع والوتر نوعان للمخلوقات، والمأمورات. والثاني: أن الوتر الخالق، والشفع المخلوق. وعلىٰ هذا القول فيكون قد جمع في القسم بين الخالق والمخلوق". (١)

﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ ﴾. أي: ذهب، وسار. هذا قول الجمهور(٢)، وذهب ابن قتيبة إلىٰ أن المراد: يُسرىٰ فيه. (٣)

وذهب ابن كثير إلىٰ معنىٰ مغاير لما ذُكر عن جمهور المفسرين، حيث يرىٰ أن المراد: إقبال الليل. قال ابن كثير: "ويحتمل أن يكون المراد: إذا سار، أي: أقبل، وقد يقال: إن هذا أنسب؛ لأنه في مقابلة قوله: (والفجر) فإن الفجر هو: إقبال النهار وإدبار الليل، فإذا حمل قوله: (والليل إذا يسر) علىٰ إقباله، كان قسمًا بإقبال الليل وإدبار النهار، وبالعكس". (٤)

وهذه الأقوال علىٰ أن المراد بالليل: العموم –وهو الظاهر– وذهب البعض إلىٰ أنه ليل مخصوص، وأن المراد: ليلة جمع، ليلة المزدلفة. (٥)

المقسم عليه:

قيل: بأن جواب القسم قوله –تعالىٰ–: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ ﴿١٤﴾ ﴾، وهو ما حكاه القرطبي وأبو حيان عن ابن الأنباري(٦)، وقيل: بأنه محذوف، تقديره: ليُعذبن،

(١) التبيان في أيمان القرآن: ٤٧.

(٢) انظر:المحرر الوجيز: ١٥ / ٤٣٤.

(٣) انظر:تفسير غريب القرآن: ٥٢٦. وهو اختيار القرطبي، وحكىٰ أنه قول أكثر أهل المعاني. الجامع لأحكام القرآن: ٢٢ / ٢٦١.

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٤ / ٥٠٦.

(٥) انظر:جامع البيان: ٢٤ / ٣٥٨، معالم التنزيل: ٨ / ٤١٧، تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٤ / ٥٠٧.

(٦) انظر:الجامع لأحكام القرآن: ٢٢ / ٢٦٣، البحر المحيط: ١٠ / ٤٧١. وقد رد هذا القول وضعفه: =

وهذا ما ذهب إليه الزمخشري[١]، وذهب أبو حيان إلىٰ: أنه محذوف، يدل عليه ما قبله من سورة الغاشية، وتقديره: لإيابهم إلينا، وحسابهم علينا.[٢]

ويرىٰ السعدي: أن المقسم عليه هو المقسم به.[٣]

والذي يظهر: أن الجواب مضمن في ذكر الله قصص الأمم السابقة، المتجبرة التي قصمها الله -تعالىٰ-، ثم قال -تعالىٰ- بعد ذلك: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴾ لكل من عمل عملهم، من المكذبين بالقرآن، وبالرسول ﷺ، وبالبعث والنشور.

قال ابن القيم: "فلما تضمن هذا القسم ما جاء به إبراهيم ومحمد -صلىٰ الله عليهما وسلم- كان في ذلك ما دل علىٰ المقسم عليه، ولهذا عقب القسم بقوله تعالىٰ: ﴿ هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ۝٥ ﴾، فإن عظمة هذا المقسم به يُعرف بالنبوة، وذلك يحتاج إلىٰ حجر يحجر صاحبه عن الغفلة واتباع الهوىٰ، ويحمله علىٰ اتباع الرسل، لئلا يصيبه ما أصاب من كذب الرسل كعاد، وفرعون، وثمود".[٤]

وجه التناسب بين المقسم به والمقسم عليه:

في الإقسام بالفجر -الفجر المعروف- استدلال بقدرة الله -سبحانه- في الذهاب بالليل، والإتيان بالنهار، علىٰ قدرته -تعالىٰ- في الذهاب بكفار قريش، وبكل مكذب، كما ذهب بقوم عاد، وفرعون، وثمود.

وفي انبثاق الفجر، وقيام الناس من نومهم، شبه ببعث الناس من قبورهم.

• وأما القسم بالليالي العشر -إن أريد بها عشر ذي الحجة- ففيه بيان أن هذه الليالي مشتملة علىٰ كثير من المناسك، المقصود منها تحقيق كمال العبودية لله

=

ابن القيم، التبيان في أيمان القرآن: ٤٠.

(١) انظر: الكشاف: ١١٩٩. واختاره القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: ٢٢ / ٢٦٣.

(٢) انظر: البحر المحيط: ١٠ / ٤٧١. ومال إلىٰ هذا عطية سالم: تتمة أضواء البيان: ٩ / ٢١٣.

(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن: ٨٥٣.

(٤) التبيان في أيمان القرآن: ٤٨.

تعالىٰ، وتمام الخضوع له، علىٰ خلاف حال هؤلاء المكذبين.

قال ابن القيم: "إن الفجر و الليالي العشر زمن يتضمن أفعالاً معظمة، والعشر هو: عشر ذي الحجة، وهو يتضمن أفعالاً معظمة من المناسك، وأمكنة معظمة، وهي محلها، وذلك من شعائر الله المتضمنة خضوع العبد لربه، فإن الحج والنسك عبودية محضة لله، وذل وخضوع لعظمته، وذلك ضد ما وصف به عادا، وثمود، وفرعون من العتو والتكبر والتجبر، فإن النسك يتضمن غاية الخضوع لله، وهؤلاء الأمم عتوا وتكبروا عن أمر ربهم". (١)

• وفي القسم بالليالي العشر –إن أريد بها العشر الأواخر من رمضان– إشارة إلىٰ ليلة القدر، التي أنزل فيها هذا القرآن العظيم، المتضمن الحديث عن قصص هؤلاء المكذبين، وما حل بهم، والتحذير من فعلهم، والمتضمن وجوب الإيمان بالبعث والنشور، وتصديق الرسول ﷺ.

• وفي القسم بالشفع والوتر –وهو عموم يشمل كل شفع ووتر– قسم بكل الوجود، ما نراه منه، وما لا نراه، وما نعلمه، وما لا نعلمه، وهذا نظير قوله –تعالىٰ–: ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ ۝٣٨ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ ﴾ [الحاقة : ٣٨ ، ٣٩] . وقد سبق بيان دلالة القسم بها علىٰ صدق الرسول ﷺ، وكون هذا القرآن حق.

• وفي القسم بالليل إذا يسر، أي: ذهب: بيان لقدرة الله –تعالىٰ– في الذهاب بالمكذبين، والإتيان بغيرهم، كما يذهب بهذا الليل ويأتي بالنهار بعده.

• وفيه تشبيه قيام الناس للبعث والنشور بقيامهم من النوم بعد ذهاب الليل.

(١) التبيان في أيمان القرآن: ٤٠، ٤٣.

سورة البلد

قال تعالىٰ: ﴿ لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝٢ وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ ۝٣ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ ﴾ [البلد : ١-٤] .

المقسم به:

﴿ لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ﴾ أقسم -تعالىٰ- بالبلد، وهو: مكة في قول جميع المفسرين. (١)

أما قوله -تعالىٰ-: ﴿ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ﴾ فما عليه السلف في تفسير هذه الآية أنه: إحلال مكة لرسول الله ﷺ عام الفتح. (٢)

وعلىٰ هذا تكون هذه الجملة اعتراضية بين ما أقسم الله به من: ﴿ ٱلۡبَلَدِ ﴾ وما أقسم به: ﴿ وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ ﴾، وهذا ما ذهب إليه: الزمخشري، وابن عاشور، والذي يظهر من كلام المفسرين(٣)، وذهب البيضاوي، وعطية محمد سالم إلىٰ: تقييد القسم بمكة حال كونه ﷺ حالاً ومقيمًا فيها(٤)، وذهب الشيخ ابن عثيمين، إلىٰ: تقييد القسم بمكة حال كونها حلاً لرسول الله ﷺ. (٥)

والذي يظهر: أنها جملة اعتراضية، ومما لاشك فيه أن أشرف حالة لمكة كانت عند فتحها، لكن هذا لا يفيد تقييد القسم بها في هذه الحالة دون غيرها؛ لأنه قد أقسم الله بها مطلقًا، كما في سورة التين.

﴿ وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ ﴾، اختُلف في المراد بالوالد وما ولد، فقيل المقصود

(١) نقل الإجماع علىٰ ذلك ابن عطية: المحرر الوجيز: ١٥/ ٤٥٤، والقرطبي: الجامع لأحكام القرآن ٢٢/ ٢٨٩.

(٢) انظر: جامع البيان: ٢٤ / ٤٠٢ .

(٣) انظر: الكشاف: ١٢٠٣، التحرير والتنوير: ٣٠ / ٣٤٧.

(٤) انظر: أنوار التنزيل: ٥ / ١٨٦، تتمة أضواء البيان: ٩ / ٢٢٥.

(٥) انظر: تفسير جزء عم: ٢١٥.

(بالوالد): كل والد، (وما ولد): كل عاقر لم يلد، وهو مروي عن: ابن عباس، وعكرمة [١]. وعلىٰ هذا القول تكون (ما) نافية. وقد اعترض علىٰ هذا القول: القرطبي، وأبو حيان. [٢]

وقيل (الوالد): آدم، (وما ولد): ولَدُه. وهذا قول جمهور المفسرين [٣]، وقيل (الولد) : إبراهيم، (وما ولد): ذريته. [٤] واختار هذا القول: الزمخشري، وابن عاشور. [٥]

وقيل: هو علىٰ العموم في كل والد وكل مولود، وهذا يروىٰ عن ابن عباس، واختاره ابن جرير، وقال باحتماله ابن كثير. [٦]

المقسم عليه:

﴿ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ ﴾. وقد اختُلف في المراد بالكبد، فقيل: إن الإنسان خلق يكابد أمر الدنيا، وأمر الآخرة، فيكون المراد بالكبد: المشقة، والعناء، والتعب، وهذا قول جمهور المفسرين[٧]، وقيل: إن الإنسان خُلق منتصبًا، معتدل القامة، فيكون معنىٰ الكبد: الاستواء، والاستقامة [٨]، وقيل: إن الإنسان خُلق في السماء، والمراد به: آدم خلقه الله في السماء، قاله ابن زيد، وعلىٰ هذا فيكون معنىٰ

(١) انظر:جامع البيان: ٢٤ / ٤٠٦، تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٤ / ٥١١.
(٢) انظر:الجامع لأحكام القرآن: ٢٢ / ٢٩١، البحر المحيط: ١٠ / ٤٨١.
(٣) انظر:جامع البيان: ٢٤ / ٤٠٦، معالم التنزيل: ٨ / ٤٣٠، المحرر الوجيز: ١٥ / ٤٥٤، الجامع لأحكام القرآن: ٢٢ / ٢٩١، التبيان في أيمان القرآن: ٥٧.
(٤) انظر : المراجع السابقة، ما عدا التبيان في أيمان القرآن.
(٥) انظر:الكشاف: ١٢٠٣، التحرير والتنوير: ٣٠ / ٣٤٩ .
(٦) انظر:جامع البيان: ٢٤ / ٤٠٨، تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٤ / ٥١٢.
(٧) انظر:جامع البيان: ٢٤ / ٤٠٨ -٤١٢، معالم التنزيل: ٨ / ٤٣٠، المحرر الوجيز: ١٥ / ٤٥٥، الجامع لأحكام القرآن: ٢٢ / ٢٩٢، التبيان في أيمان القرآن: ٥٢، تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٤/ ٥١٢.
(٨) انظر: المراجع السابقة.

الكبد: السماء. [١]

وعلىٰ كل هذه الأقوال السابقة فالمراد بالإنسان: جنس الإنسان، فتشمل كل الناس.

وقد ذهب ابن عاشور: إلىٰ أنه جنس الإنسان، لكن يراد به الخصوص.

قال ابن عاشور: "والإنسان يجوز أن يراد به: الجنس، وهو الأظهر، وقول جمهور المفسرين، فالتعريف فيه تعريف الجنس، ويكون المراد به خصوص أهل الشرك؛ لأن قوله: ﴿ أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ۝٥ ﴾ إلىٰ آخر الآيات لا يليق إلا بأحوال غير المؤمنين، فالعموم عموم عرفي، أي: الإنسان في عرف الناس يومئذ، ولم يكن المسلمون إلا نفرًا قليلاً، ولذلك كثر في القرآن إطلاق الإنسان مرادًا به الكافرون من الناس". [٢]

وقال: "وقد تعددت أقوال المفسرين في تقرير المراد بالكبد، ولم يعرج واحد منهم علىٰ ربط المناسبة بين ما يفسر به الكبد وبين السياق المسوق له الكلام، وافتتاحه بالقسم المشعر بالتأكيد وتوقع الإنكار، حتىٰ كأنهم بصدد تفسير كلمة مفردة ليست واقعة في كلام يجب التئامه، ويحق وئامه.

وقد غضوا النظر عن موقع فعل: ﴿ خَلَقْنَا ﴾ علىٰ تفسيرهم الكبد؛ إذ يكون فعل: ﴿ خَلَقْنَا ﴾ كمعذرة للإنسان الكافر في ملازمة الكبد له إذ هو مخلوق فيه.

---

(١) انظر: جامع البيان: ٢٤ / ٤١٢، الجامع لأحكام القرآن: ٢٢ / ٢٩٣، تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٤ / ٥١٢.

اعترض علىٰ تفسير الكبد بالسماء، وأنه لم يرد في كتب اللغة بهذا المعنىٰ. تفسير جزء عم د. مساعد الطيار: ١٤٩.

قلت: وإن كان هذا نص قول ابن زيد، إلا أن مقصده بكبد السماء: وسط السماء، ولذا نجد الماوردي، والقرطبي عند حكايتهم لقول ابن زيد، يفسرون كبد السماء بوسط السماء. انظر: النكت والعيون: ٦ / ٢٧٦، الجامع لأحكام القرآن: ٢٢ / ٢٩٣ .

(٢) التحرير والتنوير: ٣٠ / ٣٥٠.

وذلك يحط من شدة التوبيخ والذم، فالذي يلتئم مع السياق ويناسب القسم أن الكبد التعب الذي يلازم أصحاب الشرك من اعتقادهم تعدد الآلهة، واضطراب رأيهم في الجمع بين ادعاء الشركاء لله تعالىٰ وبين توجههم إلىٰ الله بطلب الرزق وبطلب النجاة إذا أصابهم ضر، ومن إحالتهم البعث بعد الموت مع اعترافهم بالخلق الأول.

فقوله: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴾ ليس دليلاً مقصودًا وحده، بل هو توطئة لقوله: ﴿ أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴾، والمقصود إثبات إعادة خلق الإنسان بعد الموت للبعث والجزاء، الذي أنكروه، وابتدأهم القرآن بإثباته في سور كثيرة من السور الأولىٰ". (١)

قلت: والذي يظهر هو: أن الإنسان – من حيث جنسه – خُلق في كبد، فيكون المراد: أن ما يصيب الإنسان من كبد ومشقة في هذه الدنيا يشترك فيه المؤمن والكافر، فما يصيب المؤمن فهو رفعة لدرجاته، من باب الابتلاء، و ما يصيب الإنسان الكافر من تخبط في هذه الحياة الدنيا، وضلال، وعدم استقرار، ومشقة، فهو من باب الجزاء له في الدنيا قبل الآخرة.

قال محمد عبده: "ربما تقول: إن كون الإنسان مخلوقًا في كبد وتعب أمر مشهود، وشيء معروف معهود، فما الحاجة إلىٰ تأكيد الإخبار به؟ فنقول لك في الجواب: إن هذا الخبر إنما ورد لتسلية الناصب، وحمله علىٰ الصبر، كما يدل عليه قوله بعد ذلك: ﴿ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴾، وتنبيه المغرور الجاهل". (٢)

وجه التناسب بين المقسم به والمقسم عليه:

أقسم –تعالىٰ– بمكة التي هي أشرف البقاع، بلد رسول الله ﷺ، أقسم بها علىٰ مكابدة الإنسان، تسلية له ﷺ، وتثبيتًا له علىٰ ما يلاقيه من قومه، وتوجيهًا له في

(١) التحرير والتنوير: ٣٠/ ٣٥١.

(٢) تفسير جزء عم: ٨٨.

احتساب ما يصيبه من الأذىٰ في سبيل الله.

قال البقاعي: "ولعله خص هذه الأشياء بالإقسام تسلية للنبي ﷺ، وتثبيتاً له علىٰ احتمال الأذىٰ، إشارة إلىٰ أن من كان قد حكم عليه بأنه لا يزال في نكد، كان الذي ينبغي له أن يختار أن يكون ذلك النكد فيما يرضي الله -سبحانه وتعالىٰ-؛ وذلك لأن النبي ﷺ كان في مكة المشرفة في أعظم شدة مما يعانيه من أذىٰ الكفار في نفسه وأصحابه -رضي الله عنهم- لعلو مقامه، فإن شدة البلاء للأمثل فالأمثل". (١)

• وفي الإقسام بكل والد وما ولد: تحقيق لكون الإنسان مخلوق في كبد؛ لاجتماع المشقة في الوالد والولد علىٰ حد سواء.

قال البقاعي: "وكل والد ومولود في شدة بالوالدية والمولودية، وغير ذلك مما لا يحصىٰ من الأنكاد البشرية، من حين هو نطفة في ظلمات ثلاث في ضيق ممر ومقر، ثم ولادة، مع أنه عرضة للأمراض، وسائر ما يكره من الأعراض والأغراض، والفاقات والنوائب والآفات، والمطالب والحاجات، لا يحظىٰ بهواه، ولا يبلغ مناه، ولا يدرك ما اجتباه، ولا ينجو غالباً مما يخشاه، وتفاصيل هذا الإجمال لا تحصىٰ، ولا حد لها فتستقصىٰ، إلىٰ الموت وما بعده، فلذلك كان المقسم عليه: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴾". (٢)

• **ووجه آخر**: أن في الإقسام بالوالد وما ولد: إشارة إلىٰ تعاقب الأجيال والأمم، جيلاً بعد جيل، وأمة بعد أمة، وفي هذا تسلية له ﷺ، وتصبير له علىٰ ما يلاقيه من قومه، وبشارة له ﷺ بإتمام دين الله ولو كره الكافرون، ومن وجه آخر فيه تهديد

(١) نظم الدرر: ٨ / ٤٢٧.
(٢) المرجع السابق.

لهؤلاء المكذبين بأن يذهب بهم: ﴿ أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴾.

• وفي الإقسام بالوالد وما ولد: إشارة إلىٰ قضية خلق الله -تعالىٰ- للجنس البشري، وتكاثرهم عن طريق التناسل، فمن أوجدهم، وكثرهم، هو من خلقهم في كبد، وهو قادر عليهم، لا يعجزونه، ولا يسبقونه.

سورة الشمس

قال –تعالىٰ–: ﴿ وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا ۝٤ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ۝٥ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا طَحَىٰهَا ۝٦ وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ۝٨ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾ [الشمس : ١-١٠].

المقسم به:

أقسم –سبحانه– في هذه السورة بسبعة أمور:

﴿ وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ﴾ . أقسم –سبحانه– بالشمس وضحاها، واختُلف في المراد بالضحىٰ، فعن قتادة: أنه النهار، وعن مجاهد: أنه الضوء، وهو قول: الفراء، وابن قتيبة، واختيار ابن جرير.(١)

والمعروف في لغة العرب: أن الضحىٰ: أول النهار.(٢) ولعل قول من قال: هو النهار، باعتبار استمرار ضوء الشمس طيلة النهار.(٣)

﴿ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ﴾. ومعنىٰ تلاها، أي: تبعها(٤)، واختُلف في: أي شيء يكون القمر تابعًا للشمس، هل هو تابع لها في السير والمنازل، أو في الضوء؟

والآية تشمل كلا المعنيين، فالقمر تابع لها في المسير، والنور، حيث يستمد نوره منها.(٥)

﴿ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ﴾. التجلية: الكشف والإظهار، قال ابن عطية: "وجلىٰ

(١) انظر: معاني القرآن: ٣/ ٢٦٦، تفسير غريب القرآن: ٥٢٨، جامع البيان: ٢٤/ ٤٣٥.
(٢) انظر: الكشاف: ١٢٠٥، البحر المحيط: ١٠/ ٤٨٥.
(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن: ٢٢/ ٣٠٨.
(٤) انظر: معاني القرآن للفراء: ٣/ ٢٦٦، جامع البيان: ٢٤/ ٤٣٥.
(٥) انظر: معاني القرآن للفراء: ٣/ ٢٦٦، جامع البيان: ٢٤/ ٤٣٦، معالم التزيل: ٨/ ٤٣٧، المحرر الوجيز: ١٥/ ١٦٩، تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٤/ ٥١٥، التحرير والتنوير: ٣٠/ ٣٩٦..

معناه: كشف وضوّأ"[1].

واختُلف في عود الضمير، فقيل: عائد علىٰ الشمس؛ لجريان ذكرها؛ ولأنها تتجلىٰ وتبين وقت النهار، وهذا مذهب: ابن جرير، والزجاج، والزمخشري، وأبي حيان، وابن عاشور، وغيرهم [2]، وذهب الفراء، وابن قتيبة: إلىٰ أن الضمير عائد علىٰ الظلمة، قال الفراء: "جلىٰ الظلمة، فجاز الكناية عن الظلمة ولم تذكر؛ لأن معناها معروف"[3].

وقيل: هو عائد علىٰ الأرض أو الدنيا.[4]

﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا ﴾. التغشية: التغطية [5]، واختُلف في عود الضمير، علىٰ نحو مما سبق في ضمير ﴿ جَلَّىٰهَا ﴾.

﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ﴾. أقسم –سبحانه– بالسماء، وبمن بناها –علىٰ أن (ما) بمعني: الذي–[6]، أو ببنيانها –علىٰ أن (ما) مصدرية– [7]، والمراد بالبناء: الرفع،

(١) المحرر الوجيز: ١٥ / ٤٧٠.

(٢) انظر: جامع البيان: ٢٤ / ٤٣٦، معاني القرآن: ٥ / ٣٣٢، الكشاف: ١٢٠٥، البحر المحيط: ١٠ / ٤٨٦، تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٤ / ٥١٥، التحرير والتنوير: ٣٠ / ٣٦٧.

(٣) معاني القرآن: ٣ / ٢٦٦، وانظر: تفسير غريب القرآن: ٥٢٩. ورد هذا القول ابن كثير في تفسيره: ٤ / ٥١٥.

(٤) انظر: تأويل مشكل القرآن: ٢٢٦، تفسير غريب القرآن: ٥٢٩. وانظر المحرر الوجيز: ١٥ / ٤٧، البحر المحيط: ١٠/ ٤٧٠

(٥) انظر: المفردات: ٣٧٣، المحرر الوجيز: ١٥ / ٤٧٠.

(٦) وهذا قول: مجاهد، والحسن، وعطاء، والكلبي، وأبي عبيدة، واختاره الزمخشري: انظر: مجاز القرآن: ٢ / ٣٠٠، جامع البيان: ٢٤ / ٤٣٧، معالم التنزيل: ٨ / ٤٣٧، الكشاف: ١٢٠٥، المحرر الوجيز: ١٥ / ٤٧٠، تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٤ / ٥١٥.
قلت: وقد ذكر القرطبي في الجامع: ٢٢ / ٣١٠،و أبو حيان في البحر: ١٠ / ٤٨٦: أن ابن جرير اختار هذا القول. وهذا خطأ، فإن ابن جرير يرىٰ احتمال الآية لكلا الوجهين. جامع البيان: ٢٤ / ٤٣٨، ٢٤ / ٤٥٥ في تفسيره سورة الليل.

(٧) وهذا قول: قتادة، والمبرد، والزجاج، وهو الذي يفهم من كلام ابن قتيبة. انظر: تأويل مشكل القرآن: ٣٤٤، معاني القرآن: ٥ / ٣٣٢، المحرر الوجيز: ١٥ / ٤٧٠، الجامع لأحكام القرآن: ٢٢ / ٣١٠، =

وتصييرها للأرض سقفًا. [١]

﴿ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ﴾. الطحو: بسطها يمينًا وشمالاً، ومن كل جانب، وعليه الأكثر من المفسرين، وهو المعروف عند أهل اللغة. [٢]

والخلاف في (ما) كالخلاف فيما تقدم ، فيكون القسم إما: بمن طحاها، أو بطحوها.

﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴾. أقسم –سبحانه– بالنفس وبمن سواها، أو بتسويتها. ومعنىٰ تسويتها: خلقها مكتملة العقل، سوية الفطرة [٣]، ومن تمام تسويتها ما ذكره الله بقوله:﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴾ .ولم أجد –فيما اطلعت عليه– غير ابن عاشور ممن ذكر: أن العطف بالفاء في هذه الآية يقتضي كونه: مقسمًا به[٤]. والذي يظهر: كون هذه الجملة تفسيرية لتسوية النفس، والفاء هنا تفيد الترتيب علىٰ ما سبق من التسوية. [٥]

المقسم عليه:

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾. وهو ما عليه الجمهور [٦]، وذهب الزمخشري: إلىٰ أن جواب القسم محذوف، تقديره: ليدمدمنّ الله عليهم، أي: علىٰ أهل مكة لتكذيبهم رسول الله ﷺ، كما دمدم علىٰ ثمود لأنهم كذبوا

=

البحر المحيط: ١٠ / ٤٨٦، تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٤ / ٥١٥.

(١) انظر:جامع البيان: ٢٤ / ٤٣٧، تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٤ / ٥١٥.

(٢) انظر:تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٤ / ٥١٥. وانظر: مجاز القرآن: ٢ / ٣٠٠، تفسير غريب القرآن: ٥٢٩، جامع البيان: ٢٤ / ٤٣٨، معالم النزيل: ٨ / ٤٣٧، المحرر الوجيز: ١٥ / ٤٧٠.

(٣) انظر:المحرر الوجيز: ١٥ / ٤٧١، تفسير القرآن العظيم لابن كثير:٤ / ٥١٥.

(٤) انظر:التحرير والتنوير: ٣٠ / ٣٦٩.

(٥) انظر:البحر المحيط: ١٠ / ٤٨٨.

(٦) انظر:معاني القرآن للفراء: ٣ / ٣٩٧، جامع البيان: ٢٤ / ٤٤٤، معاني القرآن للزجاج: ٥ / ٣٣١، معالم التنزيل: ٨ / ٤٣٩، المحرر الوجيز: ١٥ / ٤٧١، البحر المحيط: ١٠ / ٤٨٩.

صالحًا[1]. والأول هو الأولىٰ.

وجه التناسب بين المقسم به والمقسم عليه:

أقسم الله –تعالىٰ– بآيات من آياته، الدالة علىٰ قدرته، وفيها من التضاد مثل ما بين من زكىٰ نفسه ومن دساها. قال ابن عاشور: "وفي هذه الآيات محسن الطباق غير مرة، فقد ذكرت أشياء متقابلة متضادة، مثل: الشمس، والقمر، لاختلاف وقت ظهورهما، ومثل النهار والليل، والتجلية والغشي، والسماء والأرض، والبناء والطحو، والفجور والتقوىٰ، والفلاح والخيبة، والتزكية والتدسية". [2]

(١) انظر:الكشاف: ١٢٠٦. وذكر ابن عاشور القولين، دون ترجيح لأحدهما. التحرير والتنوير: ٣٠/ ٣٧٠.

(٢) انظر:التحرير والتنوير: ٣٠/ ٣٧١.

سورة الليل

قال تعالىٰ: ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ۝٣ إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ ﴾ [الليل : ١-٤].

المقسم به:

﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ﴾ . أقسم -تعالىٰ- بالليل إذا غطىٰ. ولم يذكر مفعوله، قال القرطبي: "أي يغطي، ولم يذكر معه مفعولاً؛ للعلم به، وقيل: يغشىٰ النهار، وقيل: الأرض، وقيل: الخلائق، وقيل: يغشىٰ كل شيء بظلمته". [١]

وكل هذه الأقوال متقاربة، فإذا غطىٰ النهار فقد غطىٰ الأرض، وغطىٰ كل الخلائق، وكل شيء.

﴿ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴾. أي: ظهر، وأضاء الكون. [٢]

﴿ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ﴾. اختُلف في نوع (ما) علىٰ نحو من اختلافهم في ﴿وَمَا بَنَىٰهَا ﴾. [٣]

والذي يظهر أن (ما) -ههنا- مصدرية، بمعنىٰ: وخلق الذكر والأنثىٰ. ويدل علىٰ ذلك أمران:

الأول: ما صح عن رسول الله ﷺ من حديث أبي الدرداء وفيه أنه سمع الرسول ﷺ يقرأ: والذكر والأنثىٰ [٤].

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن: ٢٢ / ٣٢٠. وانظر: جامع البيان: ٢٤ / ٤٥٥، معالم التنزيل: ٨ / ٤٤٥، المحرر الوجيز: ١٥ / ٤٧٧، تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٤/ ٥١٨.

(٢) انظر: المراجع السابقة.

(٣) انظر: ما سبق عند الاية ٥ من سورة الشمس.

(٤) رواه البخاري في صحيحه: ٣ / ١٣٦٨، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عمار وحذيفة، ٤ / ١٨٨٩، كتاب التفسير، باب تفسير سورة الليل، ومسلم في صحيحه: ١/ ٥٦٥، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، حديث: ٢٨٢-٢٨٤.

وهذه القراءة وإن كانت شاذة –لمخالفتها رسم المصحف– إلا أنها تعتبر تفسيرًا، بل هي من أقوىٰ أنواع التفسير.

والأمر الثاني: أنه الأنسب لسياق الآيات، ولجواب القسم؛ فالليل إذا غطىٰ يقابله النهار إذا ظهر، وخلق الذكر يقابله خلق الأنثىٰ. وأما مناسبته لجواب القسم فيأتي عند ذكر المناسبة.

المقسم عليه:

﴿ إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ ﴾. أي: إن عملكم مختلف، فمنكم الكافر، ومنكم المؤمن، ومنكم الطائع، ومنكم العاصي. (١)

وجه التناسب بين المقسم به والمقسم عليه:

أقسم –تعالىٰ– بما هو متضاد، فأقسم بالليل إذا غطىٰ بظلمته، وبالنهار إذا ظهر بنوره، وبخلق الذكر، وبخلق الأنثىٰ.

قال ابن القيم: "وأقسم –سبحانه– بزمان السعي وهو الليل والنهار، وبالساعي وهو الذكر والأنثىٰ، علىٰ اختلاف السعي، كما اختلف الليل والنهار، والذكر والأنثىٰ. وسعيه وزمانه مختلف، وذلك دليل علىٰ اختلاف جزائه وثوابه، وأنه –سبحانه– لا يسوي بين من اختلف سعيه في الجزاء، كما لم يسو بين الليل والنهار، والذكر والأنثىٰ". (٢)

• ووجه آخر ذكره ابن عاشور بقوله: "ومناسبة المقسم به للمقسم عليه: أن سعي الناس منه خير ومنه شر، وهما مماثلان النور والظلمة، وأن سعي الناس ينبثق عن نتائج منها النافع، ومنها الضار، كما ينتج الذكر ذرية صالحة وغير صالحة". (٣)

(١) انظر: جامع البيان: ٢٤: ٤٦٠.

(٢) التبيان في أيمان القرآن: ٨٨. وانظر: نظم الدرر: ٨ / ٤٤٦، تفسير جزء عم لابن عثيمين: ٢٣٠.

(٣) التحرير والتنوير: ٣٠ / ٣٧٨.

سورة الضحى

قال -تعالىٰ-: ﴿ وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ۝٤ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ﴾ [الضحىٰ: ١-٥].

المقسم به:

﴿ وَٱلضُّحَىٰ ﴾ . أقسم -تعالىٰ- بالضحىٰ، وهو أول النهار. (١)

﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ﴾. اختُلف في معنىٰ ﴿ سَجَىٰ ﴾، فقيل: أقبل بظلامه، وقيل: غطىٰ كل شيء بظلمته، وقيل: إذا استوىٰ وسكن، وقيل: إذا ذهب، والأشهر في معناه لغة: أنه سكن، وركد، وأظلم. (٢)

فيكون إقسام من الله -تعالىٰ- بالليل إذا أظلم، وسكن، وامتد ظلامه، وغطىٰ كل شيء.

المقسم عليه:

﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴾. قال ابن جرير: "وهذا جواب القسم، ومعناه: ما تركك يا محمد ربك، وما أبغضك". (٣)

وما بعد هذه الآية وهو قوله تعالىٰ: ﴿ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ۝٤ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ﴾ مختلف فيه، هل هما جملتان معطوفتان علىٰ جملة جواب القسم، فيكون القسم قد وقع عليهما، أو أنهما جملتان مستأنفتان ؟ (٤)

(١) سبق ذكر الخلاف في المراد بالضحىٰ عند قوله تعالىٰ: (والشمس وضحاها).

(٢) انظر: معاني القرآن للفراء: ٣ / ٢٧٣، مجاز القرآن: ٢ / ٣٠٢، تفسير غريب القرآن: ٥٣١، جامع البيان: ٢٤ / ٤٨٢، معاني القرآن للزجاج: ٥ / ٣٣٩، مفاتيح الغيب: ٣١ / ١٨٨.

(٣) جامع البيان: ٢٤ / ٤٨٤.

(٤) انظر: الكشاف: ١٢٠٨، ١٢٠٩، إرشاد العقل السليم: ٩ / ١٧٠، التحرير والتنوير: ٣٠ / ٣٩٧.

وجه التناسب بين المقسم به والمقسم عليه:

أقسم -تعالىٰ- بالضحىٰ، وفيه النور إيماء إلىٰ نور الوحي، وأقسم بالليل، وفيه الظلمة إيماء إلىٰ ظلمة الشرك.

قال ابن القيم: "فتأمل مطابقة هذا القسم -وهو نور الضحىٰ الذي يوافي بعد ظلام الليل- للمقسم عليه -وهو نور الوحي الذي وافاه بعد احتباسه عنه- حتىٰ قال أعداؤه: ودع محمدًا ربُه، فأقسم بضوء النهار بعد ظلمة الليل علىٰ ضوء الوحي ونوره، بعد ظلمة احتباسه واحتجابه.

وأيضًا: فإن فالق ظلمة الليل عن ضوء النهار، هو الذي فلق ظلمة الجهل والشرك بنور الوحي والنبوة، فهذان للحس، وهذان للعقل.

وأيضًا: فإن الذي اقتضت رحمته ألا يترك عباده في ظلمة الليل سرمدًا، بل هداهم بضوء النهار إلىٰ مصالحهم ومعايشهم: لا يليق به أن يتركهم في ظلمة الجهل والغي، بل يهديهم بنور الوحي والنبوة إلىٰ مصالح دنياهم وآخرتهم.

فتأمل حُسن ارتباط المقسم به بالمقسم عليه، وتأمل هذه الجزالة والرونق الذي علىٰ هذه الألفاظ، والجلالة التي علىٰ معانيها". (١)

• ويمكن أن يقال: إن الله -تعالىٰ- أقسم بالضحىٰ -ضوء النهار- وبالليل، وهما الوقت كله، علىٰ أنه ما ترك رسوله ﷺ، ولا أبغضه، بل عنايته به في كل وقت من ليل أو نهار، بل تمتد تلك العناية إلىٰ الوعد بالمستقبل الأفضل: ﴿ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴾، بل تمتد تلك العناية إلىٰ إعطائه كل ما يرضاه في الدنيا والآخرة: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴾ (٢).

(١) التبيان في أيمان القرآن: ١١٠، ١١١. وانظر: التحرير والتنوير: ٣٠/ ٣٩٤، والتفسير البياني للدكتورة عائشة عبد الرحمن: ١/ ٢٥.

(٢) ذكر الرازي، والبقاعي وجوهًا في المناسبة، فيها شيء من التكلف. انظر: مفاتيح الغيب: ٣١/ ١٨٩، نظم الدرر: ٨/ ٤٥٢، ٤٥٣.

سورة التين

قال -تعالىٰ-: ﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۝٣ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ [التين : ١-٦].

المقسم به:

﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ﴾. اختلف المفسرون في المراد بـ ﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ﴾. فقيل (التين): الذي يؤكل، و(الزيتون): الذي يُعصر، وقيل (التين): مسجد دمشق، و(الزيتون): بيت المقدس، وقيل (التين): مسجد نوح، و(الزيتون): مسجد بيت المقدس، وقيل: هما مسجدان بدمشق، وقيل: التين: مسجد أصحاب الكهف، والزيتون: مسجد إيليا.

وقد رجح ابن جرير القول الأول؛ لأنه المعروف عند العرب. (١)

والظاهر أن القسم بالتين الذي يؤكل، وبالزيتون الذي يُعصر، مع إرادة منابتهما. وهذا ما يؤيده سياق الآيات، قال ابن القيم -بعد ذكره للقول الأول-: "وهذا الذي قالوه حق، ولا ينافي أن يكون منبته مرادًا، فإن منبت هاتين الشجرتين حقيق بأن يكون من جملة البقاع الفاضلة الشريفة، فيكون الإقسام قد تناول الشجرتين ومنبتَهما، وهو مظهر عبد الله ورسوله وكلمته وروحه: عيسىٰ بن مريم، كما أن طور سينين مظهر عبده ورسوله وكليمه: موسىٰ، فإنه الجبل الذي كلّمه عليه، وناجاه، وأرسله إلىٰ فرعون وقومه، ثم أقسم بالبلد الأمين، وهو مكة مظهر خاتم أنبيائه ورسله سيد ولد آدم

وترقىٰ في هذا القسم من الفاضل إلىٰ الأفضل، فبدأ بموضع مظهر المسيح، ثم

(١) انظر: جامع البيان: ٢٤ / ٥٠١، معالم التنزيل: ٨ / ٤٧١، المحرر الوجيز: ١٥ / ٥٠١، الجامع لأحكام القرآن: ٢٢ / ٣٦٣، تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٤ / ٥٢٦.

ثنىٰ بموضع مظهر الكليم، ثم ختمه بموضع مظهر عبده ورسوله، وأكرم الخلق عليه". (١)

﴿ وَطُورِ سِينِينَ ﴾. أقسم -تعالىٰ- بالجبل الذي كلم عليه موسىٰ عليه السلام، وقد نقل إجماع المفسرين علىٰ ذلك ابن عطية، وغيره (٢)

﴿ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴾. قال ابن عطية: "مكة، بلا خلاف". (٣)

المقسم عليه:

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ . تفاسير السلف في المراد بـ ﴿ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ تدور حول: أعدل خلق، وأحسن صورة،، واستواء الشباب والقوة، واعتدال القامة. (٤)

ثم اختلف المفسرون في المراد: بالرد إلىٰ أسفل سافلين، علىٰ قولين: الأول: أرذل العمر. الثاني: النار.

وعلىٰ قول من قال: المراد بأسفل سافلين: أرذل العمر، اختلفوا في الاستثناء هل هو متصل أو منقطع ؟ (٥)

وقد أطال شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم في الرد علىٰ من قال: بأن

(١) التبيان في أيمان القرآن: ٧٠، ٧١.

(٢) انظر: المحرر الوجيز: ١٥ / ٥٠٣، البحر المحيط: ١٠ / ٥٠٣. وقد سبق بيان شيء من ذلك في أول سورة الطور.

(٣) المحرر الوجيز: ١٥ / ٥٠٣. وممن نقل الإجماع علىٰ ذلك أيضًا: ابن كثير: ٤ / ٥٢٦ .

(٤) انظر: جامع البيان: ٢٤ / ٥١٠، المحرر الوجيز: ١٥ / ٥٠٣، الجامع لأحكام القرآن: ٢٢ / ٣٦٨، تفسير القرآن العظيم: ٤ / ٥٢٧.

(٥) انظر: جامع البيان: ٢٤ / ٥١٣، معالم التنزيل: ٨ / ٤٧٢، المحرر الوجيز: ١٥ / ٥٠٤، الجامع لأحكام القرآن: ٢٢ / ٣٧٠، تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٤ / ٥٢٧، الدر المصون (١١/ ٥٢).

الرد إلىٰ أرذل العمر هو أسفل سافلين. [١]

وقد ذهب ابن عاشور في تفسير هذه الآية إلىٰ قول جديد، مضمونه: أن المراد بـ ﴿ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ أنه: خلق الإنسان علىٰ أحسن فطرة، فطرة الله التي فطر الناس عليها، وأن المراد بالرد إلىٰ أسفل سافلين: انحراف الكفار عن هذه الفطرة السليمة، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات بعد أن رُدُّوا أسفل سافلين أيام الشرك، صاروا بالإيمان إلىٰ الفطرة، فرجعوا إلىٰ أصلهم: أحسن تقويم. [٢]

وكلام ابن عاشور في تفسير حسن التقويم بالفطرة، كلام له وجه قوي، مناسب بالإقسام –في أول السورة– بمواضع الأنبياء، الذين دعوا إلىٰ فطرة الله.

ويمكن أن يقال: بأن ما ذهب إليه السلف –في تفسير هذه الآية– نعمٌ يجب علىٰ الإنسان شكرها، والتأمل فيها، فمن لم يقم بشكر هذه النعم، وتكبر علىٰ عبادة الله، فسيرد إلىٰ أسفل سافلين: النار، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير منقطع؛ لشكرهم لنعم الله، وقيامهم بحقه تعالىٰ.

وقال ابن القيم: "إنه –سبحانه– ذكر نعمته علىٰ الإنسان بخلقه في أحسن تقويم، وهذه النعمة توجب عليه أن يشكرها بالإيمان، وعبادته وحده لا شريك له، فينقله حينئذ من هذه الدار إلىٰ أعلىٰ عليين، فإذا لم يؤمن بربه، وأشرك به، وعصىٰ رسله، نقله منها إلىٰ أسفل سافلين، وبدّله بعد هذه الصورة التي هي في أحسن تقويم صورة من أقبح الصور في أسفل سافلين، فتلك نعمته عليه، وهذا عدله فيه، وعقوبته علىٰ كفران نعمته". [٣]

وهذا القول يلتئم مع ما ذكره ابن عاشور.

---

(١) انظر: مجموع فتاوىٰ ابن تيمية: ١٦ / ٢٧٩ – ٢٨٢، التبيان في أيمان القرآن: ٧٤ – ٧٧.

(٢) انظر: التحرير والتنوير: ٣٠ / ٤٢٣ – ٤٢٩.

(٣) التبيان في أيمان القرآن: ٧٦. وانظر: البرهان في تناسب سور القرآن: ٢١٢، تيسير الكريم الرحمن: ٨٥٩.

قال ابن عاشور: "ولم يعرِّج المفسرون قديمًا وحديثًا علىٰ تفسير التقويم بهذا المعنىٰ العظيم، فقصروا التقويم علىٰ حسن الصورة. وروي عن ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والكلبي، وإبراهيم، وأبي العالية: أو علىٰ استقامة القامة. وروي عن ابن عباس: أو علىٰ الشباب والجلادة، وروي عن عكرمة وابن عباس. ولا يلائم مقصد السورة، إلا أن يتأول بأن ذلك ذكر نعمة علىٰ الإنسان، عكس الإنسان شكرها فكفر بالمنعم فرد أسفل سافلين". (١)

وجه التناسب بين المقسم به والمقسم عليه:

أقسم –تعالىٰ– بمواضع الرسل علىٰ تحقيق ما جاءوا به من البشارة والنذارة.

قال ابن تيمية: "وفي نفس المقسم به –وهو إرسال الرسل– تحقيق للمقسم عليه –وهو الثواب والعقاب بعد الموت–؛ لأن الرسل أخبروا به". (٢)

• والمناسبة علىٰ ما ذهب إليه ابن عاشور، ما ذكره بقوله: "وفي ابتداء السورة بالقسم بما يشمل إرادة مهابط أشهر الأديان الإلهية براعة استهلال لغرض السورة، وهو أن الله خلق الإنسان في أحسن تقويم، أي: خلقه علىٰ الفطرة السليمة، مدركًا لأدلة وجود الخالق ووحدانيته. وفيه إيماء إلىٰ أن ما خالف ذلك من النحل والملل قد حاد عن أصول شرائع الله كلها بقطع النظر عن اختلافها في الفروع". (٣)

(١) التحرير والتنوير: ٣٠/ ٤٢٦.

(٢) مجموع الفتاوي: ١٦ / ٢٨٢. وانظر: التبيان في أيمان القرآن: ٧٣.

(٣) التحرير والتنوير: ٣٠/ ٤٢٢، ٤٢٣.

سورة العاديات

قال -تعالىٰ-: ﴿ وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ۝١ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ۝٢ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ۝٣ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ۝٤ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ۝٥ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ۝٦ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝٧ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾ [العاديات : ١-٨].

المقسم به:

أقسم -تعالىٰ- بـ﴿ وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ﴾. واختُلف في الموصوف بالعاديات، وبناء علىٰ هذا الخلاف اختلف تفسيرهم لكل صفة من صفات هذه العاديات.

فذهب علي بن أبي طالب، وابن عباس، وابن مسعود، وإبراهيم النخعي، وعبيد بن عمير، والسدي، ومحمد بن كعب القرظي إلىٰ أن الموصوف بهذه الصفات: الإبل.

فعلىٰ هذا القول يكون تفسير هذه الآيات كالتالي:

﴿ وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ﴾ الإبل تعدو من عرفة إلىٰ مزدلفة، ومن المزدلفة إلىٰ منىٰ، ﴿ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ﴾ أن الإبل في عدوها تُنيف الحصىٰ، فيضرب بعضه بعضًا، فتخرج منه النار.

﴿ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ﴾ الإبل تدفع بركابها من جمع يوم النحر إلىٰ منىٰ، ﴿فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ﴾ الإبل تثير النقع -الغبار- بأخفافها ما بين مزدلفة إلىٰ منىٰ، ﴿فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ﴾ الإبل تتوسط جمع - وهي المزدلفة -.

وحجة هذا القول: أن السورة مكية، ولم يكن ثمة جهاد، وإنما القسم بما يعرفه العرب، وهي إبل الحجاج.[1]

(١) انظر: جامع البيان: ٢٤ / ٥٧٠ - ٥٨٢، معالم التنزيل: ٨ / ٨ / ٥٠٧، ٥٠٨، المحرر الوجيز: ١٥/ ٥٤٤ - ٥٤٧، الجامع لأحكام القرآن: ٢٢ / ٤٢٩ - ٤٣٦، التبيان في أيمان القرآن: ١١٧ - ١٢٥، تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٤ / ٥٤١.

وذهب ابن عباس -في أحد قوليه-، وعطاء، ومجاهد، وعكرمة، والحسن، وقتادة، والمقاتلان، وأبو العالية أن المراد بالموصوف هنا: الخيل. وهذا قول أكثر أهل التفسير واللغة.

فعلىٰ هذا القول يكون تفسير الآيات كالتالي:

﴿ وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ﴾ الخيل حال عدوها وهي تحمحم، فالضبح الصوت الذي يسمع من الفرس حال عدوها، ﴿ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ﴾ الخيل توري النار بحوافرها إذا سارت في الحجارة.

﴿ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ﴾ تغير بفرسانها علىٰ العدو عند الصباح، ﴿ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ﴾ الخيل حال عدوها تثير الغبار في المكان الذي أغارت عليه، ﴿ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ﴾ توسطت بفرسانها جمع القوم. (١)

وأجاب أصحاب هذا القول عما احتج به أصحاب القول الأول -من أنه لم يكن ثمة جهاد في مكة، وأن المعروف هو إبل الحجاج دون الخيل- بما ذكره ابن القيم بقوله: "وأما قولكم: إنه لم يكن بمكة حين نزول الآية جهاد، ولا خيل تجاهد، فهذا لا يلزم؛ لأنه -سبحانه- أقسم بما يعرفونه من شأن الخيل إذا كانت في غزو، فأغارت، فأثارت النقع، وتوسطت جمع العدو، وهذا أمر معروف.

وذكر خيل المجاهدين أحق ما دخل في هذا الوصف، فذكره علىٰ وجه التمثيل لا الاختصاص، فإن هذا شأن خيل المقاتلة، وأشرف أنواع الخيل خيل المجاهدين". (٢)

والصواب: هو ما ذهب إليه أصحاب القول الثاني، وما ذكره أصحاب القول

(١) قيل: أقوال أخرىٰ في معاني كل صفة من هذه الصفات، مع القول بأنها الخيل، وقد أجاب عنها ابن القيم.

انظر المراجع السابقة، ومعاني القرآن للفراء: ٣ / ٣٨٤، ومعاني القرآن للزجاج: ٥ / ٣٥٣.

(٢) التبيان في أيمان القرآن: ١٢٠. وانظر تفسير جزء عم لابن عثيمين: ٢٩٥.

الأول خلاف ظاهر الآيات.

وقد ذكر الشيخ عطية محمد سالم وجوهًا في الرد علىٰ أصحاب القول الأول -في قولهم بأن قوله -تعالىٰ-: ﴿ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ﴾ هي: المزدلفة -. فتأملها.[1]

المقسم عليه:

﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ۝٦ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝٧ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾.

قال ابن القيم: "وأما شأن المقسم عليه: فهو حال الإنسان، وهو كون الإنسان كنودًا بشهادته علىٰ نفسه، أو شهادة ربه عليه، وكونه بخيلاً لحبه المال.

والكنود: الكفور للنعمة، وفعله: كند يكند كنودًا، مثل: كفر يكفر كفورًا. والأرض الكنود: التي لا تنبت شيئًا، وامرأة كُنُدٌ: أي كفور للمعاشرة، وأصل اللفظة: منع الحق والخير، ورجل كنود: إذا كان مانعًا لما عليه من الحق. وعبارات المفسرين تدور علىٰ هذا المعنىٰ". [2]

وجه التناسب بين المقسم به والمقسم عليه:

أقسم -تعالىٰ- بخيل الغزاة علىٰ كفران الإنسان لنعم الله، ففي إقسامه بخيل المجاهدين تهديد لكل من كفر بنعم الله، ولم يؤد الحقوق التي عليه، ففي قوة الخيل إرهاب لكل كافر جحود.

قال ابن عاشور: "وإن أريد بـ(العاديات) وما عطف عليها: خيل الغزاة، فالقسم بها لأجل التهويل والترويع لإشعار المشركين بأن غارة تترقبهم". [3]

• ويمكن أن يقال: الخيل نعمة من نعم الله، فتسخيرها في الجهاد في سبيل الله،

(١) انظر: تتمة أضواء البيان: ٩ / ٤٤١ – ٤٤٤.

(٢) التبيان في أيمان القرآن: ١٢٥، ١٢٦.

(٣) التحرير والتنوير: ٣٠/ ٥٠٢.

وعدم البخل بها شكر لهذه النعمة، فأقسم بخيل المجاهدين إشارة إلىٰ هذا المعنىٰ.

فالخيل من الخير، تحُبُ كحب الخير، لكن ليس حبًا شديدًا يؤدي إلىٰ البخل بها، وعدم شكر المنعم بها، وعدم أداء الحق فيها: ﴿ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾.

❊ ❊ ❊

الخاتمة

في ختام هذه الدراسة التدبرية يمكن استخلاص النتائج التالية:

١. أن اختيار القسم ببعض المخلوقات في موضع دون موضع له دلالة، وارتباط بين المقسم به والمقسم عليه، بحيث لو وضع قسم مكان قسم آخر لاختلَّ النظم.

٢. القول في وجوه التناسب مبني على الاجتهاد، فهو محتمل للصواب والخطأ، ولا يقطع بأن هذا هو المراد دون ما سواه.

٣. من العلماء الذين اهتموا بكشف العلاقة بين القسم وجوابه: ابن القيم في كتابه (التبيان في أيمان القرآن)، وإن كان في مواطن يسلك ما سلكه المتقدمون من القول بأن الحكمة: تعظيم ما أقسم الله به.

ومنهم أيضًا: البقاعي والرازي –مع تكلف واضح في مواطن–، والسعدي – وإن كان لا ينص على هذا، لكن يفهم من خلال تفسيره–، وابن عاشور، والشيخ عطية محمد سالم.

٤. ممن تبنى فكرة التناسب ونقد حمل القسم على تعظيم المقسم به: عبدالحميد الفراهي (١٣٤٩ه) فقد أطال في كتابه: إمعان في أقسام القرآن، واعتذر للسابقين في قولهم بتعظيم المقسم به، ومنهم: د عائشة عبدالرحمن –بنت الشاطئ (١٤١٩ه)– في كتابها: التفسير البياني للقرآن الكريم، و د. محمد بكر إسماعيل (١٤٢٦ه) في كتابه: دراسات في علوم القرآن، و د. حسين نصار في كتابه: القسم في القرآن الكريم.

ومن التوصيات:

١. أوصي الباحثين بدراسة وجوه التناسب بين المقسم به المتعدد في موضع واحد، وقد عقدت العزم ابتداء على دراستها لكن حال دون ذلك طول البحث.

٢. كما أوصي الباحثين بضرورة التوسع في دراسة أسلوب القسم من حيث: أنواع المقسم به، وما يقع عليه القسم، وافتتاح السور بالقسم، والتناسب بين القسم وموضوع السورة، ونحوه.

والحمد لله أولا و آخرا، ونسأله الإخلاص والقبول والمغفرة عن الخطأ والنسيان، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وآله وصحابته أجمعين.

❊ ❊ ❊

المصادر والمراجع

١. أحكام القرآن، لابن العربي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولىٰ.

٢. أحكام القرآن، للجصاص، دار الفكر، بيروت، ١٤١٤هـ.

٣. إرشاد العقل السليم إلىٰ مزايا الكتاب الكريم (تفسير أبي السعود)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٤. الأضداد، لابن الأنباري، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٠٧هـ .

٥. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشنقيطي، وتتمة تلميذه الشيخ: عطية محمد سالم، طبع علىٰ نفقة صاحب السمو الملكي الأمير / أحمد بن عبد العزيز، ١٤٠٣هـ.

٦. إعراب القرآن، لأبي جعفر النحاس، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولىٰ.

٧. إمعان في أقسام القرآن، عبد الحميد الفراهي، دار القلم، دمشق، ط الأولىٰ.

٨. أنوار التنزيل، للبيضاوي، دار صادر، بيروت.

٩. البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان الأندلسي، دار الفكر، بيروت، ١٤١٢هـ.

١٠. البرهان في تناسب سور القرآن، لابن الزبير الثقفي، تحقيق د. سعيد جمعة الفلاح، دار ابن الجوزي، السعودية، ط الأولىٰ.

١١. تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة، تحقيق: السيد أحمد صقر، المكتبة العلمية.

١٢. التبيان في أيمان القرآن، لابن القيم، تحقيق: عبد الله بن سالم البطاطي، دار

عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط الأولىٰ.

١٣. تحرير القول السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد (التحرير والتنوير)، محمد الطاهر ابن عاشور، دار سحنون، تونس.

١٤. التفسير البياني للقرآن الكريم، بنت الشاطئ، عائشة عبدالرحمن، دار المعارف، ط السابعة.

١٥. تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، مكتبة دار التراث، القاهرة.

١٦. تفسير جزء عم، محمد بن صالح العثيمين، دار الثريا للنشر، الرياض، ط الأولىٰ.

١٧. تفسير جزء عم، محمد عبده، الجمعية الخيرية الإسلامية، مطبعة مصر، ط الثالثة.

١٨. تفسير جزء عم، مساعد بن سليمان الطيار، دار ابن الجوزي، ط الثامنة.

١٩. تفسير سورة الحجرات إلىٰ سورة الحديد، لابن عثيمين، دار الثريا للنشر، الرياض، ط الأولىٰ.

٢٠. تفسير عبد الرزاق، تحقيق د. مصطفىٰ مسلم، مكتبة الرشد، الرياض، ط الأولىٰ.

٢١. تفسير غريب القرآن، لابن قتيبة، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٨هـ.

٢٢. تهذيب التهذيب، لابن حجر العسقلاني، دائرة المعارف النظامية، الهند، ط الأولىٰ.

٢٣. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لابن سعدي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الثانية.

٢٤. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري، تحقيق: د. عبد الله ابن عبد المحسن التركي، دار هجر، مصر، ط الأولىٰ.
٢٥. الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الأولىٰ.
٢٦. الحجة للقراء السبعة، لأبي علي الفارسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولىٰ.
٢٧. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي، دار القلم، دمشق.
٢٨. دراسات في علوم القرآن، د. محمد بكر إسماعيل، دار المنار، ١٤١٩ه.
٢٩. السبعة في القراءات، لابن مجاهد، تحقيق: د. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط الثالثة.
٣٠. صحيح البخاري، ضبطه: د. مصطفىٰ ديب البغا، دار ابن كثير، دمشق، ط الخامسة.
٣١. صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط الرابعة.
٣٢. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، للشوكاني، المكتبة التجارية، مكة المكرمة، ط الأولىٰ.
٣٣. القسم في القرآن الكريم، د حسين نصار، مكتبة الثقافة الدينية، ١٤٢١ه.
٣٤. القسم في اللغة وفي القرآن، محمد المختار السلامي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط الأولىٰ.
٣٥. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، للزمخشري، دار المعرفة، بيروت، ط الثانية.

٣٦. الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، لمكي بن أبي طالب، تحقيق: د. محيي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الرابعة.
٣٧. الكشف والبيان في تفسير القرآن، لأبي إسحاق الثعلبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط الأولىٰ.
٣٨. مجاز القرآن، لأبي عبيدة، علق عليه: د. محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، مصر.
٣٩. مجموع فتاوىٰ شيخ الإسلام ابن تيمية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة.
٤٠. محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، دار الفكر، بيروت، ط الثانية.
٤١. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية، طبع علىٰ نفقة الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني.
٤٢. مصاعد النظر للإشراف علىٰ مقاصد السور، للبقاعي، تحقيق: د. عبد السميع حسنين، مكتبة المعارف، الرياض، ط الأولىٰ.
٤٣. معالم التنزيل، للبغوي، تحقيق: محمد عبد الله النمر و عثمان جمعه ضميريه و سليمان مسلم الحرش، دار طيبة، الرياض، ط الأولىٰ.
٤٤. معاني القرآن وإعرابه، للزجاج، تحقيق: د. عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط الأولىٰ.
٤٥. معاني القرآن، للفراء، عالم الكتب، بيروت، ط الثالثة.
٤٦. مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، للرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولىٰ.

٤٧. المفردات، للراغب الأصفهاني، دار الفكر، بيروت.
٤٨. النشر في القراءات العشر، لابن الجزري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولىٰ.
٤٩. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولىٰ.
٥٠. النكت والعيون، للماوردي، مكتبة المؤيد، الرياض، ط الأولىٰ.

❊ ❊ ❊

استجلاء
ملامح المنهج التيمي في التأليف
من خلال مقدمة التفسير

إعداد

د. محمد بن راشد بن محمد البركة

الأستاذ المساعد بكلية الشريعة بجامعة القصيم

ملخص البحث

عنوان البحث: استجلاء ملامح المنهج التيمي في التأليف من خلال مقدمة التفسير .

موضوع البحث: تقسيم موضوعات ومسائل (مقدمة التفسير) علىٰ العلوم، ثم بيان ملامح منهج ابن تيمية العلمي، وبعده الملامح الأسلوبية لابن تيمية في المقدمة، وأخيراً مناقشة المؤاخذات المذكورة علىٰ المقدمة .

أهداف البحث: إبراز الملامح العلمية والأسلوبية لمنهج ابن تيمية التأليفي، من خلال أمثلتها وشواهدها في (مقدمة التفسير) .

منهج البحث: المنهج الوصفي هو الغالب علىٰ هذا البحث، عدا المبحث الأخير الذي استعمل فيه المنهج النقدي .

أهم نتائج البحث: الملامح التأليفية عند ابن تيمية في المقدمة نوعان :

الأول: ملامح علمية، وهي سبع : سلفية الاعتقاد، والعناية بالأدلة، وإيراد الخلاف، والتقعيد، وكثرة الأمثلة، والإنصاف، والتفنن .

الثاني: ملامح أسلوبية، وهي ست : الاستطراد، والتكرار، والاختصار أو البسط، وسلاسة الأسلوب، والترتيب، وعدم الاستعداد للكتابة .

أما المؤاخذات علىٰ المقدمة فهي خمس، لم تسلم في غالبها من المناقشة والرد.

أهم التوصيات: أوصىٰ البحث بأمرين : معرفة انتساب المسائل إلىٰ علومها الأصلية، والحث علىٰ تعرُّف المنهج التأليفي للعلماء في مصنفاتهم .

الكلمات الدالة: منهج التأليف، ابن تيمية، أصول التفسير، مقدمة التفسير .

❊ ❊ ❊

المقـدمة

الحمـد لله رب العـالمين، والصـلاة والسـلام علىٰ نبينـا محمـد وآلـه وصـحبه أجمعين، وبعد:

فإن منهج ابن تيمية التأليفي من الجوانب العلمية التي لم تلقَ العناية التي تستحقها بالنسبة إلىٰ جوانب أخرىٰ تكرر درسها والكتابة فيها مما يتعلق بالعطاء العلمي التيمي الضخم، ومع أهمية الرسالة المختصرة التي كتبها شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله- في أصول التفسير، وكونها أول كتابة مفردة في هذا العلم، إلا أنها لم تحظَ بقيام الدراسات العلمية المنهجية خصوصاً حولها، وكانت أكثر الجهود العلمية عليها متجهة نحو تحقيق نصها، والتعليق عليها، وشرح مسائلها.

ومن أهم الدراسات العلمية المنهجية التي تتعلق برسالة (مقدمة التفسير) ولم أجد من أفردها بالبحث والدراسة المستقلة ما يتصل بمنهج ابن تيمية التأليفي واستجلائه من خلالها، فعقدت العزم- مستعيناً بالله- علىٰ محاولة القيام بذلك في هذا البحث، الذي جعلته بعنوان (استجلاء ملامح المنهج التيمي في التأليف من خلال مقدمة التفسير) سائلاً الله تعالىٰ التوفيق والسداد في خدمة نتاج هذا العَلَم الكبير، وخصوصاً رسالته (مقدمة التفسير).

مشكلة البحث:

مع وجود بعض الكتابات في المنهج التأليفي عند ابن تيمية عموماً، أو في بعض مؤلفاته، إلا أن مشكلة هذا البحث تتمثل بعدم وجود دراسة خاصة تعنىٰ باستجلاء ملامح ذلك المنهج من خلال مقدمة التفسير، أي: عدم وجود دراسة لتطبيق ابن تيمية منهجه التأليفي علىٰ رسالته (مقدمة التفسير).

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلىٰ تحقيق ثلاثة أمور:

١- إبراز الملامح الرئيسة للمنهج التيمي في التأليف من خلال رسالته (مقدمة التفسير).

٢- استجلاب الأمثلة والشواهد من (مقدمة التفسير) علىٰ كل ملمح من تلك الملامح.

٣- مناقشة الإيرادات والمؤاخذات علىٰ بعض الملامح التيمية في التأليف التي طبقها في (مقدمة التفسير) واستقصاء شواهدها وأمثلتها التفصيلية فيها، ثم بيان مدىٰ دقتها، وتحقيق وروردها من عدمه.

منهج البحث:

المنهج الغالب علىٰ هذه الدراسة هو (المنهج الوصفي) لكن تم استعمال (المنهج النقدي) في المبحث الأخير الذي احتيج فيه لمناقشة بعض الإيرادات والمؤاخذات.

حدود البحث:

هذا البحث محدود بدراسته من خلال رسالة شيخ الإسلام ابن تيمية المشهورة باسم (مقدمة في أصول التفسير) أو (مقدمة التفسير) علىٰ وجه الخصوص، دون مؤلفاته أو كتاباته الأخرىٰ.

إجراءات البحث:

سرت في كتابة هذا البحث وفق الإجراءات العلمية المعروفة، وأهمها:

١- كتابة الآيات بالرسم العثماني، متبوعة باسم السورة ورقم الآية في المتن.

٢- عدم الالتزام بتخريج الأحاديث النبوية الواردة في البحث؛ لعددها الكثير

الذي سيطيل تخريجها البحث ويخرجه عن مقصوده، ولأنها مخرَّجة في جميع طبعات الرسالة محور الدراسة (مقدمة في أصول التفسير) وفي البحث إحالة عليها.

٣- توثيق الأقوال والنقول من مصادرها الأصلية، والعزو إليها برقم الجزء والصفحة.

الدراسات السابقة:

لم أقف علىٰ كتابة مستقلة في هذا الموضوع، سوىٰ ما تضمنه القسم الأول من كتاب (مقدمة أصول التفسير لشيخ الإسلام ابن تيمية- تحليل وتعقيب) للباحث: أحمد سعد إبراهيم عبدالرحمن؛ وأصله رسالة ماجستير بجامعة الأزهر عام ١٤٢٦هـ، تناول في المبحث الرابع منه- الذي جعله بعنوان "منهج ابن تيمية في كتابة المقدمة"- **ثمانيةً** من الملامح المنهجية، اكتفىٰ بما يشبه السرد لتلك الملامح، موضحاً المقصود منها في سطرين أو ثلاثة، وفي بعضها يذكر مثالاً أو مثالين من كلام ابن تيمية في المقدمة نفسها (في ١٤ صفحة)[١]، كما استعرض في المبحث الثامن موضوعات المقدمة بشكل إجمالي (في سبع صفحات)[٢].

وبالموازنة مع ما سأذكره في هذا البحث من الملامح المنهجية يتبيّن الفرق عدداً واتساعاً ومناقشةً لما ورد علىٰ بعضها من مؤاخذات؛ حيث بلغ عدد الملامح الآتي ذكرها في الخطة (١٣) ملمحاً، عدا المناقشة المطولة في المبحث الأخير لخمس مؤاخذات علىٰ المنهج التيمي في المقدمة، والإضافة الأخرىٰ الهامة لهذا البحث هو تقسيم موضوعات المقدمة ومسائلها التفصيلية علىٰ العلوم- في المبحث الثاني- وهو عمل لم أجد من قام به علىٰ هذا النحو.

(١) انظر: مقدمة أصول التفسير لشيخ الإسلام ابن تيمية تحليل وتعقيب: ص٩٣- ١٠٦

(٢) انظر: المرجع السابق: ص١٤٨- ١٥٦

خطة البحث:

المقدمة: وفيها مشكلة البحث، وأهدافه، ومنهجه، وإجراءاته وحدوده، والدراسات السابقة، وخطة البحث.

المبحث الأول: مقدمة المؤلف وموضوعاتها الرئيسة.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مقدمة المؤلف

المطلب الثاني: العرض الإجمالي لموضوعاتها الرئيسة

المبحث الثاني: تقسيم موضوعات المقدمة ومسائلها علىٰ العلوم.

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: مسائل التفسير وأصوله

المطلب الثاني: مسائل مناهج المفسرين واتجاهاتهم

المطلب الثالث: مسائل علوم القرآن

المطلب الرابع: مسائل العلوم الشرعية الأخرىٰ

المطلب الخامس: مسائل علوم العربية والعلوم الأخرىٰ

المبحث الثالث: ملامح منهج ابن تيمية العلمي في المقدمة.

وفيه سبعة مطالب:

المطلب الأول: سلفية الاعتقاد

المطلب الثاني: العناية بالأدلة النقلية والعقلية

المطلب الثالث: إيراد الخلاف والمقالات

المطلب الرابع: التقعيد والتأصيل

المطلب الخامس: كثرة إيراد الأمثلة

المطلب السادس: النقد والإنصاف

المطلب السابع: التفنن وكثرة النقول

المبحث الرابع: ملامح أسلوب ابن تيمية في المقدمة.

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: الاستطراد التناسبي

المطلب الثاني: التكرار والإعادة

المطلب الثالث: الاختصار أو البسط في مواضعها

المطلب الرابع: سلامة اللغة وسلاسة الأسلوب

المطلب الخامس: تقسيم الكلام وترتيبه

المطلب السادس: عدم الاستعداد أو المراجعة للكتابة

المبحث الخامس: المؤاخذات على المقدمة.

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: الوقوع في الاستطراد

المطلب الثاني: كثرة التكرار

المطلب الثالث: الوهم وسبق الذهن

المطلب الرابع: عدم ترتيب الموضوعات

المطلب الخامس: عدم استيعاب موضوعات العلم

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

المصادر والمراجع.

❊ ❊ ❊

المبحث الأول
مقدمة المؤلف وموضوعاتها الرئيسة

المطلب الأول: مقدمة المؤلف.

افتتح ابن تيمية رسالته هذه بمقدمة (خطبة)[١] احتوت ست مسائل[٢]:

١- الاستهلال بمطلع خطبة الحاجة[٣].

٢- سبب تأليفه لهذه الرسالة، وهو أنه كتبها إجابة لسؤال أو طلب من أحد إخوانه أن يكتب له في هذا الموضوع، وهذا هو الغالب علىٰ كتبه ومؤلفاته: أنه لا يؤلفها ابتداءً وإنما بطلب أو سؤال[٤].

٣- التصريح بموضوع هذه الرسالة في قوله "مقدمة تتضمن قواعد كلية تعين علىٰ فهم القرآن، ومعرفة تفسيره ومعانيه، والتمييز في منقول ذلك ومعقوله بين الحق وأنواع الأباطيل، والتنبيه علىٰ الدليل الفاصل بين الأقاويل"[٥] ومن هذا الكلام اقتبس مَن وضع أشهر عناوين المقدمة (مقدمة في أصول التفسير)[٦]، أما ابن تيمية فلم يضع لها عنوانًا علىٰ عادته في رسائله وأجوبته وفتاويه الصغيرة[٧].

(١) انظر نص هذه المقدمة في طبعة الدكتور عدنان زرزور: ص٣٣- ٣٥.

(٢) انظر هذه المسائل في شرح الدكتور مساعد الطيار للمقدمة: ص١٧- ١٩.

(٣) ذكر الدكتور بازمول في شرحه للمقدمة: ص٢٢ أنه حصل بعض التصرف- دون أن يحدده- فيما أورده ابن تيمية من ألفاظ خطبة الحاجة الواردة في الحديث، واستظهر أنه لا يجوز روايتها بالمعنىٰ كألفاظ الأدعية والأذكار! لكن يجاب بأن خطبة الحاجة لها عدَّة روايات وألفاظ جمعها الشيخ الألباني في رسالة لطيفة، مما يدل علىٰ أن الأمر في ذلك واسع.

(٤) انظر: المداخل إلىٰ آثار شيخ الإسلام ابن تيمية وما لحقها من أعمال، لبكر أبو زيد: ص٥٣.

(٥) مقدمة في أصول التفسير بتحقيق الدكتور عدنان زرزور: ص٣٣.

(٦) وهو الشيخ محمد جميل الشطي- قاضي الحنابلة بدمشق- حين طبعها أول مرة عام (١٣٥٥هـ- ١٩٣٦م) كما رجح ذلك الدكتور عدنان زرزور في مقدمة تحقيقه: ص٢٢، أما ابن قاسم فقد عنونها بـ "مقدمة التفسير" حين طبعها ضمن (مجموع فتاوىٰ ورسائل شيخ الاسلام ابن تيمية): ١٣/ ٤٤٠

(٧) انظر: المقدمة بتحقيق زرزور: ص٢٢، وانظر: المداخل إلىٰ آثار شيخ الإسلام ابن تيمية وما لحقها من أعمال، لبكر أبو زيد: ص٦٧- ٦٨

٤- تقسيم العلم ثلاثة أنواع: مقبول (وهو نوعان: نقل مصدق عن معصوم، أو قول عليه دليل معلوم) ومردود، وموقوف (أي: متوقف فيه).

٥- بيان حاجة الأمة إلىٰ فهم القرآن، وسياق الأدلة علىٰ ذلك.

٦- قوله إنه كتب هذه المقدمة مختصرة، من إملاء الفؤاد، بحسب تيسير الله تعالىٰ، وستأتي الإفادة من كلمته هذه في بعض المباحث التالية.

المطلب الثاني: العرض الإجمالي لموضوعاتها الرئيسة

تتكون هذه الرسالة (مقدمة في أصول التفسير) من: مقدمة المؤلف، وستة فصول[١]، وسأكتفي في هذا المطلب بعرض الموضوعات والمسائل الرئيسة، لأترك تفصيل المسائل الفرعية للمطالب الخمسة في المبحث التالي (الثاني).

وقد ذكر الدكتور مساعد الطيار بأن موضوعاتها الرئيسة خمسة [٢]:

(١) بيان الرسول ﷺ معاني القرآن للصحابة = (الفصل الأول)

(٢) اختلاف السلف في التفسير وأنواعه = (الفصل الثاني)

(٣) سبب الاختلاف من جهة النقل ومن جهة الاستدلال = (الفصلان الثالث والرابع- كل نوع في فصل)

(٤) أحسن طرق التفسير = (الفصل الخامس ومعظم السادس)

(٥) التفسير بمجرَّد الرأي = (آخر الفصل السادس "الأخير")

ثم أحال علىٰ كلام الدكتور عدنان زرزور في استعراضه للخطوط العريضة لها[٣].

وقد ذُكرت هذه الموضوعات نفسها في كتاب (أصول التفسير في المؤلفات)[٤] لكن مع إضافة الموضوع الرئيس لمقدمة المؤلف للرسالة، وهو (حاجة الأمة إلىٰ فهم القرآن).

كما أن الباحث أحمد سعد عبدالرحمن عدد هذه الموضوعات لكن مع

(١) لا أدري سبب قول الدكتور عدنان زرزور في مقدمة تحقيقه: ص١٥: إن ابن تيمية قسَّم رسالته إلىٰ خمسة فصول ! والظاهر أنه وهم أو سبق قلم، إلا إن كان يرىٰ أن الفصل (السادس) مكمل لما قبله (الخامس) فكأنهما فصل واحد.

(٢) انظر: شرحه لمقدمة ابن تيمية: ص١٤، والتحرير في أصول التفسير: ص٣٠، وما بين الأقواس زيادة للتوضيح.

(٣) انظر: مقدمة تحقيق زرزور للمقدمة: ص١٥- ١٩ .

(٤) ص١٦٤.

زيادات إيضاحية؛ لبيان كيفية سير تاريخ التفسير من خلال ترتيب موضوعات المقدمة، كما يلي[1]:

(١) التفسير في العصر النبوي.

(٢) التفسير في عصر السلف: الخلاف فيه تنوع، والتضاد قليل.

(٣) التفسير بالمأثور والانحراف الواقع فيه.

(٤) التفسير بالرأي والانحراف الواقع فيه، وهو الأخطر.

(٥) أحسن طرق التفسير؛ لتدارك الخلل.

❊ ❊ ❊

(١) انظر: مقدمة أصول التفسير لشيخ الإسلام ابن تيمية- تحليل وتعقيب: ص١٦٥

المبحث الثاني
تقسيم موضوعات المقدمة ومسائلها على العلوم

المطلب الأول: مسائل التفسير وأصوله

ستكون البداية بمسائل أصول التفسير؛ لأنه الموضوع الأساس للرسالة، تليها مسائل التفسير، ثم مسائل العلوم الأخرىٰ في المطالب التالية؛ الأقرب فالأقرب.

وقد أفدت - في هذا المطلب والمطالب الأربعة التالية- من الموضوعات الجانبية (التفصيلية) التي وضعها الدكتور مساعد الطيار في عمله علىٰ (متن المقدمة) الذي أورده بين يدي شرحه[١] ؛ لأنه أكثر فهارس المسائل الفرعية للرسالة دقَّة وتفصيلاً[٢]، لكني زدت علىٰ ما ذكره كثيراً من المسائل الفرعية التفصيلية حتىٰ بلغت بها الضعف[٣]، كما زدت عليه تقسيمها علىٰ العلوم.

وسيكون عرض المسائل- تحت كلِّ علم- بحسب ترتيب ابن تيمية لها مع تمييز الفصول[٤] التي تندرج تحتها.

أولاً: مسائل أصول التفسير.

لا شكَّ أن معظم مسائل هذه الرسالة هي من أصول التفسير؛ لأنها هي الموضوع الأساس لها- كما تقدم- لكن لا بدَّ من التنبيه علىٰ التداخل الحاصل بين مسائل

(١) كان المتن في الطبعة الأولىٰ للشرح مجموعًا في أول الكتاب (من: ص٩- ٦٩)، لكن في الطبعة الثانية تمَّ تفريق المتن كلَّ فصل قبل شرحه = كما نبَّه علىٰ ذلك في مقدمة الطبعة الثانية: ص (أ).

(٢) يليه في ذلك: فهرس ابن قاسم في مجموع الفتاوىٰ: ١٣/ ٤٤٠، ثم فهرس الدكتور زرزور: ص١٣٤.

(٣) حيث بلغ عدد الموضوعات عنده (١٢١) موضوعًا بما فيها مقدمة المؤلف، وبلغ عدد الفقرات بحسب ترقيمه (١٤٦) فقرة، بينما بلغ عدد المسائل الآتي ذكرها في هذا المبحث (٢٥١) مسألة.

(٤) يحسن هاهنا ذكر أرقام صفحات مقدمة المؤلف والفصول الستة من طبعة الدكتور زرزور للمقدمة، لعدم تكرارها فيما يأتي: مقدمة المؤلف: ص٣٣- ٣٥، الفصل الأول: ٣٥- ٣٨، الفصل الثاني: ٣٨- ٥٥، الفصل الثالث: ص٥٥- ٧٨، الفصل الرابع: ٧٩- ٩٣، الفصل الخامس: ٩٣- ١٠٢، الفصل السادس: ١٠٢- ١١٥ .

أصول التفسير ومناهج المفسرين وعلوم القرآن؛ لدخول الأولين في الثالث في المصنفات المتقدمة، ولم ينفصلا عنه- بجلاء- إلا في العصر الحاضر، مع ما يوجد من التقارب الكبير بين هذه العلوم؛ مما لا يمكن معه الفصل التام بين مسائلها، وبقاء عدد غير قليل من المسائل الفرعية تتنازعها هذه العلوم الثلاثة حتىٰ الآن.

أما (أصول التفسير) فإن الموضوعين الرئيسين فيه[1]، مذكوران في هذه الرسالة، وهما:

(١) أنواع الاختلاف في التفسير وأسبابه، وقد استغرق هذا الموضوع الفصل الثاني (في اختلاف السلف) والفصلين الثالث والرابع (في نوعي الاختلاف في التفسير وأسباب الخطأ فيها).

(٢) طرق التفسير (مصادر التفسير)[2] وقد استغرق الكلام علىٰ هذا الموضوع الفصل الأول (في البيان النبوي) ثم الفصلين الأخيرين الخامس والسادس (في تفسير القرآن بالقرآن والسنة وأقوال الصحابة والتابعين، والتفسير بالرأي).

وتفصيل المسائل الفرعية لأصول التفسير الواردة في هذه الرسالة علىٰ النحو التالي:

= **في مقدمة المؤلف:**

- حاجة الأمة الماسة إلىٰ فهم القرآن.

= **في الفصل الأول:**

- بيان النبي ﷺ معاني القرآن لأصحابه.
- عناية الصحابة بتلقي القرآن ومعانيه وطريقتهم في ذلك.
- الأدلة النقلية والعقلية علىٰ أن المقصود من إنزال القرآن تدبر معانيه.

(١) انظر: التحرير في أصول التفسير للدكتور مساعد الطيار: ص١٩ .

(٢) طرق التفسير هي مصادر التفسير، انظر مثلاً: تفسير القرآن الكريم أصوله وضوابطه للدكتور علي العبيد: ص٣١، التحرير في أصول التفسير للدكتور مساعد الطيار: ص٣٧ وفيه ذكر للأسماء الأخرىٰ لطرق التفسير، وانظر أيضاً: شرحه للمقدمة: ص٢٦٩.

- النزاع بين الصحابة في التفسير أقل من التابعين وهو عندهم قليل بالنسبة لمن بعدهم.

- التابعون تلقوا التفسير عن الصحابة لهذا اعتمد الأئمة علىٰ تفسيرهم.

- اعتماد الأئمة كالثوري والشافعي والبخاري وأحمد علىٰ تفسير مجاهد.

- أن التابعين قد يتكلمون أحيانًا في التفسير باجتهادهم واستنباطهم.

= **في الفصل الثاني:**

- الخلاف بين السلف في التفسير قليل، وأغلبه خلاف تنوع، وخلافهم في الأحكام أكثر.

- أصناف اختلاف التنوع:

- الصنف الأول منه: اتحاد المسمىٰ واختلاف العبارة.

- مثال علىٰ الترجيح بدلالة السياق في قوله تعالىٰ: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي ﴾ [طه: ١٢٤].

- السلف كثيراً ما يعبِّرون عن المسمَّىٰ بعبارة تدل علىٰ عينه، وإن كان فيها من الصفة ما ليس في الاسم الآخر، وأنه ليس اختلاف تضاد.

- الصنف الثاني من اختلاف التنوع: أن يذكر أمثلة للاسم العام (التفسير بالمثال).

- من التفسير بالمثال الوارد كثيراً عن السلف: ما يرد في أسباب النزول من قولهم (نزلت الآية في كذا).

- قولهم (نزلت الآية في فلان أو في قوم معينين) لا يدل علىٰ اختصاص حكم الآية به.

- قول أحدهم (نزلت في كذا) لا ينافي قول الآخر (نزلت في كذا) إذا كان اللفظ يتناولهما؛ لأنه كالتفسير بالمثال.

- الغالب علىٰ تفسير السلف نوعان: تنوع الأسماء والصفات،

والتفسير بالمثال.

- الصنف الثالث من اختلاف التنوع: اللفظ المحتمل للأمرين؛ إما بسبب الاشتراك أو التواطؤ.

- الصنف الثالث (المحتمل) قد يجوز فيه إرادة جميع الأقول (فيكون من نوع التفسير بالمثال) وقد لا يجوز فيه ذلك.

- الصنف الرابع من اختلاف التنوع: التعبير عن المعنىٰ بألفاظٍ متقاربة.

- مجموع عبارات السلف أدلُّ علىٰ المعنىٰ المقصود من عبارة أو عبارتين.

- لا بدَّ من وجود اختلاف محقق (تضاد) بين السلف في التفسير لكنه قليل جداً.

= **في الفصل الثالث:**

- الاختلاف في التفسير من حيث المستنَد نوعان: ما مستنده النقل، وما مستنده الاستدلال.

- النوع الأول: ما مستنده النقل:

- المنقول في التفسير: منه ما يمكن معرفة صحيحه، ومنه ما لا يمكن.

- الأصل في المنقول الذي لا يمكن معرفة صحيحه أنه مما لا فائدة فيه.

- تكون الاسرائيليات مقبولة إذا شهد لها النبي ﷺ بالصحة.

- تسمية بعض المعروفين برواية الإسرائيليات.

- الأصل في الإسرائيليات عدم تصديقها أو تكذيبها إلا بحجة.

- الموقف من الإسرائيليات المنقولة عن الصحابة والتابعين.

- مقولة الإمام أحمد في أسانيد التفسير.

- الغالب علىٰ أسانيد التفسير أنها مراسيل.

- صحة المراسيل إذا تعددت طرقها وخلت عن المواطأة.

- أمثلة علىٰ الأحاديث الموضوعة في كتب التفسير.

= **الفصل الرابع:**

- النوع الثاني من أنواع الاختلاف في التفسير من حيث المستنَد: ما مسنده الاستدلال:

- الخطأ في التفسير من جهة الاستدلال لا يوجد في تفاسير السلف وإنما حدث بعدهم.

- التفاسير التي تنقل تفسير السلف صرفًا لا يوجد فيها الخطأ في التفسير من جهة الاستدلال.

- الخطأ في التفسير الذي مستنده الاستدلال له جهتان:

- الجهة الأولىٰ: اعتقاد معانٍ ثم حمل ألفاظ القرآن عليها.

- الجهة الثانية: تفسير القرآن بمجرَّد اللغة.

- نظر أصحاب الجهة الأولىٰ إلىٰ المعنىٰ الذي اعتقدوه أسبق، ونظر الآخرين إلىٰ اللفظ أسبق.

- أصحاب الجهة الأولىٰ، يقعون في صنفين من الخطأ:

- الصنف الأول: سلب ألفاظ القرآن دلالتها الصحيحة.

- الصنف الثاني: حمل ألفاظ القرآن علىٰ معانٍ لا تدل عليها.

- إذا كان المعنىٰ الذي تُحمل عليه ألفاظ القرآن باطلاً- وهو الأكثر- كان الخطأ (في الدليل والمدلول) وإذا كان المعنىٰ حقًا- لكن القرآن لا يدل عليه- كان الخطأ (في الدليل لا في المدلول).

- ممن أخطأ (في الدليل والمدلول): طوائف من أهل البدع كالخوارج، والروافض، والجهمية، والمعتزلة، والقدرية، والمرجئة.

- ما من تفسير من تفاسير المبتدعة إلا ويظهر بطلانه من جهتين: الأولىٰ: فساد قولهم في ذاته، والثانية: فساد تفسيرهم للقرآن؛ سواء في استدلالهم به علىٰ قولهم، أو في تحريفه جوابًا علىٰ المعارض لهم.

- مَن خالف مذاهب الصحابة والتابعين وتفسيرهم فهو مخطئ بل مبتدع، مع احتمال كونه مجتهداً مغفوراً له خطؤه.

- سلف الأمة من الصحابة والتابعين هم أعلم الناس بتفسير القرآن ومعانيه.

- من أعظم أسباب الاختلاف المحدث في التفسير: البدع الباطلة التي دعت أصحابها إلىٰ تحريف معاني القرآن، ومخالفة تفسير السلف الصالح.

- تفسير القرآن بمعانٍ صحيحة لكن القرآن لا يدلُّ عليها، هو من (الخطأ في الدليل لا في المدلول).

= **في الفصل الخامس:**

- بيان أحسن طرق التفسير.

- تفسير القرآن بالقرآن من أصح طرق التفسير.

- من تفسير القرآن بالقرآن: أن ما أجمل في مكان فسِّر في آخر، وما اختصر في مكان بُسِط في آخر.

- السنة شارحة للقرآن وموضحة له، بل قال الشافعي: إن كلَّ ما حكم به الرسول ﷺفهو مما فهمه من القرآن.

- الاستدلال بحديث معاذ حين بعثه النبي ﷺ إلىٰ اليمن علىٰ ترتيب طرق التفسير.

- الرجوع إلىٰ أقوال الصحابة إذا لم يوجد التفسير في القرآن نفسه ولا في السنة.

- مكانة الصحابة في الدين عموماً وفي التفسير خصوصاً.

- غالب ما يرويه السدي الكبير في تفسيره هو عن ابن مسعود وابن عباس، لكنه يروي عنهم الإسرائيليات التي تجوز حكايتها.

- أن عبد الله بن عمرو أصاب يوم اليرموك زاملتين من كتب أهل الكتاب، وكان يحدِّث منهما بما فهمه من إذن النبي ﷺ بذلك.

- الأصل في الإسرائيليات أنها تذكر للاستشهاد لا للاعتقاد.

- أقسام الإسرائيليات الثلاثة، وحكم كلِّ قسم.

- علماء أهل الكتاب يختلفون فيما يروونه من أقاصيصهم، ويأتي عن المفسرين خلاف بسبب ذلك.

- ذكر أمثلة فيما وقع فيه الخلاف من الإسرائيليات، وأن ذلك مما لا فائدة في تحقيقه.

- جواز نقل الخلاف عن أهل الكتاب فيما لا يُعلم صدقه ولا كذبه.

= **الفصل السادس:**

- رجوع كثير من الأئمة إلىٰ تفسير التابعين، إذا لم يوجد في القرآن ولا في السنة ولا في أقوال الصحابة.

- من أنواع خلاف التنوع عند السلف: اختلافهم في العبارة والمعنىٰ واحد.

- من طرق السلف في التفسير: تفسير الشيء بلازمه، أو نظيره، أو النصّ عليه بعينه، وذلك كله داخل في خلاف التنوع الذي يعود غالبًا إلىٰ معنىٰ واحد.

- مدىٰ حجية أقوال التابعين في التفسير.

- إذا اختلفت أقوال التابعين (خلاف تضاد) لم تكن حجة حينئذٍ.

- إذا أجمع التابعون علىٰ قول في التفسير فهو حجة بلا ريب.

- المرجحات عند اختلاف التابعين: لغة القرآن، أو السنة، أو عموم لغة العرب، أو أقوال الصحابة.

- بيان حرمة التفسير بمجرَّد الرأي.

- التوفيق بين ما روي من تشديد السلف في التفسير بغير علم، مع الروايات الكثيرة عنهم في التفسير.

- بيان معنىٰ حديث "من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ".

- تحرُّج جماعة من الصحابة والتابعين من تفسير ما لا علم لهم به.

- توجيه استشكال أبي بكر وعمر لمعنىٰ الأبِّ، مع كونه معروفًا في اللغة.

- تعظيم فقهاء المدينة القول في التفسير، مثل: سالم بن عبد الله، والقاسم بن محمد، وسعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير، وعبيدة السلماني، ومسلم بن يسار.

- التابعون في الكوفة يتقون التفسير، مثل: الشعبي، والنخعي، ومسروق بن الأجدع.

- التوفيق بين ما روي من تحرّج السلف عن التفسير، مع ما روي عنهم من التفسير.

- جواز الكلام في التفسير بما يعلم من ذلك لغة وشرعاً.

- أثر ابن عباس: "التفسير علىٰ أربعة أوجه ".

ثانيًا: مسائل التفسير .

= **في مقدمة المؤلف:**

- ذكر بعض الآيات الدالة علىٰ حاجة الأمة الماسة لفهم القرآن.

= **في الفصل الأول:**

- ذكر بعض الآيات الدالة علىٰ تدبر معاني القرآن.

= **في الفصل الثاني:**

- المراد بالذكر في قوله تعالىٰ: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى ﴾ [طه: ١٢٤] والقولين فيه مع الترجيح.

- المراد بالهدىٰ في قوله تعالىٰ: ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴾ [طه: ١٢٣].

- اختلاف السلف في المراد بـ ﴿ ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ [الفاتحة: ٦] وأنه اختلاف عبارة والمسمىٰ واحد.

- مثالان علىٰ تفسير القرآن بالسنة في تفسير ﴿ ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ [الفاتحة: ٦]

بالقرآن لحديث علي، وبالإسلام لحديث النواس بن سمعان.

- الخلاف في المراد بالظالم والمقتصد والسابق، في قوله تعالىٰ: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ ﴾ [فاطر: ٣٢].

- ذكر أسباب نزول سبع آيات، هي: آية الظهار[١]، وآية اللعان[٢]، وآية الكلالة[٣]، وقوله تعالىٰ: ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ [المائدة: ٤٩]، ﴿ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥ ﴾ [الأنفال: ١٦]، ﴿ شَهَٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ ﴾ [المائدة: ١٠٦]، ﴿ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ﴾ [البقرة: ١٩٥].

- ذكر القولين في المراد بلفظ ﴿ فَسُورَةٍ ﴾، ولفظ ﴿ عَسْعَسَ ﴾ [التكوير: ١٧].

- معنىٰ المَور في قوله تعالىٰ: ﴿ يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ﴾ [الطور: ٩].

- معنىٰ الوحي في قوله تعالىٰ: ﴿ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ﴾ [النساء: ١٦٣].

- معنىٰ القضاء في قوله تعالىٰ: ﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ [الإسراء: ٤].

- معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ ﴾ [ص: ٢٤].

- معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ﴾ [آل عمران: ٥٢، الصف: ١٤].

- معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ﴾ [الإسراء: ٧٣].

- معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ ﴾ [الأنبياء: ٧٧].

- معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ ﴾ [الإنسان: ٦].

- معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ لَا رَيْبَ ۛ ﴾ [البقرة: ٢].

(١) هي الآية: ٢ من سورة المجادلة.

(٢) هي الآيات: ٦- ٩ من سورة النور.

(٣) هي الآية: ١٧٦ من سورة النساء.

- الأقوال في معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿أَن تُبْسَلَ﴾ [الأنعام: ٧٠].

= **في الفصل الثالث:**

- أمثلة علىٰ ما ورد في بعض كتب التفسير مما لا يمكن معرفة صحيحه ولا فائدة فيه.

- مثال تفسير القرآن بالسنة: فيما صحَّ عن النبي ﷺ أن اسم صاحب موسىٰ هو الخضر.

= **في الفصل الرابع:**

- أمثلة للتحريفات الشنيعة التي لا يقضي منها العالم عجبه من تفسيرات الرافضة.

- أمثلة لتفسيرات أخرىٰ لغير الرافضة تشبه تفسيراتهم من بعض الوجوه، وهي خرافات يذكرها بعض المفسرين تتضمن تفسير ألفاظ القرآن بما لا تدلُّ عليه بحال، أو تتضمن حصر اللفظ المطلق العام في شخص واحد.

- التفسير الصحيح لقوله تعالىٰ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾ [الفتح: ٢٩].

= **في الفصل الخامس:**

- ذكر بعض الآيات الدالة علىٰ أن السنة شارحة للقرآن.

- تفسير قوله تعالىٰ: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٢]، وما اشتملت عليه من دلالات.

= **في الفصل السادس:**

- بيان معنىٰ كون القاذف كاذبًا إذا لم يأت بالشهداء، في قوله تعالىٰ: ﴿فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ [النور: ١٣].

- بيان المراد بالأبِّ في قوله: ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾ [عبس: ٣١] الذي استشكله أبو بكر وعمر.

- دلالة قوله تعالىٰ: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ [آل عمران: ١٨٧] علىٰ وجوب القول فيما سئل عنه مما يعلم.

المطلب الثاني: مسائل مناهج المفسرين واتجاهاتهم

= في الفصل الأول:

- بيان النبي ﷺ معاني القرآن لأصحابه.
- عناية الصحابة بتلقي القرآن ومعانيه وطريقتهم في ذلك.
- تلقي التابعين للتفسير عن الصحابة.

= في الفصل الثالث:

- أعلم الناس بالتفسير أهل مكة ثم أهل الكوفة ثم أهل المدينة.
- مدارس التفسير في عهد الصحابة، وتسمية الشيوخ والتلاميذ.
- رواية الثعلبي والواحدي والزمخشري للحديث الموضوع في فضائل كلِّ سورة.
- تقويم تفاسير: الثعلبي والواحدي والبغوي.

= في الفصل الرابع:

- تسمية خمسة عشر كتاباً من التفاسير النقلية المحضة (التي تنقل تفسير السلف صرفاً) وهي: تفسير عبد الرزاق، ووكيع، وعبد بن حميد، ودحيم، وتفسير الإمام أحمد، وإسحاق، وبقي بن مخلد، وابن المنذر، وابن عيينة، وسنيد، وابن جرير[1]، وابن أبي حاتم، والأشج، وابن ماجه، وابن مردويه.
- تصنيف المعتزلة تفاسير علىٰ أصول مذهبهم الباطل؛ ومن تلك التفاسير: تفسير الأصم، والجبائي، والقاضي عبد الجبار، والرُّماني، والكشاف للزمخشري.
- المفسرون من متأخري الشيعة وافقوا المعتزلة في بعض أصولهم كنفي القدر.

(١) عدُّ تفسير ابن جرير ضمن التفاسير النقلية المحضة فيه تجوُّز، حيث قال ابن حجر في مقدمة كتابه العجاب: ١/ ٢٠٣: "وقد أضاف الطبري إلىٰ النقل المستوعب أشياء لم يشاركوه فيها، كاستيعاب القراءات والإعراب والكلام في أكثر الآيات علىٰ المعاني، والتصدِّي لترجيح بعض الأقوال علىٰ بعض، وكل من صنَّف بعده لم يجتمع له ما اجتمع فيه".

- أبو جعفر الطوسي ممن تأثر في تفسيره بالمعتزلة، لكنه يضم إلىٰ ذلك قول الإمامية الاثني عشرية.

- كان الزمخشري حسن العبارة فصيحاً يدسُّ اعتزالياته في تفسيره؛ فيروج علىٰ كثير ممن لا يعتقد مذهبه دون علم، بل قد ينقلها عنه بعض المفسرين دون أن يعلم ما فيها من البدعة.

- بسبب تطرف المعتزلة في التأويل؛ دخلت الرافضة الإمامية، ثم الفلاسفة، ثم القرامطة، فيما هو أبلغ من ذلك، من التفسيرات الشنيعة.

- تقويم تفسير ابن عطية وموازنته بتفسير الزمخشري.

- الثناء علىٰ تفسير ابن جرير الطبري.

- تفسير أهل الكلام هو تفسير علىٰ مذهبهم وليس موافقاً للسنة، وإن كانوا أقرب إلىٰ السنة من المعتزلة.

- مخالفة تفسير السلف لأمر اعتقادي، فيه مشاركة لأهل البدع في طريقتهم.

- كثير من الصوفية والوعاظ والفقهاء يخطؤون (في الدليل لا في المدلول) إذ يفسرون القرآن بمعانٍ صحيحة لكن القرآن لا يدلُّ عليها ؛ مثل كثير مما يذكره أبو عبد الرحمن السلمي في كتابه (حقائق التفسير).

- بعض ما يذكره الصوفية والوعاظ والفقهاء هو معانٍ باطلة في نفسها، وهو خطأ (في الدليل والمدلول).

= **في الفصل الخامس:**

- أشهر الصحابة في التفسير: الخلفاء الأربعة، وابن مسعود، وابن عباس.

- بيان مكانة ابن مسعود في التفسير.

- بيان مكانة ابن عباس في التفسير.

- غالب ما يرويه السدي الكبير في تفسيره هو عن ابن مسعود وابن عباس، لكنه يروي عنهم الإسرائيليات التي تجوز حكايتها.

- أن عبد الله بن عمرو أصاب يوم اليرموك زاملتين من كتب أهل الكتاب، وكان يحدِّث منهما بما فهمه من إذن النبي ﷺ بذلك.

= **في الفصل السادس:**

- بيان مكانة مجاهد بن جبر في التفسير.

- تسمية عشرة من مفسري التابعين- غير مجاهد- هم: سعيد بن جبير، وعكرمة، وعطاء بن أبي رباح، والحسن البصري، ومسروق، وسعيد بن المسيب، وأبو العالية، والربيع بن أنس، وقتادة، والضحاك.

المطلب الثالث: مسائل علوم القرآن

= في الفصل الثاني:

- ذكر ستة من أسماء القرآن.
- أن معرفة سبب النزول يعين علىٰ فهم الآية.
- قولهم (نزلت الآية في كذا) محتملة للسببية، أو التفسير.
- إذا ذكر الصحابي السبب الذي أنزلت الآية لأجله فهو صريح في السببية.
- الاحتمالان الواردان فيما إذا ورد سببان صريحان في النزول لآية واحدة.
- تجويز القول باحتمال نزول الآية مرتين (تكرار النزول).
- الترادف في ألفاظ القرآن إما نادر أو معدوم، وهذا من إعجاز القرآن.
- الفرق في المعنىٰ بين اسمي الكتاب والقرآن.

= في الفصل الثالث:

- من المبهمات ما يصحُّ تعيينه عن النبي ﷺ.
- الحديث المروي في فضائل كلِّ سورة موضوع باتفاق أهل العلم بالحديث.

المطلب الرابع: مسائل العلوم الشرعية الأخرى

أولاً: مسائل علم الاعتقاد

= في الفصل الثاني:

- أسماء الله الحسنىٰ وأسماء رسوله ﷺ وأسماء القرآن هي من الأسماء المتكافئة التي بين المترادفة والمتباينة.

- ليس دعاء الله باسم من أسمائه مضاداً لدعائه باسم آخر، ودليله.

- دلالة أسماء الله الحسنىٰ علىٰ ذاته وعلىٰ صفاته تضمناً ولزوماً.

- قول مَن يدَّعي الظاهر بإنكار دلالة الأسماء الحسنىٰ علىٰ الصفات، من جنس قول غلاة الباطنية.

= في الفصل الرابع:

- أهل البدع كالخوارج والروافض والجهمية والمعتزلة والقدرية والمرجئة: اعتقدوا مذهباً يخالف الحق الذي عليه سلف الأمة؛ فعمدوا يؤولون القرآن علىٰ آرائهم الباطلة.

- المعتزلة من أعظم الناس كلاماً وجدالاً.

- ذكر أصول المعتزلة الخمسة، وهي: التوحيد، والعدل، والمنزلة بين المنزلتين، وإنفاذ الوعيد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

- بيان أن المراد بالتوحيد عند المعتزلة هو نفي الصفات- كالجهمية-.

- بيان أن المراد بالعدل عند المعتزلة هو نفي القدر، ووافقهم علىٰ ذلك متأخرو الشيعة.

- المفيد وأبو جعفر الطوسي من متأخري الشيعة الذين يقولون بقول المعتزلة.

- ليس في المعتزلة من يقول بمذهب الإمامية الاثني عشرية، ولا من ينكر خلافة أبي بكر وعمر وعثمان.

- من أصول المعتزلة مع الخوارج (إنفاذ الوعيد في الآخرة)، أي: تخليد أهل الكبائر في النار.

- ردَّ علىٰ المعتزلة طوائفُ من المرجئة والكرامية والكلابية؛ فأحسنوا تارة وأساؤوا أخرىٰ.

- ليس لأهل البدع سلف من الصحابة والتابعين، لا في رأيهم ولا في تفسيرهم.

- تأثر طائفة من أهل الكلام في تقرير أصولهم بطرق هي من جنس ما قرَّرت به المعتزلة أصولهم، وهم مع ذلك أقرب إلىٰ السنة من المعتزلة.

- مخالفة تفسير السلف لأمر اعتقادي، فيه مشاركة لأهل البدع في طريقتهم.

- سلف الأمة من الصحابة والتابعين هم أعلم الناس بمعاني القرآن وبالحق الذي جاء به النبي ﷺ.

- من أصول العلم: معرفة أقوال السلف الصالح، وأن الأقوال المخالفة لهم محدثة مبتدعة.

ثانيًا: مسائل علم أصول الفقه والمنطق[1]:

= **في الفصل الثاني:**

- الأسماء المتكافئة التي بين المترادفة والمتباينة.

- إذا كان المقصود تعيين المسمَّىٰ فإنه يعبَّر عنه بأي اسم يُعرِّف مسمَّاه.

- إذا كان المقصود معرفة ما في الاسم من الصفة المختصة به، فلا بدَّ من قدر زائد علىٰ تعيين المسمىٰ.

- تفسير اللفظ العام بالمثال هو لتنبيه المستمع علىٰ النوع وليس لقصد تفسيره

(١) قدمت علم الأصول علىٰ الفقه لكونه أصل له، والأصل مقدم علىٰ الفرع، ولأن علم أصول الفقه بأصول التفسير أشبه، كما ألحقت مسائل المنطق بالأصول؛ لأن كثيراً من الأصوليين يذكرونها، ولقلَّتها في مقدِّمة ابن تيمية.

بالحد المطابق.

- التعريف بالمثال قد يسهل أكثر من التعريف بالحدِّ المطابق.

- تنازع الناس في اللفظ العام الوارد علىٰ سبب، وأن مَن قال بخصوصه فإنه أراد خصوص النوع لا الشخص المعين.

- جواز حمل المشترك علىٰ معنييه عند الجمهور.

- من أسباب الخلاف بين العلماء.

= **في الفصل الثالث:**

- ما يحتاج المسلمون إلىٰ معرفته فإن الله قد نصب علىٰ الحق فيه دليلاً.

- الأمة لا تجتمع علىٰ خطأ.

- الإجماع علىٰ صحة الخبر يرفع احتمال الخطأ فيه.

- الإجماع علىٰ حكم ثبت بظاهر أو قياس ظني، يفيد الجزم بأن ذلك الحكم هو الحق ظاهراً وباطنًا.

- جمهور العلماء من جميع الطوائف علىٰ قبول خبر الواحد إذا تلقته الأمة بالقبول.

- تسمية عدد من المصنِّفين في الأصول، من الأشعرية: كأبي إسحاق، وابن فورك، وابن الباقلاني، وأبي المعالي، وأبي حامد، وابن عقيل، وابن الجوزي، وابن الخطيب، والآمدي.

- تسمية عدد من المصنِّفين في الأصول من الشافعية: كأبي حامد، وأبي الطيب، وأبي إسحاق، ومن المالكية: القاضي عبد الوهاب، ومن الحنبلية: أبو يعلىٰ، وأبو الخطاب، وابن الزاغوني، ومن الحنفية: السرخسي.

- الاعتبار في قبول الأخبار هو إجماع أهل الحديث.

- الاعتبار في الإجماع علىٰ الأحكام هو إجماع أهل العلم بالأمر والنهي والإباحة (الفقهاء).

= في الفصل الخامس:

- أحسن طريقة في حكاية الخلاف وعرض الأقوال.

- نصب الخلاف فيما لا فائدة فيه، أو حكاية أقوال متعددة حاصلها إلىٰ قول أو قولين، تضييع للزمان.

= في الفصل السادس:

- أقوال التابعين ليست حجة في الفروع.

- بيان معنىٰ حديث "من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ".

ثالثًا: مسائل علم الفقه:

= في الفصل الثاني:

- إذا لم يعرف ما نواه الحالف فالراجح أنه يرجع إلىٰ سبب يمينه وما هيَّجها وأثارها.

- عامة ما يضطر لمعرفته عموم المسلمين معلوم بل متواتر عند العامة والخاصة: كعدد الصلوات، ومقادير ركوعها ومواقيتها، وفرائض الزكاة ونُصُبها، وتعيين شهر رمضان، والطواف، والوقوف، ورمي الجمار، والمواقيت.

- اختلاف الصحابة في بعض مسائل الفرائض لا يوجب ريبًا في جمهورها.

- أنزل الله في الفرائض ثلاث آيات مفصَّلة.

- اجتماع الجدِّ والإخوة في الفرائض نادر، ولم يقع إلا بعد وفاة النبي ﷺ.

رابعًا: مسائل علوم الحديث والسيرة[1]:

= في الفصل الأول:

- سياق أثر أبي عبد الرحمن السلمي بالإسناد في كيفية تعلم الصحابة للقرآن.

(١) ألحقت مسائل السيرة (المغازي) بعلوم الحديث؛ لقربها منها، ولقلَّتها في مقدِّمة ابن تيمية.

- تخريج أثرين عن طول مدَّة حفظ بعض الصحابة للقرآن.

= **في الفصل الثاني:**

- تنازع العلماء في قول الصحابي (نزلت الآية في كذا) هل هو من المسند (المرفوع) أم لا ؟ واختيار البخاري للأول، وعلىٰ الثاني أكثر المسانيد كمسند أحمد وغيره.

- إذا ذكر الصحابي سبباً أنزلت الآية لأجله؛ فجميع المحدثين يدخلونه في المسند.

= **في الفصل الثالث:**

- مقولة الإمام أحمد: "ثلاثة أمور ليس لها إسناد، أو أصل".

- الغالب علىٰ أسانيد التفسير والمغازي والملاحم أنها مراسيل.

- تسمية ثمانية من مشاهير رواة المغازي والمصنِّفين فيها، وهم: عروة بن الزبير، والشعبي، والزهري، وموسىٰ بن عقبة، وابن إسحاق، وبعدهم: يحيىٰ بن سعيد الأموي، والوليد بن مسلم، والواقدي.

- أعلم الناس بالمغازي أهل المدينة ثم أهل الشام ثم أهل العراق، وسبب ذلك.

- مكانة كتاب أبي إسحاق الفزاري في المغازي.

- تقديم الأوزاعي علىٰ غيره في باب المغازي.

- صحة المراسيل إذا تعددت طرقها وخلت عن المواطأة.

- اعتضاد الطرق الضعيفة أفرادها- كالمراسيل- يصحح دلالتها علىٰ ما تتفق فيه لكن لا تضبط به الألفاظ والدقائق.

- التمثيل علىٰ ما اتفقت فيه روايات أصحاب المغازي: بثبوت غزوة بدر بالتواتر، والقطع بأن حمزة وعلياً وعبيدة برزوا إلىٰ عتبة وشيبة والوليد، وأن علياً

قتل الوليد وأن حمزة قتل قرنه، مع الخلاف في قرنه.

- تسمية ستة من الصحابة وعشرة من التابعين، وبيان بعدهم عن تعمُّد الكذب علىٰ رسول الله ﷺ.

- تسمية بعض الحفاظ الكبار من التابعين الذين يندر في حديثهم الغلط، وهم: الشعبي، والزهري، وعروة، وقتادة، والثوري.

- الحديث الطويل المروي من جهتين مختلفتين من غير مواطأة يمتنع فيه الغلط والكذب.

- الاختلاف في بعض تفاصيل الحديث مع الاتفاق علىٰ أصله لا يضعفه فضلاً عن إبطاله.

- من تأمَّل طرق حديث بيع جابر جمله للنبي ﷺ علم قطعاً أن أصل الحديث صحيح، وإن كانوا قد اختلفوا في مقدار الثمن، كما بيَّن ذلك البخاري.

- جمهور ما في صحيحي البخاري ومسلم من الأحاديث مما يقطع بأن النبي ﷺ قاله، لتلقِّي الأمة لهما بالقبول، وهي لا تجتمع علىٰ خطأ.

- جمهور العلماء من جميع الطوائف علىٰ قبول خبر الواحد إذا تلقته الأمة بالقبول.

- الاعتبار في قبول الأخبار هو إجماع أهل الحديث.

- الانتفاع بالطرق الضعيفة إذا تعددت دون مواطأة كالمراسيل في باب الشواهد والاعتبار.

- قول الإمام أحمد: إن حديث ابن لهيعة يكتب للاعتبار.

-كثيراً ما يقرن حديث ابن لهيعة بالليث بن سعد، والليث حجة ثبت إمام.

- قد يضعَّف حديث الثقة الضابط إذا تبيَّن غلطه؛ بأمور يعرفها أئمة الحديث، ويسمَّىٰ (علم علل الحديث).

- ذكر عدد من الأمثلة لأحاديث غلط فيها الرواة الثقات، فعرفها أئمة الحديث.

- معرفة الأئمة أن النبي ﷺ تزوج ميمونة وهو حلال وأنه صلَّىٰ في البيت ركعتين، وجعلوا رواية ابن عباس لتزوجها حرامًا ولكونه لم يصلِّ، مما وقع فيه الغلط.

- وكذلك أنه ﷺ اعتمر أربع عمر، وعلموا أن قول ابن عمر: أنه اعتمر في رجب؛ مما وقع فيه الغلط.

- وعلموا أنه تمتَّع وهو آمن في حجة الوداع، وأن قول عثمان لعلي:كنَّا يومئذٍ خائفين؛ مما وقع فيه الغلط.

- أن ما وقع في بعض طرق البخاري: "أن النار لا تمتلئ حتىٰ ينشئ الله لها خلقًا آخر" مما وقع فيه الغلط.

- الذين لم يعرفوا طريقة أئمة الحديث في باب التصحيح والتضعيف طرفان.

- الحديث عليه أدلة يعلم بها الأئمة صحته من كذبه.

- أئمة الحديث يقطعون بصحة أحاديث، وبوضع أحاديث أخرىٰ.

- الحديث المروي في فضائل كلِّ سورة موضوع باتفاق أهل العلم بالحديث.

- أمثلة علىٰ الأحاديث الموضوعة في كتب التفسير.

- حديث تصدق علي بن أبي طالب بخاتمه في الصلاة، يذكره الرافضة، وهو موضوع بإجماع أهل العلم.

- وقع من الذين صنفوا في شرح الحديث من المتأخرين الإتيان بأقوال محدثة مبتدعة، مخالفة لأقوال السلف الصالح.

= **في الفصل الخامس:**

- السنة شارحة للقرآن وموضحة له، بل قال الشافعي: إن كلَّ ما حكم به الرسول ﷺ فهو مما فهمه من القرآن.

- السنة تنزل علىٰ النبي ﷺ بالوحي كما ينزل عليه القرآن، لكنها لا تتلىٰ كما يتلىٰ.

- تخريج حديث معاذ حين بعثه النبي ﷺ إلىٰ اليمن، بأنه في المساند والسنن، والحكم عليه بجودة الإسناد.

- سياق أثرين بإلإسناد في بيان مكانة ابن مسعود في التفسير.

- سياق ثلاثة آثار بأسانيدها في بيان مكانة ابن عباس في التفسير.

- تصحيح إسناد أثر عن ابن مسعود في ثنائه علىٰ ابن عباس.

- تصحيح تاريخ وفاة ابن مسعود، وكم سنة بقي ابن عباس بعده.

- غالب ما يرويه السدي الكبير في تفسيره هو عن ابن مسعود وابن عباس، لكنه يروي عنهم الإسرائيليات التي تجوز حكايتها.

- تخريج حديث "وحدِّثوا عن بني إسرائل ولا حرج" بأنه رواه البخاري عن عبد الله بن عمرو.

- أن عبد الله بن عمرو أصاب يوم اليرموك زاملتين من كتب أهل الكتاب، وكان يحدِّث منهما بما فهمه من إذن النبي ﷺ بذلك.

= **في الفصل السادس**:

- سياق ثلاثة آثار بأسانيدها في بيان مكانة مجاهد بن جبر في التفسير.

- سياق أثر بإسناده في بيان مكانة قتادة في التفسير.

- تسمية عشرة من مفسري التابعين- غير مجاهد- هم: سعيد بن جبير، وعكرمة، وعطاء بن أبي رباح، والحسن البصري، ومسروق، وسعيد بن المسيب، وأبو العالية، والربيع بن أنس، وقتادة، والضحاك.

- سياق ثلاثة أحاديث بأسانيدها في حرمة التفسير بمجرَّد الرأي.

- تخريج حديث "من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ" ونقل كلام

الترمذي في الحكم عليه، ثم بيان ابن تيمية لمعنىٰ الحديث.

- سياق عدَّة آثار بأسانيدها عن عدد من الصحابة والتابعين في التحرج من القول في التفسير بغير علم.

- حكمه بالانقطاع علىٰ أثر أبي بكر عندما سئل عن الأبِّ، ثم حكمه بصحة الإسناد علىٰ أثر ابن أبي مليكة أن ابن عباس سئل عن آية لو سئل عنها بعضكم لقال فيها فأبىٰ أن يقول فيها.

- استشهاد ابن تيمية بحديث: "من سئل عن علم فكتمه"، وقوله عنه: إنه روي من طرق.

- سياق أثر ابن عباس "التفسير علىٰ أربعة أوجه " بالإسناد.

المطلب الخامس: مسائل علوم العربية

= في الفصل الثاني:

- المصدر تارة يضاف إلىٰ الفاعل وتارة إلىٰ المفعول، ومثاله من القرآن.
- الترادف في اللغة قليل.
- الفرق بين المَور والحركة.
- ترجيح رأي البصريين في القول بتضمين الأفعال، علىٰ القول بتناوب الحروف.
- الفرق بين الريب والشك.
- الفرق بين اسمي الإشارة: ذلك، وهذا.

= في الفصل الرابع:

- مثال لما يسميه النحاة (خبراً بعد خبر).

❊ ❊ ❊

المبحث الثالث
ملامح منهج ابن تيمية العلمي في المقدمة

هذا المبحث والذي يليه هما المبحثان الأساسيان في موضوع البحث، وما قبلهما وما بعدهما مكملات ومتعلقات لزيادة البيان والإيضاح والاستدلال والحِجاج لما فيهما.

أما ملامح منهج ابن تيمية التأليفي في رسالته هذه فهي نفسها ملامح منهجه عموماً في الكتابة والتأليف[1]، لكني اجتهدت في تصنيفها قسمين:

(١) ملامح منهجية **علمية**: وهي موضوع هذا المبحث.

(٢) ملامح منهجية **أسلوبية**: وهي موضوع المبحث التالي.

وطريقتي في الكلام على هذه الملامح: البداية ببيان المقصود من كل ملمح إن لم يكن ظاهراً، ثم ذكر الشاهد أو الشواهد من كلام ابن تيمية نفسه أو الباحثين والشراح للمقدمة على التزام ابن تيمية به فيها، ثم ذكر أبرز الأمثلة على تطبيق الملمح من المقدمة نفسها[2].

(١) انظر في الملامح العامة لمنهج ابن تيمية: المداخل إلى آثار شيخ الإسلام ابن تيمية وما لحقها من أعمال لبكر أبو زيد: ص٥٥، ومحاضرة بعنوان (كيف تقرأ كتب شيخ الإسلام) للشيخ صالح آل الشيخ، موجودة صوتية ومكتوبة (مفرَّغة) على شبكة (الإنترنت)، وشيخ الإسلام أحمد بن تيمية رجل الإصلاح والدعوة، لإبراهيم العلي: ص٣٦٠، رجال الفكر والدعوة في الإسلام للندوي: ١/ ٥٤٣.

(٢) انظر في ذكر بعض ملامح منهجه في هذه الرسالة خصوصاً: مقدمة تحقيق الدكتور عدنان زرزور للمقدمة: ص٦- ٧، ٩- ١٩، مقدمة أصول التفسير لشيخ الإسلام ابن تيمية- تحليل وتعقيب: ص٩٣.

المطلب الأول: سلفية الاعتقاد

سلفية ابن تيمية في الاعتقاد، بل في سائر أبواب العلم، وعنايته بكلام السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان من أئمة السنة في سائر العصور، من الأمور الظاهرة التي لا تحتاج إلىٰ برهنة وتطويل في ذكر الشواهد والأدلة عليها، لكني سأكتفي بما قاله الدكتور عدنان زرزور في مقدمة تحقيقه لمقدمة التفسير: "وبحسبنا أن نشير إلىٰ رأس الأمر في منهج ابن تيمية الفكري بوجه عام، والذي كان يصدر عنه- بحزم ودقة ونفاذ بصيرة تدعو إلىٰ الإعجاب- في كل مواقفه وكتبه ورسائله وفتاويه الكثيرة، إن هذا المنهج يلخص في الاتباع كطريق علمي مدروس، أو في السلفية كدعوة واضحة المعالم"[(١)]، وشواهد هذا الملمح في رسالته (المقدمة) أكثر من أن تحصىٰ، ومن ذلك:

(١) كلامه في الفصل الثاني علىٰ خلاف السلف في التفسير وأنواعه وأسبابه، ثم تأكيد مكانة تفسيرهم وخصوصاً تفسير الصحابة والتابعين في الفصلين الأخيرين: الخامس والسادس[(٢)].

(٢) كلامه في الفصل الثالث عن التفسير المنقول عن النبي ﷺ أو عن الصحابة والتابعين، ومتىٰ يقبل أو يرد، وأعلم الناس بالتفسير من السلف، ثم ذمُّه في الفصل الرابع للتفاسير الحادثة بعد السلف، وبيان جهات مخالفتها لمنهجهم وتفصيل ذلك[(٣)].

(٣) سياقه في الفصل الأخير (السادس) لأكثر من ثلاثين أثراً عن الصحابة والتابعين وتابعيهم، كثيرٌ منها بأسانيدها[(٤)].

(١) مقدمة في أصول التفسير بتحقيق الدكتور زرزور: ص٦

(٢) انظر: المصدر السابق: الفصل الثاني: ص٣٨- ٥٥، والخامس والسادس: ص٩٣- ١١٥

(٣) انظر: المصدر السابق: الفصل الثالث: ص٥٥- ٧٨، والرابع: ص٧٩- ٩٣

(٤) انظر: المصدر السابق: الفصل السادس: ص١٠٢- ١٠٥

المطلب الثاني: العناية بالأدلة النقلية والعقلية

عناية ابن تيمية بالأدلَّة النقلية من القرآن والسنَّة والإجماع، وكثرة استدلاله بها وعجيب استحضاره لها، وبيان دلالتها، مع تحقيق صحة ما يستدلُّ به من الأحاديث= أمر ظاهر في كتاباته ومؤلفاته، وهو ما أسماه الدكتور زرزور بالاتباع[1]، ومن شواهد ذلك في رسالته (المقدمة):

- أن عدد الآيات والأحاديث التي استدل بها في هذه الرسالة كانت أكثر من سبعين آية[2]، وأكثر من عشرين حديثًا قوليًا، بعضها ساقه بالإسناد، وبعضها تكلَّم عليه تخريجًا وتصحيحًا أو تضعيفًا.

- من المواضع التي استدلَّ فيها بعدد من الآيات: حاجة الأمة الماسة لفهم القرآن في المقدمة[3]، والأدلة على تدبّر القرآن في الفصل الأول[4]، وكون السنة شارحة للقرآن في صدر الفصل الخامس[5]، وذكره لأمثلة على أنواع اختلاف السلف في التفسير والأحكام في عموم الفصل الثاني[6]، وذكره لأمثلة على التفسيرات المبتدعة لما يقارب خمسة عشر آية في موطنٍ واحد في آخر الفصل الرابع[7].

(١) انظر: المصدر السابق: ص٦.

(٢) اضطرب صاحب كتاب (مقدمة أصول التفسير لشيخ الإسلام ابن تيمية تحليل وتعقيب): ص٩٨، ١٠٩ في إحصائه لعدد الآيات في المقدمة، فذكر مرة أنها (٤٨) وفي أخرى أنها (٧٧) والأول أقرب لعددها في فهرس (الشواهد القرآنية) عند الدكتور زرزور في آخر تحقيقه للمقدمة: ص١٢٦ - ١٢٨ حيث بلغت (٥٣) آية، والثاني أقرب لعددها الذي قمت به بنفسي فبلغت (٧٣) آية..

(٣) انظر: المقدمة بتحقيق زرزور: ص٣٣- ٣٥.

(٤) انظر: المصدر السابق: ص٣٥- ٣٨.

(٥) انظر: المصدر السابق: ص٩٣- ٩٤.

(٦) انظر: المصدر السابق: ص٣٨- ٥٥.

(٧) انظر: المصدر السابق: ص٨٧- ٨٩.

- أما الأحاديث: فمن المواطن التي كثر استدلاله بها وكلامه عليها: في عموم الفصل الثالث[١]، وعند كلامه علىٰ التفسير بمجرَّد الرأي في الفصل الأخير[٢].

- أما الإجماع؛ فقد كان معظم كلامه عليه في الفصل الثالث؛ حيث بيَّن حجّية الإجماع وأن الأمة لا تجتمع علىٰ ضلالة، وذكر أن الإجماع المعتبر هو إجماع أهل كلِّ فن في مسائلهم، كالاعتبار بإجماع المحدثين في مسائل قبول الأخبار، وإجماع الفقهاء في مسائل الحلال والحرام، مع ذكره لأمثلة متفرِّقة مما وقع عليه الإجماع[٣].

وأما احتكامه إلىٰ العقل أو العادة فمن أمثلته فيها:

- قوله في افتتاح الرسالة ومقدمتها: "والعلم إما نقل مصدَّق عن معصوم، وإما قول عليه دليل معلوم"[٤]، وكرر مثل هذه العبارة في مطلع الفصل الثالث.

- قوله في الفصل الأول: "وأيضاً فالعادة تمنع أن يقرأ قوم كتاباً في فن من العلم؛ كالطب والحساب، ولا يستشرحوه"[٥].

- قوله في الفصل الثاني:"والعقل السليم يتفطَّن للنوع كما يتفطن إذا أُشير له إلىٰ رغيف فقيل له: هذا هو الخبز"[٦].

- أثناء كلامه علىٰ المراسيل في الفصل الثالث احتج بما يمكن أو لا يمكن وقوعه في العادة[٧].

(١) انظر: المصدر السابق: ص٥٥- ٧٨.
(٢) انظر: المصدر السابق: ص١٠٥- ١١٥.
(٣) انظر: المصدر السابق: ص٦٦- ٧٣.
(٤) المصدر السابق: ص٣٣، وانظر مطلع الفصل الثالث: ص٥٥.
(٥) المصدر السابق: ص٣٧.
(٦) المقدمة بتحقيق زرزور: ص٤٤.
(٧) انظر: المصدر السابق: ص٦٢- ٦٣.

المطلب الثالث: إيراد الخلاف والمقالات

اشتهرت معرفة ابن تيمية بالخلاف الواقع بين أهل العلم من المفسِّرين والمحدِّثين والفقهاء والأصوليين وغيرهم، بل بمقالات المخالفين من أهل البدع وغيرهم، مع بسط أقوالهم- إذا اقتضىٰ المقام ذلك- وحشد أدلتهم أو شبههم ومناقشتها، مع الترجيح والتحقيق والتدقيق، والأمانة في النقل والعرض والعزو والاستدلال، ومن شواهد هذا الملمح في هذه الرسالة:

- تأصيله لكيفية عرض الخلاف في آخر الفصل الخامس، وأن أحسن ما يكون في حكايته: أن تستوعب الأقوال، وينبَّه علىٰ الصحيح منها ويُبطَل الباطل[1].

- كون الاختلاف في التفسير- وخصوصاً تفسير السلف- بأنواعه وأسبابه؛ من أهم الموضوعات التي عالجها في معظم فصول هذه الرسالة (الثاني والثالث والرابع)[2]، وقد نصَّ علىٰ ذلك في مقدمة هذه الرسالة عند بيانه لموضوعها العام- كما سبق في المبحث الأول-.

- من الأمثلة التفصيلية الواردة في هذه الرسالة: ذكره للأقوال في تفسير كثير من الآيات- التي سبق حصرها في المطلب السابق- وكذلك إيراده في الفصل الثاني طرفاً من خلاف المحدِّثين في اعتبار قول الصحابي (نزلت الآية في كذا) مسنداً أم لا؟[3] وفي الفصل الثالث- في أواخره- فصَّل القول في مسألة الاحتجاج بخبر الواحد[4].

(١) انظر:المصدر السابق: ص١٠١- ١٠٢

(٢) انظر: المصدر السابق: ص٣٨- ٩٣

(٣) انظر: المصدر السابق: ص٤٨

(٤) انظر المصدر السابق: ص٦٧- ٦٨

- من شواهد معرفته بمقالات أهل الفرق وطبقات بدعهم: معظم كلامه في الفصل الرابع[1]؛ كذكره أصول المعتزلة الخمسة وبيان المراد ببعضها، وردود المرجئة والكرّامية والكلابية عليهم وإحسانهم فيها تارةً وإساءتهم فيها أخرىٰ حتىٰ صاروا في طرفي نقيض، ثم دخول الغلاة من الفلاسفة والباطنية القرامطة والرافضة بسبب كلام المعتزلة فيما هو أبلغ وأشد في الانحراف، ففسروا القرآن بأنواع لا يقضي منها العالم عجبه.

(١) انظر: المقدمة بتحقيق زرزور: ص٧٩- ٩٣.

المطلب الرابع: التأصيل والتقعيد

المراد بهذا الملمح: كثرة ذكر القواعد والأصول، ويلحق به: التصنيف والتقسيم، وذكر النظائر والمسائل المتشابهة، وعكسها بذكر أوجه الفرق والاختلاف، ومن شواهد ذلك في هذه الرسالة (المقدمة):

- موضوع هذه الرسالة الذي ذكره ابن تيمية في صدرها بقوله: "مقدمة تتضمن قواعد كلية تعين علىٰ فهم القرآن، ومعرفة تفسيره ومعانيه"[1] والعنوان الأشهر لهذه الرسالة الذي اقتُبس من كلامه هذا: (مقدمة في أصول التفسير) كما سبقت الإشارة إلىٰ ذلك في المطلب الأول من المبحث الأول.

- من الأمثلة التفصيلية التي نصَّ فيها علىٰ ذلك: قوله في آخر كلامه عن الحديث المرسل: "وهذا الأصل ينبغي أن يُعرف، فإنه أصل نافع في الجزم بكثير من المنقولات في الحديث والتفسير والمغازي وما يُنقل من أقوال الناس وأفعالهم وغير ذلك"[2].

- ومن أمثلة التصنيف والتقسيم وهي كثيرة: أصناف اختلاف التنوع عند السلف في الفصل الثاني، ومستندا الاختلاف في التفسير في أول الفصلين الثالث والرابع، والتقسيم الثلاثي للإسرائيليات في أواخر الفصل الخامس[3].

- أما ذكر النظائر والمشتبهات فمن أمثلتها: تنظيره- في الفصل الثاني- إفادة سبب النزول في بيان معنىٰ الآية؛ برجوع الفقهاء لسبب اليمين إذا لم تعرف نية الحالف، وكتنظيره- في الفصل الثالث- المنقولات في التفسير وشبهها بالمنقولات في المغازي والملاحم، وكتنظيره- في الفصل الثالث أيضاً- كون الاعتبار في الحكم

(١) المصدر السابق: ص٣٣.

(٢) المصدر السابق: ص٦٣.

(٣) انظر: المرجع السابق: الفصل الثاني: ص٣٨- ٥٥، أول الفصلين الثالث والرابع: ص٥٥، ٧٩، أقسام الإسرائيليات: ص١٠٠

علىٰ الأخبار بإجماع أهل الحديث، بأن الاعتبار في الحلال والحرام إجماع الفقهاء، وكإلحاقه - في أواخر الفصل الرابع - لبعض الخرافات التي يذكرها بعض المفسرين، بتحريفات الرافضة في تفاسيرهم، وهو تشبيه لهذه بتلك من بعض الوجوه كما قال[1].

- وأما شواهد الفروق والاختلافات في هذه الرسالة فمنها: ما ذكره في الفصل الثاني من أمثلة عديدة لألفاظ يظن كثير من الناس أنها مترادفة لتقاربها في المعنىٰ، لكنها عند التحقيق ليست كذلك، وما ذكره قبل ذلك- في مطلع الفصل- من الفرق بين الأسماء المترادفة والمتكافئة والمتباينة، والفرق بين المشترك والمتواطئ، وكذلك الفرق بين روايات تحرج السلف عن التفسير مع ما نُقل عنهم من التفسير مع التوفيق بين الحالين في آخر الفصل الأخير[2].

(١) انظر: المقدمة بتحقيق زرزور: الفصل الثاني: ص٤٧، الفصل الثالث: ص٦٨، أواخر الفصل الرابع: ص٨٨

(٢) انظر: المصدر السابق: الفصل الثاني: ص٣٨، ٥١- ٥٣، الفصل الأخير: ص١٠٧، ١١٤

المطلب الخامس: كثرة إيراد الأمثلة

كثرة التمثيل في الكلام من أهم ما يكون في بيانه وإيضاح مقصوده، لأن القواعد المجرَّدة لا تكاد تقرب من الأفهام إلا بالأمثلة، وهذه الرسالة مليئة بالأمثلة في جميع فصولها، فمن شواهد ذلك في الفصل الثاني فقط: الأمثلة العديدة لكل صنف من الأصناف الأربعة لاختلاف التنوع، والأمثلة علىٰ الأسماء المتكافئة، وعلىٰ قول الصحابي (نزلت الآيات في كذا) ويكون المذكور شخصاً، والأمثلة علىٰ الألفاظ المتقاربة لا المترادفة، وعلىٰ التضمين، وأخيراً الأمثلة علىٰ ما يضطر عموم الناس إلىٰ معرفته من أمور الدين[1].

المطلب السادس: النقد والإنصاف

هذا الأمر من أظهر ملامح منهجه في عموم كتاباته، إذ هو لا ينقل الأقوال والآراء والاستدلالات وغيرها علىٰ عواهنها، بل يمحِّصها وينقد ما يحتاج منها إلىٰ نقد، مع إنصاف ظاهر وتجرُّد للحق لا ينكره إلا مكابر، وأكثر شواهد هذا الملمح في هذه الرسالة وأمثلته:

- ما جاء في الفصل الرابع[2]: من نقده للمعتزلة مع ثنائه عليهم في أشياء، وخصوصاً الزمخشري الذي وصفه بالفصاحة وحسن العبارة، لكنه يدسُّ البدع في كلامه، ثم نقده للمرجئة والكلابية وإنصافه لهم في كونهم ردُّوا بدعة المعتزلة وإحسانهم في ذلك تارة وإساءتهم أخرىٰ، وأخيراً نقده وإنصافه لتفسير ابن عطية في

(١) انظر: المصدر السابق: الفصل الثاني: ص٣٨- ٥٥

(٢) انظر: المقدمة بتحقيق زرزور: ص٧٩- ٩٣

موازنته مع تفسير الزمخشري، وكذلك تفسير أبي عبد الرحمن السلمي (حقائق التفسير) وأن فيه الصواب والخطأ، وأنه يفسر القرآن بمعانٍ صحيحة لكن القرآن لا يدل عليها.

- نقده المنصف في آخر الفصل الثالث لتفاسير كل من الثعلبي والواحدي والبغوي[1].

(١) انظر: المصدر السابق: ص٧٦

المطلب السابع: التفنن وكثرة النقول

كثيراً ما يوظِّف ابن تيمية جميع علومه ومعارفه- شرعية أو عقلية- في سبيل إيضاح فكرته وتدعيم رأيه، والاستشهاد على ذلك بالنقولات الكثيرة عن أهل العلم.

أما أمثلة التفنن وتعدد علومه ومعارفه فشواهده من هذه الرسالة قريبة الذكر في المبحث السابق (الثاني) = "تقسيم موضوعات المقدمة ومسائلها التفصيلية على العلوم" ؛ حيث ذكر مسائل من علم التفسير، وأصوله، ومناهج المفسرين واتجاهاتهم، وعلوم القرآن، والفقه وأصوله والمنطق، وعلوم الحديث، والمغازي والسير، وعلوم العربية.

وأما استشهاده بالنقول من المصادر فإنه لم يكن كثيراً جداً في (المقدمة) خصوصاً؛ لسببين:

١- اختصار المقدمة وقلة موضوعاتها ومسائلها نسبياً.

٢- وكذلك كتابته إياها من إملاء الفؤاد؛ كما نصَّ على هذا الأمر والذي قبله ابن تيمية في مقدمة (المقدمة).

ومع ذلك فقد بلغت المصادر التي صرَّح ابن تيمية في هذه الرسالة (المقدمة) بأسمائها أو أسماء مؤلفيها ستين مصدراً[(١)]، وقع ذكره لها على طريقتين:

الأولى: ما نقل عنه بالنص أو المعنى، وهي (٣١) مصدراً: ثمانية من كتب التفسير وعلومه، وستة من كتب الحديث، وستة عشر من أعلام المصنفين في أصول

(١) انظر أسماء تلك المصادر، ومواضع ذكر ابن تيمية لها في كتاب (مقدِّمة أصول التفسير لشيخ الإسلام ابن تيمية- تحليل وتعقيب): ص١٠٧- ١٢٠

الفقه في المذاهب الأربعة، وقد نقل عن تلك المصادر في (٤٤) موضعاً في (المقدمة) حيث كرَّر النقل عن بعضها عدة مرات.

الثانية: ما اكتفىٰ بوصفٍ عامٍ لمحتواه دون أن ينقل عنه، وهي (٢٩) مصدراً: ثلاثاً وعشرين كتاباً من كتب التفسير، وتسعة من مصنفات أهل المغازي والسير.

❊ ❊ ❊

المبحث الرابع
ملامح أسلوب ابن تيمية في المقدمة

المطلب الأول: الاستطراد التناسبي .

المراد بالاستطراد التناسبي- كما سمَّاه الشيخ بكر أبو زيد[1]؛ هو: أن يؤصِّل المسألة محل الحديث أولاً، ثم يستطرد لمناسبة تستدعي ذلك: استدلالاً، أو تنظيراً، أو رداً، أو تمثيلاً، ونحو ذلك، وسيأتي مناقشة هذا الملمح ومتىٰ يكون ميزة أو مأخذاً- عند ذكر المؤاخذات المذكورة علىٰ هذه الرسالة في المبحث الأخير- كما سيأتي هناك استقصاء جميع مواضع الاستطراد في المقدمة، وسأكتفي هنا بالتمثيل بأبرز موضعين:

- استطراده في الفصل الثالث[2] في كلامه عن المراسيل، ثم ما يقع من الغلط في رواية كبار الثقات وأن معرفة ذلك يسمىٰ (علم علل الحديث) وكلامه في أثناء ذلك عن قبول خبر الواحد، والإجماع، والصنفين اللذين أخطؤوا في باب التصحيح والتضعيف ممن لم يعرفوا طريقة أئمة الحديث.

- استطراده في الباب الرابع عند ذكر المعتزلة، بذكر أصولهم الخمسة في الاعتقاد، وبيان مرادهم ببعضها[3].

(١) انظر: المداخل إلىٰ آثار شيخ الإسلام ابن تيمية: ص٥٧

(٢) انظر: المقدمة بتحقيق زرزور: ص٦٢- ٧٥

(٣) انظر: المصدر السابق: ص٨٣- ٨٥

المطلب الثاني: التكرار والإعادة

ابن تيمية من المكثيرين من التكرار لبعض الموضوعات في مؤلفاته المتعددة- مع المغايرة في طرحها أحيانًا- [١] وكذلك في تكرارها في المؤلَّف الواحد، وهو المراد هنا، وسيأتي مناقشة هذا الملمح أيضًا في المبحث الأخير مع استقصاء جميع مواضعه في هذه الرسالة، وسأكتفي بالإشارة هنا للأمثلة التالية علىٰ نوعي التكرار: المطابق (اللفظي)، وغير المطابق (المعنوي):

- تكراره لمكانة مجاهد في التفسير في الفصلين الأول والأخير وكلام الثوري فيه بحروفه، ومثله تكرار حديث علي الموضوع في تصدقه بخاتمه في ختام الفصل الثالث وفي منتصف الرابع[٢].

- تكرار كلامه علىٰ الإسرائيليات مع شيء من الاختلاف في الفصلين الثالث والأخير، وكإشارته في الفصل الأخير إلىٰ أن الغالب علىٰ تفسير التابعين هو اختلاف التنوع وبعض أنواعه، مع أن تفصيله لذلك استغرق الفصل الثاني بأكمله[٣].

(١) وقد اعتبرها الشيخ بكر أبو زيد مزية، في المداخل إلىٰ آثار شيخ الإسلام ابن تيمية: ص٥٨ ؛ حيث قال: "ومنها: مزية التكرار؛ فله في المسألة الواحدة: الرسالة والرسالتان، وله الفتوىٰ فأكثر، وتجد في كل واحدة ما ليس في الأخرىٰ من زيادة العلم والبيان، وهذه حسب أحوال السائلين وتفاوت الأزمان، وغير ذلك من الأسباب".

(٢) انظر: المقدمة بتحقيق زرزور: تكراره لمكانة مجاهد: ص٣٧، ١٠٢- ١٠٣، وتكراره لأثر علي: ص٧٨، ٨٧

(٣) انظر: المصدر السابق: الإسرائيليات: ص٥٦- ٥٨، ٩٨- ١٠١، وكلامه علىٰ تفسير التابعين: الفصل الثاني: ٣٨- ٥٥، الفصل الأخير: ص١٠٤

المطلب الثالث: الاختصار أو البسط في مواضعها

هذا الملمح فيه نوع ارتباط بالملمح السابق، لأن تكرار الكلام بمعناه يقتضي اختصار الكلام في موضع وبسطه في موضع آخر مع وجود زيادة في أحد الموضعين ليست في الآخر.

لكن المقصود هو اختصار الكلام أو بسطه عموماً، بغض النظر عن كونه مكرراً أم لا، أي: عند تقريره للمسائل قد يطيل أحياناً ويبسط الكلام، وقد يختصر ويكتفي بالإشارة العابرة، وهذا بالنظر إلىٰ سائر مؤلفاته، وإن كان الغالب علىٰ هذه الرسالة الاختصار كما في رسائله الصغيرة الأخرىٰ، إلا أنه بسط الكلام في بعض القضايا التي طرحها في هذه الرسالة.

ومما يشهد لهذا الملمح فيها:

- تصريحه في ختم مقدمته بأنه كتبها مختصرة[1]، وقوله في ختم الفصل الثالث: "فالمقصود هنا التعريف بمجمل الأمر دون تفاصيله"[2]، وقوله في أثناء الفصل الرابع: "حتىٰ صاروا في طرفي نقيض، كما قد بُسِط في غير هذا الموضع"[3]، وقوله في أثناء الفصل الخامس: "وقد استدلَّ الإمام الشافعي وغيره من الأئمة علىٰ ذلك بأدلَّة كثيرة، ليس هذا موضع ذلك"[4].

- أما ما بسط الكلام فيه فمنه: أنواع اختلاف التنوع في التفسير عند السلف في

(١) انظر: المصدر السابق: ص٣٥

(٢) المصدر السابق: ص٥٥.

(٣) المصدر السابق: ص٨٥.

(٤) المصدر السابق: ص٩٤.

الفصل الثاني[١]، وكذلك في قول الصحابي (نزلت الآية في كذا)[٢]، وكذلك في حديثه عن المراسيل إذا تعددت طرقها[٣]، وأخيراً سياقه في ختم الرسالة لثمانية عشر أثراً متوالية بأسانيدها عن السلف في تحرُّجهم عن القول في التفسير بغير علم[٤].

(١) انظر: المقدمة بتحقيق زرزور: ص٣٨- ٥٥

(٢) انظر: المصدر السابق: ص٤٨- ٤٩

(٣) انظر: المصدر السابق: ص٦٢- ٦٥

(٤) انظر: المصدر السابق: ص١٠٨- ١١٤

المطلب الرابع: سلامة اللغة وسلاسة الأسلوب

لغة ابن تيمية الكتابية وصياغته الأسلوبية تسير على السجيَّة، دون تكلُّف أو إغراب أو ركاكة، مع جزالة وعذوبة وسلاسة، حيث يمكن وصف أسلوبه بأنه من السهل الممتنع، لكنها- أيضاً- لغة علمية دقيقة؛ حيث يستعمل عند كلامه في علم من العلوم لغة أهله ومصطلحاتهم، وهو كثير العناية بالمصطلحات وتحرير الألفاظ الموهمة والمشتبهة، وتفريقه بين اللغات الثلاث: الأصل اللغوي، ولسان الشرع، واصطلاحات العلوم والمؤلفين وأصحاب الفرق، ويمكن التمثيل ببعض الشواهد اليسيرة من هذه الرسالة على هذا الملمح فيما يلي:

- ندرة الألفاظ الغريبة التي أحوجت المحققين لشرحها- في غير النصوص أو المصطلحات العلمية أو العبارات المنقولة- ولم أقف على شيء من ذلك سوى في موضع واحد في استهلال مقدمته، في قوله: "والعلم إما نقل مُصدَّق عن معصوم، وإما قول عليه دليل معلوم، وما سوى ذلك فإما مزيَّفٌ مردود، وإما موقوف لا يُعلَم أنه بهرج أو منقود"[1].

- أما استعمال المصطلحات العلمية لكلِّ علم بحسبه فيمكن النظر في المبحث السابق (الثاني) الذي حوى ذكراً لمسائل كل علم من العلوم الشرعية والعربية الواردة في هذه الرسالة.

- من شواهد عناية ابن تيمية في هذه الرسالة ببيان المصطلحات وتحرير المراد بها: شرحه في مطلع الفصل الثاني لمصطلح الأسماء المتكافئة وبيان المراد به وأمثلته[2]، وكذلك بيانه في أثناء الفصل الرابع للمراد من (التوحيد والعدل وإنفاذ الوعيد) وهي من أصول المعتزلة الخمسة في الاعتقاد[3].

(١) المصدر السابق: ص٣٣، وقد شرح المحقق في الحاشية معنى البهرج والمنقود، بأن البهرج هو الرديء، والمنقود هو الجيِّد من الدراهم.

(٢) انظر: المصدر السابق: ص٣٨

(٣) انظر: المقدمة بتحقيق زرزور: ص٨٣- ٨٥

المطلب الخامس: تقسيم الكلام وترتيبه

من سمات التأليف عند ابن تيمية: حسن التقسيم وجودة التصنيف والتريتيب في عرض المعلومات، وذلك في عموم الكتاب أو الرسالة التي يكتبها، ولا يشغب علىٰ ذلك بتكرار بعض المعلومات، أو تفريق الكلام علىٰ بعض الموضوعات في أكثر من موضع، أو الاستطرادات القليلة؛ لأنها لا تعدوا أن تكون أمثلة يسيرة لا يعارض بها السمة الغالبة، كما أن لكل منها ما يبرِّر حصوله- وصفًا أو أمثلة- كما سيأتي مزيد بسط لذلك عند الحديث علىٰ كل من الاستطراد والتكرار عند مناقشة المؤاخذات في المبحث الأخير.

ومن شواهد حسن التقسيم والترتيب في هذه الرسالة:

- علىٰ صغر حجم هذه الرسالة (المقدمة) إلا أن ابن تيمية قسَّمها ستة فصول بعد المقدمة، وهذه الفصول عند نهاية الكلام علىٰ موضوع، ثم استئناف موضوع جديد، وسيأتي عند الكلام علىٰ المآخذ- في المبحث الأخير- ذكر ملحوظة أحد الباحثين في ذلك والجواب عنها.

- التسلسل المنطقي والمتناسب بين الموضوعات، وذلك في عموم الرسالة، وداخل معلومات الفصل الواحد، حتىٰ إن الفصول آخذ بعضها برقاب بعض، كما هو حاصل في الاتصال بين الفصلين الثالث والرابع، وبين الخامس والسادس.

- ذكر العدد الإجمالي للأقسام قبل الخوض في تعدادها وذكر تفاصيلها، ثم التصريح بالأقسام أو الأصناف وترتيبها؛ حيث يقول: أحدها، الصنف الثاني... إلخ، وقد مرَّ ذكر أمثلة علىٰ بعض التقسيمات في هذه الرسالة- وهي كثيرة- في المطلب الرابع من المبحث السابق (الثالث).

المطلب السادس: عدم الاستعداد أو المراجعة للكتابة

المقصود بذلك: عدم التهيؤ والاستعداد بمراجعة المصادر قبل الكتابة والتأليف، بل الكتابة من الذهن مباشرة، ثم الدفع بها لمن طلبها دون مراجعة أو تحرير، وهذا حاصل في عدد من مؤلفاته خصوصاً الرسائل الصغيرة منها- كما في هذه الرسالة- وشواهد هذا الملمح منها كما يلي:

- تصريحه في ختم مقدمة الرسالة بأنه كتبها بحسب تيسير الله تعالىٰ من إملاء الفؤاد، وسبب ذلك ما ذكره في مطلع المقدمة من سبب تأليفه لها، وهو أنه كتبها جواباً لسؤال بعض إخوانه أن يكتب له في هذا الموضوع، وقد سبق بيان ذلك في المبحث الأول.

- ما حصل في هذه الرسالة من أخطاء أو أوهام يسيرة، سيأتي ذكرها عند الكلام علىٰ المآخذ- في المطلب الثالث من المبحث الأخير- وهذا أحد أسبابها وليس الوحيد.

- ربما يكون ذلك- أيضاً- من أسباب ما وقع في هذه الرسالة من التكرار أو تفريق الكلام عن الموضوع الواحد- الذي سبق ذكره في المطلب الثاني من هذا المبحث.

* * *

المبحث الخامس
المؤاخذات على المقدمة

ذكر بعض الباحثين عدداً من المؤاخذات اليسيرة[١] التي لا يسلم من مثلها عمل بشري في العادة، لكن الإنصاف العلمي يقتضي ذكرها ومناقشتها وبيان حالها- بعد استقصاء جميع أمثلتها- وذلك في المطالب التالية:

المطلب الأول: الوقوع في الاستطراد

بلغت أمثلته في (المقدمة) بعد التتبع والاستقصاء ثمانية أمثلة، هي[٢]:

١- في الفصل الثاني، أثناء كلامه عن النوع الأول من أنواع اختلاف التنوع- وهو أن يعبر كل واحد عن الشيء بعبارة غير عبارة صاحبه تدل علىٰ شيء في المسمَّىٰ غير المعنىٰ الآخر، مع اتحاد المسمَّىٰ- استطرد في مسألة أسماء الله الحسنىٰ وكونها أعلاماً وأوصافاً وذكر من أخطأ في هذا ممن يدَّعي الظاهر، وأن قوله من جنس قول غلاة الباطنية القرامطة[٣].

٢- في الفصل الثاني أيضاً، أثناء كلامه علىٰ أسباب النزول وصيغها، استطرد إلىٰ ذكر خلاف المحدِّثين في قول الصحابي: "نزلت الآية في كذا" هل هو من

(١) انظر في ذكر المؤاخذات: مقدمة أصول التفسير لشيخ الإسلام ابن تيمية- تحليل وتعقيب: ص١٠٦، ١٥٧، تعريف بمقدمة التفسير للدكتور عبد الرحمن الشهري: مقالة علمية في موقع (ملتقىٰ أهل الحديث) علىٰ الشبكة، مدخل إلىٰ مقدمة ابن تيمية في التفسير، لأبي عبد الله الإسحاقي: مقالة علمية في موقع (الألوكة) علىٰ الشبكة.

(٢) المواضع التي ذكرها الباحثون للاستطراد في المقدمة- مما وقفت عليه- ثلاثة مواضع فقط، هي: الأول، والخامس، والسادس، وأما البقية فقد استخرجتها من تتبعي للمقدمة، إلا أن صاحب كتاب: مقدمة أصول التفسير لشيخ الإسلام ابن تيمية- تحليل وتعقيب: ص١٠٦، جعل الموضع السادس ليس من قبيل الاستطراد، وإنما من (الخروج عن الغرض الأصلي والموضوع الأساسي للمقدمة، إلىٰ مواضيع بعيدة الصلة) !! وهل هذا إلا الاستطراد بعينه ؟!

(٣) انظر: المقدمة بتحقيق زرزور: ص٣٨- ٣٩.

المسند (المرفوع) أم لا ؟[1].

٣- في آخر الفصل الثاني أيضاً، عند حديثه عن خلاف السلف في التفسير، وأنه لابدَّ من وجود خلاف محقق بينهم في التفسير، كما يوجد ذلك في الأحكام، ثم استطرد في ذكر عدد من مسائل الأحكام التي وقع الخلاف فيها بين السلف، وأن هذا الخلاف لا يوجب ريباً في جمهور المسائل التي يحتاج الناس إليها[2].

٤- في الفصل الثالث، عند بيانه للمراد بكلمة الإمام أحمد: "ثلاثة أمور ليس لها إسناد" استطرد في بيان أن المراسيل هي الغالب علىٰ المغازي، وذكر عدداً من رواة المغازي المشهورين، ثم ذكر أعلم الناس بالمغازي[3].

٥- في الفصل الثالث، أثناء كلامه عن الخلاف الواقع في التفسير من جهة النقل، استطرد في ذكر المراسيل، والقطع بصحة جمهور أحاديث الصحيحين، وإيجاب خبر الواحد للعلم إذا تلقته الأمة بالقبول عند جمهور الأصوليين من جميع الطوائف، ومسألة قبول أحاديث الضعفاء والمجاهيل إذا وردت من طرق بشروطها، وردِّ أحاديث الثقات التي وهموا أو أخطؤا فيها فيما يسمىٰ بعلم (علل الحديث) وأن الناس في هذا الباب طرفان ووسط[4]، وهذا الموضع أطول المواضع استطراداً في هذه الرسالة (المقدمة) كلها.

٦- في الفصل الرابع، المتعلق بذكر الخلاف الواقع في التفسير من جهة الاستدلال، استطرد بذكر أصول المعتزلة الخمسة، وبيَّن المراد بثلاثة منها، وهي: التوحيد: الذي يعني نفي الصفات، والعدل: الذي يعني نفي القدر، وإنفاذ الوعيد: الذي يعني خلود أهل الكبائر في النار[5].

(١) انظر: المرجع السابق: ص٤٨.
(٢) انظر: المقدمة بتحقيق زرزور: ص٥٤- ٥٥.
(٣) انظر: المصدر السابق: ص٥٩- ٦٠.
(٤) انظر: المصدر السابق: ص٦٢- ٧٤.
(٥) انظر: المصدر السابق: ص٨٣- ٨٥.

٧- في آخر الفصل الخامس، في ختام كلامه علىٰ الإسرائيليات، ذكر حكم القسم الثالث منها، واستدل لذلك بآية سورة الكهف: ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾ [الكهف: ٢٢] الآية، ثم استطرد فيما تفيده الآية من الأدب في مقام حكاية الخلاف، وأحسن ما يكون في ذلك[١].

٨- في أول كلامه علىٰ تفسير القرآن بالرأي- في الفصل الأخير- عندما ذكر أن مَن قال في القرآن برأيه فقد أخطأ الطريق ولو أصاب المعنىٰ في نفس الأمر، استطرد إلىٰ تنظير ذلك بمن حكم بين الناس علىٰ جهل، و بتسمية القذفة كاذبين إذا لم يأتوا بالشهداء[٢].

هذا من حيث الموضوعات والمواضع الكبيرة الظاهرة، أما المسائل الصغيرة فقد سبق محاولة حصر مسائل العلوم الأخرىٰ مما ذكره ابن تيمية في هذه الرسالة (المقدمة) في المطلبين الأخيرين (الرابع والخامس) من المبحث الثاني.

مناقشة المأخذ: لا خلاف في أن (الاستطراد) من السمات الظاهرة في منهج ابن تيمية التأليفي في سائر مؤلفاته، وهذه الرسالة (المقدمة) منها أيضاً- كما سبق تقرير ذلك عند ذكر الملامح الأسلوبية لمنهج ابن تيمية التأليفي في المطلب الأول من المبحث الرابع- لكني أزيد هاهنا أمرين هما: هل الاستطراد ميزة أو عيب في التأليف؟ وهل هو نوع واحد أو أنواع ؟ فتحرير هذين الأمرين أصل في مناقشة هذا المأخذ.

أما الحكم بكونه ميزة أو عيباً، فهو مبني علىٰ نوع ذلك الاستطراد، فإن كان مما يسمىٰ بالاستطراد التناسبي- أي: لأجل مناسبة متصلة بالموضوع الأصل؛ كالتمثيل، والتنظير، والاستدلال، والتعقب، ونحو ذلك- فهو حسنة وميزة في التأليف مادام بقدر الحاجة ولم يطل ويغلب علىٰ الموضوع الأصل، وهذا النوع هو

(١) انظر: المصدر السابق: ص١٠١- ١٠٢.

(٢) انظر: المصدر السابق: ص١٠٨.

الأغلب عند ابن تيمية لكنه قد يطول أحيانـًا، وأما إن كان استطراداً بعد استطراد، وهو ما يمكن تسميته بالاستطراد المحض[1]، فقد يكون حينئذٍ عيبـًا في التأليف علىٰ رأي بعض المعاصرين، وإن لم يكن كذلك عند الأوائل، بل قَصَدَه بعضهم وعدَّه من حسنات التأليف[2].

وقد ذكر بعض الباحثين أسباب كثرة الاستطراد عند ابن تيمية، ولولا خشية الوقوع في الاستطراد هنا لذكرتها[3]، لكن كون الاستطرادات الواقعة في هذه الرسالة (المقدمة) قليلة بالنسبة لحجمها، ولأن جميعها من النوع الأول، سوىٰ الموضع الخامس فهو الموضع الوحيد الذي وقع فيه الاستطراد المحض، وهو الوحيد أيضـًا الذي وقع فيه طول في الاستطراد كما تقدم، ولذلك تكفي هذه الإلماحة في مناقشة هذا المأخذ.

(١) سماه بعض الباحثين (الاستطراد المركَّب) انظر كتاب: علي الطنطاوي كان يوم كنت لأحمد آل مريع: ص٣٣٣، وقد فصَّل الباحث أقسام الاستطراد في تقسيمات حسنة، انظر: ص٣٢٥ وما بعدها.

(٢) إنما يُعدّ الاستطراد عيبـًا إذا وقع في الكتابات العلمية التي ينبغي فيها التركيز علىٰ الموضوع الأصل، وعدم الخروج عنه إلىٰ غيره خروجـًا كثيراً أو بعيداً يخرج عن المقصود، أما الكتابات الأدبية فالأمر فيها مختلف، كما هو مشهور عن الجاحظ الذي كان يكثر من الاستطراد المقصود في كتبه ويعتبر ذلك من ميزات التأليف، انظر: المرجع السابق: ص٣١٦.

(٣) انظر: المداخل إلىٰ آثار شيخ الإسلام ابن تيمية: ص٥٧- ٥٨، وابن قيم الجوزية- حياته آثاره موارده: ص١٠٣ كلاهما لبكر أبو زيد، والاستطراد عند ابن تيمية لعبد القادر حامد (مجلة البيان- العدد: ٢٥٩): ص٨.

المطلب الثاني: كثرة التكرار

التكرار، وقريب منه: فصل الكلام علىٰ الموضوع الواحد في موضعين من الرسالة (المقدمة) وجدت لهما في (المقدمة) تسعةً وعشرين مثالاً، بيانها تفصيلاً علىٰ النحو التالي:

١- تكرار ابن تيمية لقوله في مقدمة (المقدمة): "والعلم إما نقل مصدَّق عن معصوم، وإما قول عليه دليل معلوم"، حيث كرَّرها أيضًا في صدر الفصل الثالث في قوله: "إذ العلم إما نقل مصدَّق، وإما استدلال محقَّق، والمنقول إما عن معصوم، وإما عن غير معصوم"[(١)].

٢- تكراره لحديث علي عند الترمذي وغيره في وصف القرآن: "هو حبل الله المتين، والذكر الحكيم، والصراط المستقيم..." لكنه في الموضع الأول: في مقدمة (المقدمة) ساقه كاملاً دون الإشارة إلىٰ أنه من حديث النبي ﷺ، أما في الموضع الثاني- في الفصل الثاني- فقد صرَّح بذلك، وذكر أنه من رواية علي عند الترمذي وأبي نعيم من طرق، لكنه اكتفىٰ بصدر الحديث[(٢)].

٣- كرَّر ابن تيمية في موضعين- في صدري الفصلين الأول والخامس- الاستدلال بقوله تعالىٰ: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤] علىٰ بيان النبي ﷺ للقرآن، مع الاكتفاء ببعض الآية – وهو ما ذُكر- في الموضع الأول، ثم ذكرها كاملة مع آيات أخرىٰ في الموضع الثاني[(٣)].

٤- كرَّر ابن تيمية أثرين في موضعين في كيفية تلقي الصحابة للقرآن: " أنهم إذا تعلموا عشر آيات لم يجاوزوهن حتىٰ يعرفوا معانيهن والعمل بهن"، وذلك في صدر

(١) انظر النقلين علىٰ الترتيب في: المقدمة بتحقيق زرزور: ص٣٣، ٥٥ .
(٢) انظر الموضعين في المصدر السابق: ص٣٤، ٤٢ .
(٣) انظر الموضعين في المصدر السابق: ص٣٥، ٩٣ .

الفصل الأول، وفي أثناء الفصل الخامس[١].

٥- تقرير ابن تيمية قلة النزاع المحقق بين السلف في التفسير: ذكره في ثلاثة مواضع: الأولان متقاربان- في آخر الفصل الأول وصدر الثاني- والموضع الثالث في الفصل الأخير[٢].

٦- تكرَّرت موازنة ابن تيمية خلاف السلف في التفسير بخلافهم في الأحكام، في موضعين: في مطلع الفصل الثاني، وأواخر الفصل الثالث[٣].

٧- قرَّر ابن تيمية قاعدة في خلاف السلف في التفسير، وهي: " أن غالب ما يصح عنهم من الخلاف يرجع إلىٰ اختلاف تنوع لا تضاد، وأن ذلك ليس خلافاً محققاً، وإن ظنه بعض الناس كذلك"، وقد كرَّر هذه القاعدة في تسعة مواضع- بعضها أثناء الأمثلة- وكلها في الفصل الثاني سوىٰ اثنين: أولهما في الفصل الأول، وآخرهما في صدر الفصل الأخير[٤].

٨- تقرير ابن تيمية لمكانة مجاهد بن جبر في التفسير، كرَّره في موضعين: في الفصل الأول، والأخير، لكن في كلِّ موضع زيادة ليست في الآخر، وأما ما كرَّره بنصه فأمران: الأول: أثر مجاهد في قوله عن نفسه: "عرضت المصحف علىٰ ابن عباس [ثلاث عرضات، من فاتحته إلىٰ خاتمته][٥] أوقفه عند كلِّ آية منه وأسأله عنها"، والثاني: قول سفيان الثوري: "إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به"[٦].

٩- كلام ابن تيمية علىٰ تفسير التابعين تفرَّق في ثلاثة مواضع من (المقدمة) مع

(١) انظر الموضعين في المصدر السابق: ص٣٥- ٣٦، ٩٦ .

(٢) انظر هذه المواضع الثلاثة علىٰ الترتيب في المصدر السابق: ص٣٧، ٣٨، ١٠٤ .

(٣) انظر الموضعين في المقدمة بتحقيق زرزور: ص٣٨، ٥٤ .

(٤) انظر المصدر السابق: ص٣٧، ٣٨، ٤١، ٤٢، ٤٩، ٥١، ٥٣، ٥٤، ١٠٤ .

(٥) ما بين المعكوفين زاده ابن تيمية عند سياقه للأثر في الموضع الثاني، مع زيادته- في الموضع الثاني أيضاً- سياق سند الأثر، وكذلك تسمية الثوري بسفيان في الموضع الثاني دون الأول.

(٦) انظر النقلين علىٰ الترتيب في المقدمة بتحقيق زرزور: ص٣٧، ١٠٢- ١٠٣ .

اتفاق يسير وتفاوت كثير بين كلامه في تلك المواضع، وهي: آخر الفصل الأول، وأثناء الفصل الثالث، وصدر الفصل الأخير[١].

١٠- فصَّل ابن تيمية- في كامل الفصل الثاني- الأنواع الأربعة لاختلاف التنوع عند السلف، ثم أشار مرة أخرىٰ إشارة مجملة- في صدر الفصل الأخير- إلىٰ نوعين أو ثلاثة أنواع أخرىٰ[٢].

١١- تقريره: " أن عامة المنقولات التي لا يمكن تمييز الصحيح منها من الضعيف، هي مما لا فائدة فيه تعود علىٰ المكلفين في دينهم ولا دنياهم" وقد كرَّر هذا التقرير مرتين متقاربتين في صدر الفصل الثالث، ثم مرتين أخريين متقاربتين في آخر الفصل الخامس[٣].

١٢- قوله في صدر الفصل الثالث: "وأما ما يحتاج المسلمون إلىٰ معرفته فإن الله تعالىٰ نصب علىٰ الحق فيه دليلاً" ثم كرره بعبارة قريبة منه جداً بعد الموضع الأول بقليل، وذلك في قوله: "فالمقصود أن المنقولات التي يحتاج إليها في الدين قد نصب الله الأدلة علىٰ بيان ما فيها من صحيح أو غيره"[٤].

١٣- كلام ابن تيمية عن الإسرائيليات تفرَّق في (المقدمة) في موضعين: الأول: في صدر الفصل الثالث، والثاني: استغرق النصف الأخير من الفصل الخامس، وليس في الموضعين كلام مكرر في الأعم الأغلب[٥]، ومن القليل الذي كرَّره من ذلك ماذكر في الموضع السابق (رقم ٩).

١٤- ومما كرَّره أيضاً- في موضعي الإسرائيليات-: مثالان من الأمثلة علىٰ

(١) انظر المواضع الثلاثة علىٰ الترتيب في المصدر السابق: ص٣٧- ٣٨، ٦١، ١٠٢- ١٠٥ .

(٢) انظر المواضع الخمسة علىٰ الترتيب في المصدر السابق: ص٣٨، ٤٣، ٤٩، ٥١، ١٠٤ .

(٣) انظر المواضع الأربعة علىٰ الترتيب في المقدمة بتحقيق زرزور: ص٥٦، ٥٨، ١٠٠ (٢) .

(٤) انظر النقلين علىٰ الترتيب في المصدر السابق: ص٥٦، ٥٨ .

(٥) انظر الموضعين علىٰ الترتيب في المصدر السابق: ص٥٦- ٥٨، ٩٨- ١٠١، وانظر: شرح مقدمة في أصول التفسير للدكتور مساعد الطيار: ص١٥١ .

القسم الثالث من أقسام الإسرائيليات- وهو: ما لايعلم صدقه ولا كذبه- وهذان المثالان هما: لون كلب أصحاب الكهف، والبعض الذي ضُرب به القتيل من البقرة، لكن في الموضع الأول زيادة مثالين آخرين، وفي الموضع الثاني زيادة خمسة أمثلة أخرىٰ[1].

١٥- قوله- في أثناء كلامه علىٰ الإسرائيليات في صدر الفصل الثالث-: "فمتىٰ اختلف التابعون لم يكن بعض أقوالهم حجة علىٰ بعض" كرر القول بذاته تقريباً في تعليقه علىٰ قول شعبة بن الحجاج- في صدر الفصل الأخير- في أن أقوال التابعين في الفروع ليست حجة فكيف تكون حجة في التفسير؟ قال ابن تيمية: "فإن اختلفوا فلا يكون قول بعضهم حجة علىٰ بعض، ولا علىٰ مَن بعدهم"[2].

١٦- تعداد ابن تيمية لعدد من علماء التابعين في التفسير في موضعين: الأول في الفصل الثالث: عند ذكره لأعلم الناس بالتفسير، ذكر فيه تسعة من التابعين وأتباعهم، والثاني في صدر الفصل الأخير: ذكر فيه أحد عشر من التابعين وأتباعهم، كرر في الموضعين كبار تلاميذ ابن عباس، وهم أربعة: مجاهد، وعكرمة، وسعيد بن جبير، وعطاء بن أبي رباح[3].

١٧- قرَّر ابن تيمية أصلاً نافعاً في الجزم بكثير من المنقولات- كالمراسيل- وهو: "أن تلك المنقولات إذا جاءت من جهتين أو جهات مع خلوها من المواطأة قصداً أو الاتفاق بغير قصد، فإنها تفيد العلم قطعاً بما اتفقت عليه" وقد كرَّره أربع مرات في صفحتين من الفصل الثالث، ثم مرة خامسة بعد ذلك بصفحتين، ومرَّة سادسة بعد ثلاث صفحات[4].

(١) انظر الموضعين علىٰ الترتيب في: المقدمة بتحقيق زرزور: ص٥٦، ١٠٠ .

(٢) انظر النقلين علىٰ الترتيب في المصدر السابق: ص٥٨، ١٠٥، وانظر: شرح مقدمة في أصول التفسير للدكتور مساعد الطيار: ص١٣٠ .

(٣) انظر الموضعين في المقدمة بتحقيق زرزور: ص٦١، ١٠٢- ١٠٤ .

(٤) انظر المواضع الستة علىٰ الترتيب في المصدر السابق: ص٦٢، ٦٣، ٦٥، ٦٨- ٦٩ .

١٨- تفرَّق كلام ابن تيمية علىٰ تفسير الزمخشري (الكشاف) في أربعة مواضع: واحد منها فقط في أواخر الفصل الثالث- ضمن تفسيرين آخرين- والثلاثة الباقية كلها في الفصل الرابع[١].

١٩- كرَّر ابن تيمية في موضعين من الفصلين الثالث والرابع الإشارة إلىٰ حديث عليٍّ في تصدقه بخاتمه في الصلاة، وأنه موضوع باتفاق أهل العلم[٢].

٢٠- كرَّر ابن تيمية في ستة مواضع من الفصل الرابع تقرير أصل هام في موضوع ذلك الفصل، وهو: "أن الذين اعتقدوا معاني باطلة ثم حملوا ألفاظ القرآن عليها ليس لهم سلف من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، بل هم مخالفون لهم بصنيعهم هذا"[٣].

٢١- كرَّر ابن تيمية في موضع واحد أثرين متواليين متفقين في المتن عن ابن مسعود في قوله عن ابن عباس: "نعم ترجمان القرآن ابن عباس" بطريقين متواليين مختلفين في أدنىٰ السند- وهو اختلاف مَن دون سفيان عن الأعمش- ثم ذكر طريقًا ثالثًا للأثر نفسه عن طريق ابن عون عن الأعمش، لكن دون إعادة متن الأثر[٤].

٢٢- كرَّر ابن تيمية حكمه علىٰ القسم الثالث من أقسام الإسرائيليات- وهو ما لا يعلم صدقه ولا كذبه- بجواز حكايته ونقل الخلاف فيه، في أربعة مواضع متقاربة في أواخر الفصل الخامس[٥].

٢٣- فيه نوع تكرار بين أحسن طرق التفسير الأربعة، التي فصَّلها ابن تيمية في الفصلين الأخيرين (الخامس والسادس) وهي: تفسير القرآن بالقرآن، ثم بالسنة، ثم بأقوال الصحابة، ثم بأقوال التابعين، مع ما ذكره في أوائل الفصل الأخير فيما يُرجع

(١) انظر المواضع الأربعة علىٰ الترتيب في المصدر السابق: ص٧٦، ٨٢، ٨٦، ٩٠ .

(٢) انظر الموضعين علىٰ الترتيب في المصدر السابق: ص٧٨، ٨٧ .

(٣) انظر المواضع الستة علىٰ الترتيب في المصدر السابق: ص٧٩، ٨٢، ٨٥، ٩١ (٢)، ٩٢ .

(٤) انظر: المصدر السابق: ص٩٦- ٩٧ .

(٥) انظر في المواضع الأربعة علىٰ الترتيب في المقدمة بتحقيق زرزور: ص٩٨ (٢)، ١٠٠ (٢) .

إليه عند اختلاف أقوال التابعين، وهي: لغة القرآن، أو السنة، أو عموم لغة العرب، أو أقوال الصحابة[1].

٢٤- في أول النصف الثاني من الفصل الأخير: كرَّر ابن تيمية حديثين متواليين بمتن واحد، وسندين لا يختلفان إلا في شيخي الطبري- الذي لم يسمِّه ابن تيمية- وهو حديث: "مَن قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار"[2].

٢٥- قرَّر ابن تيمية قبل سرده لآثار السلف في تحرجهم عن التفسير في أول النصف الثاني من الفصل الأخير: أن تحرُّجهم إنما كان فيما لا علم لهم به من التفسير دون ما كانوا يعلمونه، ثم كرَّر تقرير المعنىٰ ذاته بعد إنهائه سياق تلك الآثار[3].

٢٦- في النصف الثاني من الفصل الأخير- عند بداية سرده للآثار الواردة عن السلف في تحرُّجهم عن تفسير ما لا علم لهم به- كرَّر أثرين بإسنادين مختلفين لكن بمتن واحد عن أبي بكر الصديق، لكنه زاد الحكم علىٰ إسناد الأثر الثاني بالانقطاع[4].

٢٧- بعد الأثرين السابقين مباشرة: كرَّر أثرين آخرين عن عمر بن الخطاب بإسنادين مختلفين ومتن واحد تقريباً[5].

٢٨- في سياق تلك الآثار- أيضاً- أورد ابن تيمية أربعة آثار متقاربة المعنىٰ عن سعيد بن المسيِّب في تحرُّجه عن الكلام في التفسير[6].

(١) انظر في المواضع الخمسة علىٰ الترتيب المصدر السابق: ص٩٣ (٢)، ٩٥، ١٠٢، ١٠٥ .

(٢) انظر: المصدر السابق: ص١٠٥ .

(٣) انظر: المصدر السابق: ص١٠٧- ١٠٨، ١١٤ .

(٤) انظر: المصدر السابق: ص١٠٨، ولا يخفىٰ أن صنيع ابن تيمية هذا وفي المواضع الثلاثة التالية، لا يعدّ تكراراً في عرف المحدِّثين ما دام في السند اختلافاً، ويدخل هذا عندهم فيما يسمىٰ بالمتابعات والشواهد، وهم يصنعون ذلك لتقوية الحديث أو الأثر وتصحيحه.

(٥) انظر: المقدمة بتحقيق زرزور: ص١٠٩ .

(٦) انظر: المقدمة بتحقيق زرزور: ص١١١- ١١٢ .

٢٩- وفي آخر تلك الآثار: أورد ابن تيمية أثرين عن الشعبي بسندين مختلفين ومتن متقارب خصوصاً في آخره[١].

مناقشة المأخذ: عند النظر في الأمثلة السابقة يمكن تصنيف التكرار فيها إلىٰ نوعين:

الأول: تكرار وقع في السياق نفسه؛ لتأكيد الأمر ومزيد تقريره، ويدخل في ذلك: تعداد الطرق لحديث أو أثر واحد[٢]، وهذا النوع هو الغالب علىٰ الأمثلة، وهو نوع لا إشكال فيه.

الثاني: تكرار في سياقين- ويدخل فيه: تفريق الكلام علىٰ الموضوع الواحد- وهذا نوعان:

١- إما أن يكون تكراراً بنصِّه أو قريباً من نصه، وهذا قليل جداً.

٢- وإما أن يكون بمعناه، أي: للموضوع أو المسألة الواحدة، وسبب هذا في الغالب اختلاف السياق الذي سيق لأجله؛ فيورَد في كلِّ موضع من جهةٍ تخالف جهة إيراده في الموضع الآخر، ولا يعتبر حينئذٍ من التكرار المعيب، وإذا لم يكن كذلك- وهو قليل جداً- فقد يكون بسبب الوهم وسبق الذهن، وهو المأخذ التالي

(١) انظر: المصدر السابق: ص١١٣ .

(٢) انظر: التعليق السابق في الحاشية علىٰ الموضع رقم (٢٦) من مواضع التكرار، وأن المحدِّثين يصنعونه قصداً لفائدة.

المطلب الثالث: الوهم وسبق الذهن

ذكر بعض الباحثين[1] أن من أهم أسباب وقوع ابن تيمية فيما وقع فيه من ذلك: كونه كتب هذه المقدمة من إملاء الفؤاد- كما نص عليه في مقدمتها[2] - وكذلك كونه كتبها جواباً لطلب بعض الإخوان[3]؛ أي أنه دفعها إليه مباشرة دون مراجعة أوتحرير، علىٰ عادته في معظم رسائله الصغيرة وفتاويه، كما سبقت الإشارة لذلك في المطلب السادس من المبحث الرابع.

وهذا مسرد بما وقفت عليه من الأوهام في هذه الرسالة (المقدمة):

١- وهمه- أثناء حديثه عن أسباب النزول في الفصل الثاني- في قوله: إن آية الظهار نزلت في امرأة ثابت بن قيس بن شمَّاس، مع أن الصواب هو: نزولها في امرأة أوس بن الصامت[4].

٢- في ذكره لأمثلة المتواطئ- في الفصل الثاني-: أورد الآيات الأولىٰ من سورة الفجر غير مرتبة؛ حيث قدَّم الآية الثانية علىٰ الثالثة، هكذا: "والفجر، والشفع والوتر، وليالٍ عشر"[5].

---

(١) انظر مثلاً: شرح المقدمة للدكتور مساعد الطيار: ص١٩، واستشهد علىٰ ذلك بكلام لابن دريد في جمهرته، وكان للدكتور مساعد عناية في بيان هذه الأوهام في تعليقه علىٰ متن المقدمة المضمَّن مع شرحه.

(٢) انظر: المقدمة بتحقيق زرزور: ص٣٥.

(٣) انظر: المصدر السابق: ص٣٣.

(٤) انظر: المقدمة بتحقيق زرزور: ص٤٤، لكنها في مجموع الفتاوىٰ لابن قاسم: ١٣/ ٣٣٨ جاءت علىٰ الصواب، فهل اعتمد ابن قاسم في ذلك علىٰ نسخة خطية، أم عدَّلها بنفسه؟ كما ذكره الدكتور مساعد الطيار في شرحه: ص٦٥، لكن الكردي في تحقيقه: التنقيح والتحرير: ص٣١ ذكر أنها في الأصل المخطوط (نسخة دار الكتب المصرية) جاءت علىٰ الصواب، لكنه قد شُطب عليه وأثبت الخطأ في الحاشية !!

(٥) انظر: المرجع السابق: ص٦٨، وقد جاءت علىٰ الصواب- كالتي قبلها- في مجموع الفتاوىٰ: ١٣/ ٣٤١ !!

٣- جاء في أواخر الفصل الثاني قوله: "ومع هذا فلا بدَّ من اختلاف (مخفف) بينهم "، هكذا جاءت في نسخة الدكتور زرزور[١]، وعلق عليها في الحاشية بقوله: "لعلها: محقق، وإن كان هذا الاختلاف طفيفاً كما أوضح شيخ الإسلام"، لكنها جاءت (محقق) في مجموع الفتاوىٰ لابن قاسم[٢]، أما في النسخة الخطية في دار الكتب المصرية فقد جمع بين اللفظتين (مخفف محقق) كما قرأها الكردي في تحقيقه[٣]، وهي قراءة محتملة وليست ظاهرة، خصوصاً أن في الجمع بينهما شيء من الركاكة، وربما أن الناسخ أخطأ فأعادها باختلاف يسير في الرسم، والله أعلم.

٤- قوله- بعد العبارة السابقة مباشرة-: "ونحن نعلم أن عامة ما يضطر إليه عموم الناس من (الاختلاف) معلوم، بل متواتر عند العامة أو الخاصة، كما في عدد الصلوات.."[٤]، استشكل الدكتور مساعد الطيار كلمة (الاختلاف) وقال في شرح استشكاله: "العبارة فيها قلق، ولعلها (الأحكام) فالاختلاف لا يضطر إليه عموم الناس، والأمثلة التي مثَّل بها تشير إلىٰ أن مراده الأحكام التي لم يقع فيها خلاف، وهي متواترة عند العامة والخاصة"[٥]، وما ذكره الدكتور في محلِّه، لكن شرحها الشيخ صالح آل الشيخ علىٰ أنها (الاختلاف) بشرح فيه عسر[٦]، وكذلك الدكتور بازمول[٧] إلا أنه أبعد النجعة في شرحه لها ! بقيت الإشارة إلىٰ ما ورد في نسخة شرح الشيخ ابن عثيمين، حيث جاءت بدلاً من (الاختلاف) كلمة (الاتفاق) وقال الشيخ معلقاً عليها: "عندي في حاشية نسختي (لعله: من الأحكام) وهذه الرسالة قرأتها

(١) ص٥٤ .
(٢) ١٣/ ٣٤٣.
(٣) التنقيح والتحرير للكردي: ص٥١ .
(٤) المقدمة بتحقيق زرزور: ص٥٤، ومجموع الفتاوىٰ: ١٣/ ٣٤٣.
(٥) شرح المقدمة للدكتور مساعد الطيار: ص٧١.
(٦) انظر: شرح المقدمة لصالح آل الشيخ: ص٦٢.
(٧) انظر: شرحه للمقدمة: ص١١٨ .

علىٰ سماحة شيخنا عبد العزيز بن باز، والتعليق من إملائه، وعندي (من الاتفاق) أحسن"[1].

٥- قوله في أوائل الفصل الثالث- أثناء حديثه عن الإسرائيليات-: "كما ثبت (في الصحيح) عن النبي ﷺ أنه قال: "إذا حدَّثكم أهل الكتاب فلا تصدِّقوهم ولا تكذبوهم، فإما أن يحدِّثوكم بحق فتكذِّبوه، وإما أن يحدثوكم بباطل فتصدِّقوه"[2]، والوهم وقع في نسبة الحديث بهذا اللفظ إلىٰ الصحيح، والواقع أنه- بهذا اللفظ- إنما أخرجه الإمام أحمد في مسنده وأبو داود في سننه، لكن أخرج البخاري جزءاً من الحديث، وهو قوله: "لا تصدِّقوا أهل الكتاب ولا تكذِّبوهم"، كما نبَّه علىٰ ذلك بعض محققي المقدمة[3] وإن لم يصرِّحوا بتوهيم ابن تيمية.

٦- ورد في الفصل الثالث عبارة معترضة، في المراد بها غموض، وهي في قول ابن تيمية في سياق ذكره لأعلم الناس بالتفسير، وأنهم أهل مكة لأنهم أصحاب ابن عباس، ثم قال: "وكذلك أهل الكوفة من أصحاب عبد الله بن مسعود- ومن ذلك ما تميزوا به علىٰ غيرهم؟!-" وقد وضعها الدكتور عدنان زرزور في تحقيقه[4] بين معترضتين وأتبعها بعلامتي استفهام وتعجب، وقال تعليقاً عليها في الحاشية: "يراد به فيما يبدوا: أنهم تميزوا من[5] أهل التفسير بكثرة الرأي والاجتهاد في تفسيرهم، علىٰ ما عُرف من أهل العراق بعامة، وربما كان في الكلام سقط، أو أن العبارة مقحمة"، كما علَّق عليها الدكتور مساعد الطيار في شرحه بقوله: "هذه العبارة غير واضح المراد منها، وهي معترضة، وتحتمل أن تكون في أهل الكوفة وأنهم تميزوا

(١) شرح مقدمة التفسير لابن عثيمين: ص٦٣ .

(٢) انظر: المقدمة بتحقيق زرزور: ص٥٧ .

(٣) انظر: المصدر السابق، والمقدمة بتحقيق زمرلي: ص٥٠- ٥١ .

(٤) ص٦١ .

(٥) هكذا هي عبارة الدكتور زرزور: "تميزوا (من) أهل التفسير" والتي بعدها: "علىٰ ما عرف (من) أهل العراق". والأصح هنا وضع حرف (عن) بدل حرف (من).

عن غيرهم، وهذا الغموض- إن صح- يرجع إلىٰ الإملاء وعدم المراجعة "[١].

٧- في صدر الفصل الرابع: حين عدَّد خمسة عشر تفسيراً من التفاسير التي يُذكر فيها كلام الصحابة والتابعين صِرْفاً[٢] عدَّ منها (تفسير ابن جرير) مع أنه ليس كذلك، بل إنه "أضاف إلىٰ النقل المستوعب أشياء لم يشاركوه فيها؛ كاستيعاب القراءات والإعراب، والكلام في أكثر الآيات علىٰ المعاني، والتصدِّي لترجيح بعض الأقوال علىٰ بعض" كما قال ابن حجر[٣] في الموازنة بينه وبين تلك التفاسير، ويعتذر لابن تيمية أنه ذكره معها من باب التغليب[٤].

٨- في أثناء الفصل الرابع، أثناء سرد ابن تيمية لتفاسير المعتزلة لم يذكر اسم كتاب الرماني (الجامع لعلم القرآن) فأضافه زرزور في تحقيقه بين مكوفتين، وذكر في الحاشية أنها إضافة لابد منها، وليس الأمر كما قال، وقد جاء بدون تلك الإضافة في مجموع الفتاوىٰ[٥].

٩- في آخر الفصل الرابع: انتقل ابن تيمية- دون مناسبة قريبة- للحديث عن تفسير ابن عطية، مع موازنته بتفسير الزمخشري المعتزلي، مع أن سياق الكلام كان في ذكر أمثلة علىٰ ما وقع فيه كثير من المفسرين من تفسيرات خاطئة، فيها تفسير الآية بما لا تدل عليه بحال، أو جعل اللفظ المطلق العام منحصراً في شخص واحد[٦]، والمقصود بيان عدم المناسبة الظاهرة لذكر تفسير ابن عطية في سياقه القريب، وإن كان الموضوع العام للفصل الرابع (الذين أخطؤوا في التفسير من جهة

(١) المقدمة بتحقيق زرزور: ص١٣٢ .

(٢) المصدر السابق: ص٧٩ .

(٣) في مقدمة كتابه: العجاب في بيان الأسباب: ١/ ٢٠٣ .

(٤) انظر: مقالة بعنوان: مدخل إلىٰ مقدمة ابن تيمية في التفسير، لأبي عبد الله الإسحاقي، منشورة في موقع (الألوكة) علىٰ شبكة المعلومات، عام (١٤٣٤هـ).

(٥) انظر: المقدمة بتحقيق زرزور: ص٨٢، وانظر مجموع الفتاوىٰ: ١٣/ ٣٥٧.

(٦) انظر: المقدمة بتحقيق زرزور: ص٩٠ وما قبلها.

الاستدلال) مناسباً لذلك مناسبة بعيدة، والله أعلم.

١٠- بعد الكلام عن تفسير ابن عطية- المذكور في الفقرة السابقة- قال ابن تيمية: "فإن الصحابة والتابعين والأئمة إذا كان لهم في تفسير الآية قول، وجاء قوم فسروا الآية بقول آخر لأجل مذهب اعتقدوه، وذلك المذهب ليس من مذاهب الصحابة والتابعين لهم بإحسان؛ صار (مشاركاً) للمعتزلة وغيرهم من أهل البدع في مثل هذا "[١]، علق زرزور في الحاشية علىٰ كلمة (مشاركاً) بأن الأوضح أن تكون (مشاركين) كما يقتضي السياق! وقد جاءت علىٰ الصواب في مجموع الفتاوىٰ[٢].

١١- في الفصل الخامس: بعد أن ذكر ابن تيمية مكانة الصحابة في التفسير وخصوصاً ابن مسعود وابن عباس، ذكر " أن غالب ما يرويه السدي الكبير عنهما، لكنه في بعض الأحيان ينقل عنهم ما يحكونه من أقاويل أهل الكتاب"[٣]، وقد استشكل الشيخ ابن عثيمين هذا الكلام فقال: "المعروف أن ابن مسعود لا يأخذ عن الإسرائيليات، وإنما الذي يأخذ ابن عباس، فلا أدري هل كلام المؤلف- رحمه الله- يراد به الجميع أو يراد به البعض؟ "[٤].

١٢- جاء تنويع في الضمائر الواردة في جواب ابن تيمية للسؤال الذي طرحه في صدر الفصل الخامس: "فإن قال قائل: فما أحسن طرق التفسير؟ فالجواب:... فإن أعياك ذلك فعليك بالسنة،... والغرض أنك تطلب تفسير القرآن منه، فإن لم تجده فمن السنة،... وحينئذٍ إذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة (رجعنا) في ذلك إلىٰ أقوال الصحابة،..."، وقال في صدر الفصل الذي يليه (الأخير): "إذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة ولا وجدته عن الصحابة،..."، وقد تصرَّف الدكتور

(١) المقدمة بتحقيق زرزور: ص٩٠- ٩١.
(٢) انظر: ١٣/ ٣٦١.
(٣) المصدر السابق: ص٩٨ .
(٤) انظر: شرح مقدمة التفسير لابن عثيمين: ص١٣٥

زرزور في تحقيقه وقام بتغيير كلمة (رجعنا) الموجودة في الأصل إلىٰ (رجعت) لتوافق الضمائر السابقة واللاحقة، ويواليته أبقىٰ الأصل في الأعلىٰ، وجعل التعديل الذي يراه مقترحًا في الحاشية، لأنها جاءت في طبعات أخرىٰ (كمجموع الفتاوىٰ) بتغيير في ضمير (رجعنا) والذي قبله (نجد) هكذا: "وحينئذٍ إذا لم (نجد) التفسير في القرآن ولا في السنة (رجعنا) في ذلك إلىٰ أقوال الصحابة " وقد علَّل الدكتور الطيار في شرحه استشكال الدكتور زرزور للضمائر بأنه قرأ الضمير الذي قبل (رجعنا) بالتاء (تجد) وليس بالنون (نجد) ولو قرأها بالنون لزال الإشكال!! ولكن يبقىٰ المرجع في ذلك هو ما في الأصل المخطوط، وقد وجدته في نسخة دار الكتب المصرية بالتاء (تجد) وإن قرأه الكردي بالنون (نجد)[1].

١٣- في صدر الفصل الأخير: أثناء سياق الآثار في بيان مكانة مجاهد في التفسير، ذكر أثراً عن قتادة- معترضًا آثار مجاهد- وقال في أوله: "وبه إلىٰ الترمذي قال:..." ثم قال بعده مباشرة: "وبه إليه قال:..."، وقد علَّق الدكتور مساعد الطيار مستشكلاً هذه العبارة- ولم أره لغيره-: "هذه العبارة (وبه إلىٰ الترمذي) تشير إلىٰ عطف متن علىٰ سند سابق، أو جزء من سند علىٰ سند سابق، والسند السابق لا يتوافق معه لا من جهة رجال الإسناد ولا من جهة المروي عنه، ولا يظهر هنا داعي للعطف بهذه العبارة، ولا أدري ما سببها، وهذا الأسلوب سيتكرر في الجملة اللاحقة (وبه إليه) وسيأتي كذلك في الفصل اللاحق، وهذه تحتاج إلىٰ مراجعة لمعرفة هذا الأسلوب"[2].

١٤- أثر قتادة المذكور عرضًا بين آثار مجاهد- المشار إليه في الفقرة

(١) انظر: المقدمة بتحقيق زرزور: ص٩٥، مجموع الفتاوىٰ: ١٣/ ٣٦٤، شرح الطيار للمقدمة: ص٢٥٤، التنقيح والتحرير للكردي: ص١٠٠، النسخة الخطية للمقدمة المحفوظة بدار الكتب المصرية: ص٢٩

(٢) شرح المقدمة للدكتور الطيار: ص٢٥٨

السابقة[1]، وقد علَّق الدكتور الطيار علىٰ هذا بقوله: "وذكر كذلك مزية قتادة بين ما ذكره لمجاهد، وهذا راجع إلىٰ كونه أملىٰ المقدمة ولم يرجعها، إذ ينقص هذه الفقرة التي ذكر فيها مزية مجاهد الترتيب"[2].

١٥- في صدر الفصل الأخير- أيضاً- بعد سرد آثار مجاهد، وذِكر عددٍ من أعلام التابعين وتابعيهم في التفسير، انتقل[3]- عرضاً- إلىٰ تقرير ما قرَّره كثيراً في الفصل الثاني: من أن الغالب علىٰ خلاف السلف في التفسير هو اختلاف التنوع لا التضاد، وذكر نوعين أو ثلاثة من أنواعه، ثم عاد إلىٰ موضوع السياق الأصلي في تفسير التابعين وحجيته، وقد علَّق الدكتور مساعد الطيار علىٰ هذا بقوله: "العبارة قلقة، والعطف بهذا الموضوع- وهو تباين ألفاظهم في عباراتهم التفسيرية- لا يظهر منه علاقته بما ذكره سابقاً، وعدم ترابط هذه الجمل راجع إلىٰ الإملاء الذي سبق التنبيه عليه"[4].

١٦- بعد حديث ابن تيمية في صدر الفصل الأخير عن الطريق الرابع من طرق التفسير التي ذكرها وهو (تفسير التابعين) عطف عليه: الحديث عن (التفسير بمجرَّد الرأي) مستغرقاً بقية الفصل، وهذا الانتقال بين الموضوعين جاء دون مناسبة قريبة، وكان الأولىٰ أن يكون في بداية فصل جديد، ولذلك قام الدكتور زرزور في تحقيقه بوضع عنوان يلفت لذلك وهو (تفسير القرآن بالرأي) أسوة بالعناوين التي وضعها للفصول، وهي عناوين من صنعه وليست من ابن تيمية، وكان يجدر به التنبيه علىٰ ذلك، أما الانتقال المذكور إلىٰ موضوع التفسير بالرأي فقد خرَّجه الدكتور مساعد الطيار بقوله: "يمكن أن تكون هذه الجملة [أي: فأما تفسير القرآن بمجرد الرأي

(١) انظر: المقدمة بتحقيق زرزور: ص١٠٣، وشرح المقدمة للطيار: ص٦٣

(٢) شرح المقدمة للطيار: ص٢٥٩

(٣) المقدمة بتحقيق زروزر: ص١٠٤، وانظر ما جاء في الفصل الثاني: ص٣٨، ٤١، ٥١

(٤) شرح المقدمة للطيار: ص٢٥٩

فحرام] معطوفة علىٰ قوله (فإن قال قائل: فما أحسن طرق التفسير؟ فالجواب...) أي: فالجواب كذا وكذا، فأما تفسير القرآن بمجرد الرأي فحرام"[١].

١٧- بعد العبارة المذكورة في الفقرة السابقة، أورد ابن تيمية حديث ابن عباس من طريقين[٢]، لكن بسقطٍ في أول سنديهما، أي: دون ذكرٍ لصاحب الإسناد وهو (الإمام أحمد في مسنده) وقد علَّق الدكتور الطيار علىٰ ذلك بقوله: "يلاحظ أن في التعبير بقوله (حدثنا مؤمل) اختصاراً؛ لمعرفة القارئ بالقائل، أو أنه سقط من الناسخ، أو أنه سقط من المؤلف ولم ينتبه له، وهذا عائد لمسألة الإملاء التي سبق التنبيه عليها"[٣] ثم ذكر أن صاحب الإسنادين هو الإمام أحمد في مسنده[٤].

مناقشة المأخذ: يمكن تصنيف الأوهام المذكورة إلىٰ ثلاثة أنواع:

١- أوهام جاءت علىٰ الوجه الخاطئ في طبعة، لكنها في طبعة أخرىٰ علىٰ الصواب.

٢- قد يكون الحمل في بعض هذه الأوهام علىٰ النسَّاخ أو الطابعين، وهذا احتمال قائم في بعضها، خصوصاً أن المقدمة لم تُحَّقق تحقيقاً يجمع عدداً من نسخها الخطية يساعد علىٰ تأكيد ذلك أو نفيه.

٣- بعض العبارات ليست مشكلة عند الجميع، بل قد يكون بعضها مشكلاً عند محقق أو شارح، لكن لها وجهاً صحيحاً عند غيره.

هذا كله ليس نفياً تاماً لوقوع الأوهام في (المقدمة) بل هناك أوهام متفق علىٰ

(١) انظر: المقدمة بتحقيق زرزور: ص١٠٥، وشرح الطيار للمقدمة: ص٢٦٠

(٢) المقدمة بتحقيق زرزور: ص١٠٥.

(٣) شرح المقدمة للطيار: ص٢٦٠.

(٤) لكن الدكتور زرزور في تحقيقه للمقدمة: ص١٠٥: عزا هذين الحديثين للطبري في تفسيره: ١/ ٧٠-٧١ لكن الأدق ما ذكره الدكتور الطيار لاختلاف شيخ صاحب الإسنادين (الشيخ الأول) بين مسند الإمام أحمد والطبري، وإن اتفقا علىٰ بقية الإسنادين، والظاهر أنه أفاد ذلك من مقدمة ابن كثير لتفسيره: ١/ ٢٢- ٢٣ حيث أورد هذين الحديثين بإسنادي ابن جرير الطبري.

كونها كذلك، ومردُّ ذلك إلىٰ ما سبق ذكره في مطلع المأخذ من كون ابن تيمية كتب هذه الرسالة (المقدمة) من إملاء الفؤاد، ولو لم يكن كذلك فإن الوهم والنسيان والخطأ مما لا يسلم منه عمل بشري مهما بلغ من الجودة وتحرِّي الإتقان، والله المستعان.

المطلب الرابع: عدم ترتيب الموضوعات

ذكر ذلك اثنان من الباحثين، أحدهما كان كلامه مجملاً ودون أمثلة، وأما الثاني فقد مثَّل بمثالين علىٰ عدم الدقة في تقسيم المقدمة- كما يقول-.

أما **الأول**: فهو الدكتور عبدالرحمن الشهري في مقالة منشورة علىٰ شبكة المعلومات بعنوان (تعريف بمقدمة التفسير لشيخ الإسلام ابن تيمية)[١] قال فيها: "افتقرت المقدمة إلىٰ الترتيب والتنظيم للموضوعات ترتيباً منطقياً يعين علىٰ الفهم والاستيعاب".

وأما **الثاني**: فهو صاحب كتاب (مقدمة أصول التفسير لشيخ الإسلام ابن تيمية- تحليل وتعقيب)[٢] حيث وضع عنواناً فرعياً هو (ملاحظات حول تقسيم المقدمة) وذكر ملحوظة واحدة هي: أن ابن تيمية في موضعين- سيأتي ذكرهما- فصَل بين نوعين حقهما أن يكونا في فصل واحد؛ لاتصال الفكرة ووجود الرابط العام بينهما، وذكر علىٰ ذلك مثالين:

١-الفصلان الثالث والرابع[٣]: إذ موضوعهما واحد وهو (أسباب الخلاف بعد عصر السلف) وجعله علىٰ نوعين: ما مستنده النقل، وما مستنده الاستدلال؛ فجعل لكل نوع منهما فصلاً مستقلاً به، وهذا خلاف الأَولىٰ للسبب المذكور.

٢-الفصلان الخامس والسادس (الأخير)[٤]: إذ موضوعهما (طرق التفسير) لكنه جعل الكلام فيه منقسماً علىٰ فصلين: ذكر في (الفصل الخامس): تفسير القرآن بالقرآن وبالسنة وبأقوال الصحابة، وفي (الفصل السادس): تفسير القرآن بأقوال التابعين، ثم بالرأي، وكان الأَولىٰ جعلهما في فصل واحد للسبب المذكور، أو يلحق

(١) نشر عام (٢٠٠٤م) في موقع (ملتقىٰ أهل الحديث) علىٰ الشبكة.

(٢) انظر: ص١٥٧

(٣) انظر: المقدمة بتحقيق زرزور: الفصل الثالث: ص٥٥، والرابع: ص٧٩

(٤) انظر: المصدر السابق: الفصل الخامس: ص٩٣، السادس: ص١٠٢

تفسير التابعين بالفصل الخامس، ويجعل الفصل الأخير (السادس) خاصاً بالتفسير بالرأي.

مناقشة المأخذ: لابدَّ في البداية من التأكيد على ما سبق تقريره في المطلب الخامس من المبحث الرابع "الملامح الأسلوبية عند ابن تيمية" في هذه (المقدمة) وهو: حسن التقسيم وجودة التصنيف والترتيب في عرض المعلومات، وذلك في عموم الكتاب أو الرسالة التي يكتبها، ولا يشغب على ذلك بتكرار بعض المعلومات اليسيرة، أو تفريق الكلام على بعض الموضوعات في موضعين، أو الاستطرادات القليلة؛ لأنها لا تعدوا أن تكون أمثلة يسيرة لا يعارض بها السمة الغالبة، كما أن لكل منها ما يبرِّر حصوله- وصفاً أو أمثلة- وسبق توضيح ذلك كله في مكانه.

ولذلك فإن كلام الدكتور عبد الرحمن الشهري كلام مجمل، وهو بحاجة إلى مزيد شرح وإيضاح وتمثيل !! لأنه مخالف لما سبق تقريره.

وأما الملحوظة التي ذكرها الباحث الثاني- بمثاليها-: فهي رأي له حظ من النظر، لكن لصنيع ابن تيمية حظ من النظر أيضاً؛ إذ وجود اتصال في الفكرة ووجود ترابط في الموضوع بين الفصلين لا يقتضي جعلهما فصلاً واحداً، وكما أن بينهما ترابطاً فإن بينهما تمايزاً واختلافاً اقتضى فصلهما عن بعضهما، ولا يعدو الأمر أن يكون وجهة نظر، لا أنه خطأ محض، وليس رأي الباحث في ذلك بأولى من رأي ابن تيمية.

لكن يبقى اقتراحه الأخير أكثر وجاهة، وهو أن (التفسير بالرأي) كان بحاجة إلى فصل خاص يميزه عما قبله، أو تكون بداية الفصل الأخير من عنده ويُدخل تفسير التابعين في الفصل الخامس، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك في المثال ما قبل الأخير (رقم ١٦) من أمثلة المأخذ السابق.

المطلب الخامس: عدم استيعاب موضوعات العلم

نقل هذا المأخذ- عن بعضٍ لم يسمِّه- أبو عبد الله الإسحاقي في مقالة منشورة علىٰ شبكة المعلومات بعنوان (مدخل إلىٰ مقدمة ابن تيمية في التفسير)[1] وقد أجاب عنه كما سيأتي.

مناقشة المأخذ: يحسن إيراد نصِّ كلام الإسحاقي الذي فيه المأخذ وجوابه؛ حيث قال: "ويجاب عليه: أن الشيخ -رحمه الله- لم يلتزم استيعاب مباحث الفن حتىٰ يكون ذلك مأخذاً عليه، بل إنه ذكر في أول الكتاب أنها مقدمة مختصرة، ثم إن المتون المصنفة في أوائل التدوين في العلوم لا تكون مستوعبة في الغالب ولا مرتبة، وذلك لعدم استقرار مباحث العلم علىٰ ما استقرت عليه في آخره، كما هو معلوم في كتب الأصول والمصطلح والنحو ونحوها، ثم إن الشيخ -رحمه الله- كتبها من إملاء الفؤاد".

ويمكن أن يضاف إلىٰ هذه الأجوبة أيضـًا: أن علم أصول التفسير من العلوم التي لم تتضح معالمها وموضوعاتها حتىٰ الآن؛ لكون استقلاله بمؤلفات خاصة عن كتب علوم القرآن ومقدمات المفسرين لم يحدث بشكل ظاهر إلا في العصر الحاضر، بل إن عنوان هذه الرسالة وهو (مقدمة في أصول التفسير) الذي تمَّ تصنيفها في (علم أصول التفسير) بناء عليه؛ ليس من وضع ابن تيمية بل من قِبل ناشرها الأول وهو من المعاصرين- كما سبق بيان ذلك في المبحث الأول-.

* * *

(١) نشرت عام (١٤٣٤هـ) في موقع (الألوكة) علىٰ الشبكة.

الخاتمة

وبعد هذا الاستجلاء العريض نسبياً للملامح التأليفية عند ابن تيمية من خلال رسالته المشهورة (مقدمة في أصول التفسير) ومناقشة مستفيضة لما أثير حول بعضها من مؤاخذات، يمكن تلخيص **أهم النتائج** التي خرج بها هذا البحث من خلال ما يلي:

١- لم يضع ابن تيمية لرسالته هذه عنواناً- كعادته في عدم تسميته لكثير من فتاويه ورسائله الصغيرة- لكن الرسالة اشتهرت بالعنوان الذي وضعه لها قاضي الحنابلة بدمشق محمد جميل الشطي الذي نشر الرسالة أول مرة عام ١٣٥٥هـ وهو (مقدمة في أصول التفسير).

٣- ذكر ابن تيمية في مقدمة رسالته أنه كتبها إجابة لطلب بعض الإخوان، وكانت من إملاء الفؤاد، والأول قد يفسِّر عدم تسميته لها، والثاني يفسِّر بعض ما وقع فيها من أوهام وسبق ذهن.

٤- قسمَّ ابن تيمية رسالته إلىٰ مقدمة وستة فصول، تدور علىٰ خمسة موضوعات رئيسة هي: بيان الرسول ﷺ معاني القرآن للصحابة، واختلاف السلف في التفسير وأنواعه، وسبب الاختلاف من جهة النقل ومن جهة الاستدلال، وأحسن طرق التفسير، والتفسير بمجرَّد الرأي.

٥- بالنظر إلىٰ أن الموضوع الأصلي للمقدمة هو (أصول التفسير) فقد غلبت موضوعات ومسائل هذا العلم علىٰ مضمون الرسالة، ويدخل في ذلك مسائل العلوم القريبة جداً: كالتفسير، ومناهج المفسرين واتجاهاتهم، وعلوم القرآن، أما العلوم الأخرىٰ فقد كان أكثرها مسائل علمين: علوم الحديث والسيرة، ثم علم الاعتقاد.

٦- من أبرز الملامح العلمية في منهج ابن تيمية التأليفي التي ظهرت في المقدمة: سلفيته في الاعتقاد، وعنايته بالأدلة وكثرة استدلاله بها، ومعرفته بأقوال

أهل العلم وخلافهم ومقالات أهل البدع، وإيراده للقواعد والأصول والتقاسيم والنظائر والفروق، وكثرة إيراد الأمثلة علىٰ ما يقول، والنظرة الناقدة الفاحصة مع العدل والإنصاف والتجرُّد حتىٰ مع المبتدعة، وآخرها تفنُّنه في العلوم الشرعية والعقلية.

٧- ومن الملامح الأسلوبية عند ابن تيمية التي ظهرت من خلال المقدمة: كثرة التكرار والاستطراد التناسبي، وبسط القول في مواضع والإيجاز واختصار الكلام في مواضع أخرىٰ- وهو الغالب علىٰ هذه الرسالة كما نصَّ عليه في مقدمتها- مع اتصاف لغته في الكتابة بالجزالة والسلاسة معًا وهو ما يسمىٰ بالأسلوب السهل الممتنع، وكذلك حسن التقسيم وجودة التصنيف والترتيب، مع أنه يكتب في الغالب- كما في هذه الرسالة- من ذهنه مباشرة دون مراجعة للكتب والمصادر قبل الكتابة ودون تحرير أو تنقيح بعد الكتابة.

٨- مصادره في هذه الرسالة نوعان: ما صرَّح بالنقل عنه وهي (٣١) مصدراً، وما وصفه وصفًا عامًا دون أن ينقل عنه وهي (٢٩).

١٠- أما المآخذ- ولا يسلم منها كتاب بشر- فهي يسيرة ولا تغض من المكانة العلمية العالية لهذه المقدمة، ومما ذكر في البحث منها وتم استقصاء أمثلتها ثم مناقشتها خمسة مآخذ هي: وقوع الاستطراد، وكثرة التكرار، والوهم وسبق الذهن، وعدم ترتيب موضوعاتها، وعدم استيعابها لمسائل (علم أصول التفسير)، وتبيَّن أن معظم تلك المآخذ بأمثلتها غير دقيقة، وأن لها مخارج واحتمالات علمية تصح معها، ولا تعتبر حينئذٍ واردة علىٰ هذه المقدمة التيميّة.

وأخيراً أختم بتوصيتين:

١- أهمية معرفة انتساب المسائل إلىٰ علومها الأصلية، لصحة فهمها وتصورها، ومراجعة كل مسألة في مصادرها الأصلية، ثم وضعها في سياقها الصحيح من الموضوع الأصلي، وإمكان اكتشاف العلائق بينها، وعدم الوقوع في التداخل أو

الخلط فيها.

٢- تعرُّف المنهج التأليفي لأي عالم يراد الاستفادة من شيء من نتاجه العلمي، وكذلك عند إرادة تقييم أثر من آثاره؛ كفيل ببناء ذلك علىٰ أسس علمية متينة، وهو عاصم من الزلل في الفهم والشطط في الحكم.

والحمد لله رب العالمين، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

❊ ❊ ❊

المصادر والمراجع

١- ابن تيمية وجهوده في التفسير، لإبراهيم خليل بركة، المكتب الإسلامي- بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٤م.

٢- ابن قيم الجوزية- حياته آثاره موارده، لبكر بن عبد الله أبو زيد، دار العاصمة- الرياض، ط١، ١٤١٢هـ.

٣- أصول التفسير في المؤلفات- دراسة وصفية موازنة، إعداد: وحدة أصول التفسير بمركز تفسير للدراسات القرآنية، ط١، ١٤٣٧هـ- ٢٠١٥م.

٤- بحوث الندوة العالمية عن شيخ الإسلام ابن تيمية وأعماله الخالدة- المنعقدة في الجامعة السلفية ببنارس الهند، إعداد: الدكتور عبدالرحمن بن عبد الجبار الفريوائي، دار الصميعي- الرياض، ١٤١٢هـ- ١٩٩١م.

٥- بحوث في أصول التفسير ومناهجه، أ. د. فهد بن عبد الرحمن الرومي، مكتبة التوبة- الرياض، ط٥، ١٤٢٠هـ.

٦- بحوث في أصول التفسير، للدكتور: محمد بن لطفي الصباغ، المكتب الإسلامي- بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

٧- التحرير في أصول التفسير، د. مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، راجعه علمياً وتعليمياً: مجموعة من الأساتذة، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي بجدة، ط١، ١٤٣٥هـ- ٢٠١٤م.

٨- تفسير الطبري- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر، ط١، القاهرة، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

٩- تفسير القرآن الكريم- أصوله وضوابطه، د. علي بن سليمان العبيد، مكتبة التوبة- الرياض، ط١، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.

١٠- التنقيح والتحرير علىٰ مقدمة في أصول التفسير لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: أبي أويس الكردي، دار التأصيل- المنصورة بمصر، ط١، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

١١- الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية خلال سبعة قرون، جمعه: محمد عزيز شمس وعلي بن محمد العمران، إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد، دار عالم الفوائد- مكة، ط٣، ١٤٢٧هـ.

١٢- خطبة الحاجة التي كان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يعلمها أصحابه، لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي- بيروت، ط٣، ١٣٩٧هـ.

١٣- رجال الفكر والدعوة في الإسلام، للسيد أبي الحسن علي الحسني الندوي، دار ابن كثير- دمشق، ط٣، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.

١٤- شرح مقدمة التفسير لشيخ الإسلام ابن تيمية، لمحمد بن صالح العثيمين، بإشراف مؤسسة الشيخ محمد العثيمين الخيرية، مدار الوطن للنشر- الرياض، ١٤٢٦هـ.

١٥- شرح مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية، د. مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، دار ابن الجوزي- السعودية، ط١، ١٤٢٧هـ، ط٢، ١٤٢٨هـ.

١٦- شرح مقدمة في أصول التفسير لشيخ الإسلام ابن تيمية، شرح الدكتور: محمد بن عمر بن سالم بازمول، دار الإمام أحمد- القاهرة، ط١، ١٤٢٧هـ- ٢٠٦٦م.

١٧- شرح مقدمة في أصول التفسير لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية، للشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ، مكتبة دار المنهاج- الرياض، ط١، ١٤٣٢هـ.

١٨- شيخ الإسلام أحمد بن تيمية- رجل الإصلاح والدعوة، لإبراهيم محمد العلي، دار القلم- دمشق، ط١، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

١٩- العجاب في بيان الأسباب، للحافظ ابن حجر العسقلاني، تحقيق: عبدالحكيم محمد الأنيس، دار ابن الجوزي- السعودية، ط١، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

٢٠- العقود الدرية في ذكر بعض مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية، لمحمد بن أحمد بن عبد الهادي، ويليه: الأعلام العلية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية، للبزار، تحقيق: علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد- مكة، ط١، ١٤٣٢هـ.

٢١- علم أصول التفسير- محاولة في البناء، د. مولاي عمر بن حماد، دار السلام- القاهرة، ط١، ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م.

٢٢- علي الطنطاوي كان يوم كنت- صناعة الفقه والأدب، لأحمد بن علي آل مريع، مكتبة العبيكان- الرياض، ط١، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.

٢٣- فصول في أصول التفسير، لمساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، دار ابن الجوزي- السعودية، ط١، ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.

٢٤- كيف تقرأ كتب شيخ الإسلام ابن تيمية، لصالح بن عبد العزيز آل الشيخ، النسخة الإلكترونية (٢)، موقع (سالم لتفريغ الدروس العلمية) على شبكة (الإنترنت).

٢٥- مجلة البيان- إسلامية شهرية جامعة، العدد: ٢٥٩، عام ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.

٢٦- مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن ابن محمد بن قاسم، وساعده ابنه محمد، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة النبوية، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.

٢٧- المداخل إلى آثار شيخ الإسلام ابن تيمية وما لحقها من أعمال، لبكر بن عبد الله أبوزيد، دار عالم الفوائد- مكة المكرمة، ط٢، ١٤٢٧هـ.

٢٨- مقدمة أصول التفسير لشيخ الإسلام ابن تيمية- تحليل وتعقيب، تأليف: أحمد سعد إبراهيم عبد الرحمن، دار البصائر- القاهرة، ٢٠٠٦م.
٢٩- مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية، تحقيق الدكتور: عدنان زرزور، دار القرآن الكريم- بيروت، ط٣، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.
٣٠- موقع (الألوكة) علىٰ شبكة (الإنترنت).
٣١- موقع (ملتقىٰ أهل التفسير) علىٰ شبكة (الإنترنت).
٣٢- موقع (ملتقىٰ أهل الحديث) علىٰ شبكة (الإنترنت).
٣٣- نسخة خطية بعنوان (قاعدة في التفسير، يظهر أنها للإمام أحمد بن تيمية، وهي التي اختصرها السيوطي في الإتقان، وقد نقلت من نسخة في دار الكتب الأزهرية ضمن أحد أجزاء الكواكب- تفسير تيمور ٢٩٩) محفوظة بدار الكتب المصرية برقم (٢٩٩) تفسير- تيمورية.

❊ ❊ ❊

المصحف التوافقي
عرض ونقد لطريقة كتابته والغاية منه

(لسلسلة مكاتيب سعيد النورسي)

إعداد

د. عاصم بن عبد اللّه بن محمد آل حمد

أستاذ القرآن وعلومه المساعد بكلية أصول الدين

جامعة الإمام محمد بن سعود الاسلامية

ملخص البحث

من المصاحف التي انتشرت، وساهم في نشرها التقنية الحديثة المصحف المسمىٰ بـ: المصحف التوافقي، لسلسلة مكاتيب: سعيد النورسي، وقصد من إعادة كتابته إبراز التوافق الخطي: إما بالمحاذاة أو بالموازاة المنظورة بين ما تكرر في القرآن من لفظ الجلالة (الله) و إما بينه و بين لفظ (الرب) أينما وقع، إلىٰ غير ذلك من التوافقات في صف كتابة ألفاظ المصحف عنده، ونُسِب هذا الصنيع علىٰ أنه مرحلة من مراحل إظهار إعجاز القرآن، ولأن النورسي ولد في بيئة صوفية، وانشغل بما يراه يقوم الأمة من دعوتها للإيمان، مما جعل النورسي يندفع إلىٰ معرفة إعجاز القرآن، فتقدم إلىٰ ابتكار هذه الطريقة التي كُتب بها المصحف التوافقي.

وقع النورسي إثر ذلك في أخطاء منها: دخوله فيما يسمىٰ بالإعجاز العددي، وانتقد علىٰ تكلفه في هذا الباب.

ويرىٰ البحث أن قضية الإعجاز لما كانت مقيدة بشروطها وضوابطها التي وضعها أهل العلم كانت الفكرة التي قامت عليها كتابة المصحف التوافقي أبعد ما تكون عن الإعجاز، والإيمان بأنها من أنواع الإعجاز له مآلات وعواقب تعود علىٰ الإسلام بالنقص لا التكميل والتحسين.

المقدمـة

الحمد لله الذي علم بالقلم، علم الإنسان مالم يعلم، وأصلي علىٰ النبي الخاتم، من بعثه الله بالحق ضياء ونورًا، فعلّم به من جهل، وأرشد به من ضاع، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم، أما بعد:

فإن خط المصحف شرف عظيم، وفيه من الأجور مع إخلاص النية الشيء الجزيل، وقد كتب الصحابة المصاحف بما كان متعارفًا عليه من قواعد وأصول الرسم والهجاء، ولم تكن هذه القواعد مطَّردة، وسار الناس علىٰ ذلك في أول الإسلام، إذْ قاعدتهم الأولىٰ في كل كتاباتهم ورسائلهم هي رسم المصحف العثماني، فمال الناس بعدهم إلىٰ توحيد الهجاء، وقدّموا أسلوبًا أيسر في الإملاء والكتابة، علىٰ قواعد اصطلحوا عليها، لكنّ نسّاخ المصاحف ما زالوا حريصين علىٰ أن لا يَخْرُجوا عن رسم المصحف[1].

وقد خط المصحف فئام وجماعات من الناس، جيلاً بعد جيل، واختلف الخطاطون في فن كتابة الآيات: إن بخط الثلث، وإن بخط النسخ، وإن بغيرهما، وظهر التنافس الشريف، مع التزامهم بقواعد وآداب الكتابة للمصحف.

ومن المصاحف التي انتشرت، وساهم في نشرها التقنية الحديثة المصحف المسمىٰ بـ: **المصحف التوافقي**، لسلسة مكاتيب: سعيد النورسي، وقصد من إعادة كتابته إبراز التوافق الخطي: إما بالمحاذاة أو بالموازاة المنظورة بين ما تكرر في القرآن من لفظ الجلالة (الله) و إما بينه و بين لفظ (الرب) أينما وقع، إلىٰ غير ذلك من التوافقات في صف كتابة ألفاظ المصحف عنده، ونُسِب هذا الصنيع علىٰ أنه مرحلة من مراحل إظهار إعجاز القرآن، ولما رأيت انتشار هذا المصحف علىٰ الصعيد الإسلامي، وكثرة تداوله، مع الثناء عليه، متصورًا كلام أهل العلم في توسع

(١) انظر: رسم المصحف – دراسة لغوية تاريخية – د. غانم بن قدوري الحمد (ص:١٨٩).

الناس في قضايا الإعجاز المعاصر، حرصت علىٰ دراسة فكرة كتابة هذا المصحف، ومعرفة مراميه، والغاية منه، مع نقد طريقة كتابته، والهدف منها، فاخترت أن أسمي بحثي: (**المصحف التوافقي - عرض ونقد لطريقة كتابته والغاية منها**)

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

١- كون الموضوع مرتبطًا بأهم كتاب لدىٰ المسلمين، ألا وهو القرآن، والذي هو نجاتهم وسبيل عزهم، ولأنه الموروث الخالد الذي يجب أن يحفظ ويصان.

٢- انتشار المصحف المسمىٰ بـ: **المصحف التوافقي**، وكثرة تداوله عن طريق المواقع في الشبكة العنكبوتية، وورقيًا.

٣- عدم وجود دراسة نقدية شرعية للطريقة التي كتب بها هذا المصحف، أو دراسة الغاية والمقصد من هذه الكتابة.

أهداف البحث:

١-دراسة طريقة كتابة المصحف المسمىٰ بـ: **المصحف التوافقي** دراسة وصفية.

٢- دراسة طريقة كتابة المصحف المسمىٰ بـ: **المصحف التوافقي** دراسة نقدية شرعية.

خطة البحث:

وتتكون من مقدمة ومبحثين وخاتمة وفهارس.

المقدمة: وتتضمن أهمية الموضوع ، وأسباب اختياره ، وأهداف البحث ، وخطة البحث، ومنهجه.

المبحث الأول: التعريف بسعيد النورسي (صاحب فكرة المصحف التوافقي).

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: عصر سعيد النورسي.

المطلب الثاني: سماته الشخصية.

المطلب الثالث: اهتمامه بقضايا إعجاز القرآن.

المطلب الرابع: وفاته وآثاره العلمية.

المبحث الثاني: الدراسة الوصفية النقدية.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الدراسة الوصفية لطريقة كتابة المصحف المسمىٰ بـ: المصحف التوافقي.

المطلب الثاني: الدراسة النقدية لطريقة كتابة المصحف المسمىٰ بـ: المصحف التوافقي، والغاية منها.

الخاتمة: شاملة أهم النتائج والتوصيات.

منهج البحث:

سلكت في البحث المنهج الوصفي النقدي ، وفق المنهج الآتي – بإذن الله –:

١. ضبط الكلمات بالشكل عند الحاجة إلىٰ ذلك.

٢. شرح الكلمات الغريبة عند الحاجة إلىٰ ذلك.

٣. التعريف بالأماكن عند الحاجة إلىٰ ذلك.

٤. التعريف بالأعلام الذين يتطلب البحث التعريف بهم ، تعريفًا موجزًا .

٥. التعريف بالقبائل و الفرق و المذاهب تعريفًا موجزًا.

٦. استخدام علامات الترقيم حسب الوسع والطاقة .

٧. توثيق النقل في الهامش مع الالتزام بالترتيب الزمني التاريخي لوفيات المؤلفين .

٨. تخريج الأحاديث و الآثار الواردة في البحث من مصادرها الأصلية .

٩. أكتفي بتخريج الحديث من الصحيحين أو أحدهما إذا وجد، وإذا لم يكن في أحد منهما فأخرجه من أمهات الكتب الستة، مع ذكر خلاصة ما قاله أئمة الحديث والجرح والتعديل فيه من القبول والرد.

١٠. توثيق الأبيات الشعرية وعزوها إلىٰ قائليها من دواوينهم أو كتب اللغة والأدب.

١١. عند النقل باختصار و تصرف، أو عند الرجوع إلىٰ أكثر من مصدر ، يحال إليه بقول: انظر

١٢. كتابة الآيات القرآنية بالرسم العثماني علىٰ رواية حفص عن عاصم مع ترقيم الآيات وعزوها.

١٣. وضع خاتمة تتضمن أهم النتائج و التوصيات.

١٤. وضع فهارس تخدم الباحث و المطلع ، مشتملة علىٰ:

- قائمة المصادر
- فهرس الموضوعات

المبحث الأول
التعريف بسعيد النورسي(صاحب فكرة المصحف التوافقي)[1]

المطلب الأول: عصر سعيد النورسي.

يقولون: الإنسان ابن بيئته، ولا يمكن للإنسان أن ينفك عن التكوين البيئي الذي حوله، ولا بدّ له من أن يصطبغ ولو بشيء يسير من الطبيعة: الفكرية، والسياسية، والسلوكية، والاجتماعية، وقد عاش النورسي في نهاية القرن الثالث عشر، وبداية القرن الرابع عشر، حيث الدولة العثمانية واشتداد الوطأة عليها، في عصر وصف بعصر الترنح والسقوط، فالفتن الداخلية المتنوعة: من التنظيمات السياسية المناهضة للحكم، والانقلابات والثورات المتتابعة علىٰ الدولة التي لا تكاد تفتأ، إضافة إلىٰ الحروب والغزو الذي تعرضت له الدولة من أعدائها في الخارج.

وكان لكلّ ذلك الأثرُ البالغ في تكوين شخصية النورسي، وحزْمِ قلمه وما كتب في سبيل معالجة تلك الأوضاع المُردية، فوقف ضد الأعداء الخارجيين، حتىٰ وقع أسيرًا لدىٰ الروس قبل أن يلوذ بالفرار، أما عن الثورات الداخلية فكان شديد المعارضة لها طالبًا حقن دماء المسلمين، من مثل الثورات التي أعلنت علىٰ مصطفىٰ كمال.

فكان النورسي في هذه الفترة العصيبة مدافعًا عن بلاده، صامدًا في وجوه الأعداء مما كان له الأثر البالغ في تكوين شخصيته، ومع أن الأوضاع السياسية كانت صعبة

(١) كل ما ذكر في هذا المبحث فمن عدة كتب تخصصت في الكلام عن النورسي، وما استدعىٰ الإحالة لصفحته لأهمية نقله أحلت إلىٰ مصدره في موضعه.
انظر: بديع الزمان سعيد النورسي نظرة عامة عن حياته وآثاره، لإحسان قاسم الصالحي، وكليات رسائل النور سيرة ذاتية–ترجمة وإعداد إحسان قاسم الصالحي، والفكر العقدي عند الإمام النورسي، دراسة تحليلة، لرائد سعيد أحمد بني عبدالرحمن، وبديع الزمان النورسي–فكره ودعوته، وقائع الحلقة الدراسية المنعقدة في المركز الثقافي الإسلامي في عمان يوم الخميس ٧ صفر ١٤١٨هـ.

للغاية إلا أن الحِراك الثقافي كان له الاهتمام والالتفات، فالمدارس كانت منتشرة، والعلماء مقدرون ومحترمون، والعناية بالنشر الثقافي والطباعة العلمية كان لها الأثر في نشر الوعي وازدهار سوق الكتب، وكان من مساهمات النورسي أنه طالب بفتح مدرسة يُجمع فيها بين العلوم الإسلامية والعلوم التجريبية التطبيقية، كما أنّ حياته كانت مليئة بالتعليم، وإلقاء الدروس والمحاضرات والخطب.

وكانت الحالة الاجتماعية في أوّل عصر النورسي يسودها التدين، فكانت المرأة ترتدي الحجاب الشرعي، وكان كثير من الرجال يلبسون العمائم، وكانت الصوفية منتشرة انتشارًا واضحا بينًا مما كان له الأثر علىٰ حياة النورسي في بعض سلوكياته، كما أن الخرافة والشعوذة والسحر له ضرب علىٰ الأوتاد آنذاك، ولكن هذه الحالة انقلب بعضها في وقت مصطفىٰ كمال إلىٰ الاختلاط، وشيوع شرب الخمور، والدعوة إلىٰ انحلال المرأة، وحضورها للحفلات الراقصة والمختلطة، فكان للنورسي إسهامات عدة في العودة بالناس إلىٰ النور، بدل الظلمة، ومحاربة الجهل والسحر والشعوذة، ودعوته إلىٰ المحافظة علىٰ الآداب الاجتماعية والإسلامية التي دعا إليها الإسلام، مع ما عليه النورسي من ملاحظات خطيرة في المعتقد والمنهج سيأتي بيانها.

المطلب الثاني: سماته الشخصية

ولد سعيد بن ميرزا بن علي بن خضر في قرية نورس، شرق الأناضول في تركيا، حيث الجبال الرواسي المكسوة بالثلوج، وكان مولده في عام ١٢٩٣هـ، وقد نشأ في أسرة متدينة فقيرة، وكان ذكيًا نابغًا، مما جعله مهتمًا بالعلم في سن مبكرة.

وكانت أسرته منتسبة للطريقة النقشبندية[١] الصوفية، وأبوه الصوفي ميرزا كان له الأثر في تربية أبنائه، ولكنّ النورسي كان علىٰ خلاف ذلك، فقد كان في انتسابه منتسبًا إلىٰ الطريقة القادرية[٢] وقد قال عن نفسه: **"فإن محبة الطريقة القادرية ومشربها يجري فيّ حكمه دون اختيار مني"**[٣].

ومع أنه قال مثل هذا الكلام، إلا أن دروشة الصوفية وعكفوها في الخلوات لم تكن حائلاً دون تحيقق طموحه في إصلاح ما ينبغي إصلاحه في وقته السياسي العصيب، وكان يقول: **"ليس هذا العصر بعصر تصوف وطريقه، إنما هو عصر إنقاذ الإيمان"** [٤].

قد يتصور الذي لم يطلع علىٰ رسائل النور أنها رسائل صوفية، أو أن النورسي من شيوخ الصوفية فحسب، وإنما كان مشهورًا بالزهد، منشغلاً في قضايا الإيمان التي يدعو إليها، وإني في هذا البحث لم يتبين لي من خلال ما اطلعت عليه تبرؤه من

(١) طريقة صوفية، تنسب إلىٰ الشيخ بهاء الدين محمد بن محمد البخاري الملقب بشاه نقشبند (ت:٧٩١) وهي طريقة انتشرت في فارس وبلاد الهند وآسيا الغربية.

انظر لأخذ مفهوم شامل: الطريقة النقشبندية بين ماضيها وحاضرِها، للشيخ فريد الدين آيدن.

(٢) طريقة صوفية، منسوبة لعبد القادر الجيلاني (ت:٥٦١)، ويزعم أتباعه أنه أخذ الخرقة والتصوف عن الحسن البصري عن الحسن بن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنهما ـ رغم عدم لقائه بالحسن البصري.

انظر: دراسات في التصوف، لإحسان إلهي ظهير الباكستاني (ص:٢٦٥).

(٣) كليات رسائل النور–سيرة ذاتية (ص:٥٧)

(٤) انظر: بديع الزمان سعيد النورسي نظرة عامة عن حياته وآثاره (ص:٢٠٢).

اعتقادات الصوفية، والله يتولىٰ أمره.

ومع طلبه للعلم من أمهات الكتب وسرعة تحصيله، مع الفهم التام لما فيها، إلا أن المسحة الصوفية ظاهرة علىٰ سلوكه، فقد كان يقضي معظم وقته في ضريح أحمد الخاني[١] القابع في تركيا وخاصة في الليالي، وكان أهل الخرافة يقولون: إن النورسي حظي بفيض الخاني، ويسندون ما يحصل له إلىٰ كرامة الشيخ، وغير تلك الأمور التي لم يدل عليها كتاب الله، ولا سنة رسوله -صلىٰ الله عليه وسلم-، بل شطحة من شطحات المتصوفة، وبعد عن الطريق المستقيم، والنهج القويم[٢].

كان النورسي ممن تصدىٰ للدعوات العلمانية، وبين خطأهم في كثير من مرافعاته، وخطبه، فكان له موقف بارز إزاء تلك الأطروحات التغريبية[٣].

تلقىٰ العلوم الإسلامية من كتبها المعتبرة، وكان له قوة حافظة اعترف بها من حوله، فحفظ ودرس كتاب: "جمع الجوامع" في أصول الفقه في أسبوع واحد، وحفظ القاموس المحيط إلىٰ باب السين[٤].

انكب بعد ذلك علىٰ دراسة الرياضيات والفلك والكيمياء والفيزياء والجيلوجيا والفلسفة والتاريخ، وتعمق فيها إلىٰ درجة التأليف.

وقد تعرض النورسي لعدة محاكمات عسكرية، بل إنه قُدّم إلىٰ أعواد المشانق

(١) **أحمد خاني**، كاتب وشاعر ومتصوف كردي، متقن للغات عدة غير التركية، ومنها: العربية، والفارسية، من مؤلفاته الملحمة التي تجاوزت الألفين بيتًا: مم وزين، توفي في مسقط رأسه بايزيد في تركيا سنة:١١١٨هـ..
انظر: أحمدي خاني، للدكتور: عز الدين مصطفىٰ رسول، ومجلة المدىٰ الثقافي، مقالة بعنوان: أحمدي الخاني، للكاتب: باسم حمدي، العدد(١٣٠٨)، الخميس ٢٨ آب ٢٠٠٨.

(٢) انظر: بديع الزمان سعيد النورسي نظرة عامة عن حياته وآثاره (ص:٦٣)

(٣) انظر: بديع الزمان النورسي-فكره ودعوته، وقائع الحلقة الدراسية المنعقدة في المركز الثقافي الإسلامي في عمان يوم الخميس ٧ صفر ١٤١٨هـ. (ص:١٣١)

(٤) المصدر السابق (ص:٢١)

في حادثة محاولة جمعية الاتحاد والترقي الانقلاب علىٰ السلطان عبدالحميد، مع أن دور النورسي فيها كان دور التهدئة، ونُصْح الثوار إلىٰ العودة إلىٰ منازلهم؛ فلذا خرج منها النورسي ببراءة المحكمة له[1].

وقبيل الحرب العالمية الأولىٰ أصبح النورسي عضوًا في مؤسسة سياسية عسكرية وأمنية شُكّلت بأمر السلطان للمحافظة علىٰ وحدة أراضي الدولة، مع أنه في آخر حياته اعتزل السياسة، وكان شعاره: "أعوذ بالله من الشيطان والسياسة"، وأخذ النورسية من بعده هذا الشعار منهجًا ونظامًا.

(١) انظر: بديع الزمان سعيد النورسي نظرة عامة عن حياته وآثاره (ص:٣٢)

المطلب الثالث: اهتمامه بقضايا إعجاز القرآن

وكان للنورسي اهتمامٌ بالغ بقضايا إعجاز القرآن، وكان قد رأىٰ رؤيا منامية وفيها شخص يأمره :"أنْ بيّن إعجاز القرآن"[١]، ومن هنا انطلق النورسي في بيان هذه القضية وجعلها من أهم اهتماماته، وكثرت مؤلفاته في هذا الموضوع كما سيورده البحث في المطلب التالي، كرسالة المعجزات القرآنية ضمن كتاب الكلمات، ورسالة المعجزات الأحمدية ضمن كتاب المكتوبات، ورسالة الآية الكبرىٰ ضمن كتاب الشعاعات.

وقد نُشِرَ في الصحف المحلية -إبان حياة النورسي- أن وزير المستعمرات البريطاني قد صرح في مجلس العموم البريطاني وهو يخاطب النواب قائلا: **"مادام القرآن بيد المسلمين فلن نستطيع أن نحكمهم، فلذلك لا مناص لنا من أن نزيله من الوجود أو نقطع صلة المسلمين به "**، فأقض هذا الخبر مضجع النورسي، وأعلن لمن حوله: **"لأبرهنن للعالم بأن القرآن شمس معنوية لا يخبوا سناها ولا يمكن إطفاء نورها"**[٢].

ولعل هذا المنحىٰ هو الذي جعل النورسي يُخرج **المصحف التوافقي** بطريقة مبتكرة في صف الكلمات وتلوينها ليُظْهر شيئًا مما انداح في ذهنه من الإعجاز، وهذا الموضوع هو أصل مناقشة البحث -بإذن الله-.

وهناك وجوه من الإعجاز ذكرها العلماء قبل النورسي إلا أنه -وبحسب الدارسين لحياة النورسي العلمي- أضاف فيها وزاد:

١-الإعجاز البلاغي في نظم القرآن، فقد تأثر النورسي بنظرية الجرجاني في النظم، وطبقها في تفسيره: "إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز".

(١) كليات رسائل النور سيرة ذاتية-(ص:١٣٩)

(٢) بديع الزمان النورسي-فكره ودعوته، وقائع الحلقة الدراسية المنعقدة في المركز الثقافي الإسلامي في عمان يوم الخميس ٧ صفر ١٤١٨هـ. (ص:٢٢)

٢-الإعجاز التشريعي: فقد بين النورسي أن الشريعة جاءت من الأبد لتبقىٰ، وأنها صالحة لكل زمان ومكان، وأثبت بالأدلة القطعية تفوّق القوانين الإسلامية، علىٰ القوانين الوضعية الفلسفية والأوربية.

وهناك أوجه من الإعجاز ابتكرها النورسي ولم يذكرها أحد قبل-بحسب رأي الدارسين لحياته العلمية-:

١-إعجاز في خطاب القرآن، فقد بين النورسي أن القرآن توجه بخطابه إلىٰ أربعين طبقة مختلفة من طبقات الناس: الفقهاء، والأصوليين، وعلماء التاريخ، والاجتماع، ولعامة الناس وغيرهم.

٢-الإعجاز في التوافق والتناسب في طريقة كتابة المصحف، ويرىٰ من تكلم عن النورسي في ذلك: أنها طريقة عجيبة لم يُسبق إليها النورسي مُطلقًا[(١)].

وهذا الأخير هو محل دراسة هذه الورقات، والنظر في مدىٰ صحة ما ذهب إليه النورسي في هذا المقام.

٣-الإعجاز في التناسق العددي، إلا أن ما أورده النورسي في هذا الباب لم يسلم من الاعتراض والمناقشة والتتبع، بما يثبت عدم دقة الأرقام المذكورة فيه [(٢)].

---

(١) بديع الزمان النورسي-فكره ودعوته، وقائع الحلقة الدراسية المنعقدة في المركز الثقافي الإسلامي في عمان يوم الخميس ٧ صفر ١٤١٨هـ. (ص:٦٨-٦٩)

(٢) المرجع السابق (ص:٧٩).

وقد كثر الكلام في الإعجاز العددي في القرآن، وهل يقال إنه من أنواع الإعجاز، أم لا؟ ودخل في ثنايا هذا الخلاف مبالغات لا يشك في تكلفها وتمحلها.

والمنكرون لوجود الإعجاز العددي في القرآن استدلوا علىٰ قولهم بحجج -يراها الباحث قوية ناهضة-، منها: أن هذا النوع من الإعجاز لم يكن معهودًا عند الصحابة-رضي الله عنهم- مع أنّ العد والحساب كان معروفًا في زمانهم، ولا يصح أن يعترض المعترض بأن الإعجاز العلمي لم يكن موجودًا في زمانهم؛ لأن العلوم التجريبية لم تكن في آلتهم ذلك الوقت، كما أن الإعجاز العلمي في ذاته له ضوابط وقيود عبث فيها كثير من المعاصرين. ومن الحجج كذلك: اختلاف عدّ الآي عند العلماء، واختلاف مصاحف الصحابة-رضي الله عنهم- إذ ليس كل المصاحف اتفقت في الخط والكتابة؛ لتنوع قراءات الأمصار.

=

المطلب الرابع: وفاته وتركته العلمية

نشأ النورسي في عائلة صوفية، وقد نسب نفسه للقادرية، ومع ذلك ملأ حياته بطلب العلم، والتأليف في قضاياه المصيرية، إلىٰ أن كانت وفاته في رمضان عام ١٣٧٩هـ، بعد أن ترك موسوعة ضخمة من الرسائل والإصلاحات التي كان يدعو ويناضل عنها، ومن ذلك:

-صقيل الإسلام، ويشتمل علىٰ عدة رسائل، منها: محاكمات عقلية في التفسير والبلاغة والعقيدة، والسانحات، والمناظرات، والمحكمة العسكرية العرفية، والخطبة الشامية.

-إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز.

-المكتوبات.

-اللمعات.

-الشعاعات.

-الكلمات.

-الخطبة الشامية.

-قطرة من بحر التوحيد وذيل القطرة.

-ذرة من شعاع هداية القرآن.

-زهرة من رياض القرآن الحكيم.

-شعلة من أنوار شمس القرآن.

-مناظرات.

= انظر للاستزادة ومعرفة الآراء: **المعجزة القرآنية**، للدكتور: محمد حسن هيتو، (ص:٢٩٤)، ومجموع ما كتبه مؤلفا: **وجوه من الإعجاز القرآني**، لمصطفىٰ الدباغ، **ومعجزة القرآن الكريم**، لرشاد خليفة.

-دواء اليأس.

-تشخيص العلة.

-خطوات ستة.

-محاكمات.

-الملاحق في فقه الدعوة.

أما عن **كليات رسائل النور** فهو كتاب يجمع مؤلفات النورسي، ما ألفه في أول حياته وآخرها، وقد أضيف إليها كتاب آخر من تأليف إحسان الصالحي، باسم: **السيرة الذاتية**، وهي سيرة شاملة لحياة النورسي، وفيها تفصيلات دقيقة، ومقولات نادرة.

ومن المهم أن يقال:

إن نظرة النورسي لما كتبه في رسائل النور كانت محفوفة بالمبالغات والغلو، فكان يرىٰ أن كتاباته فيها إلهامات إلاهية[1]، بل زعم أنها لا يمكن أن تنطفئ؛ لأن صاحبها هو الله[2]، وأنها كرامة من كرامات معجزات الرسول-صلىٰ الله عليه وسلم-[3]، ويرىٰ أن الطبيعة تغضب متىٰ ما هوجمت رسائلُه، وأن البرد يشتد لأجل ذلك[4]، بل والأرض تتزلزل حقيقة لأجل ما عاناه من الظلم[5]...

إلىٰ غير تلك التصورات النادة عن جادة الوسطية.

والأبعد من ذلك أن تلاميذه بعد وفاته كانوا أشد مبالغة في أخذ هذه الرسائل من صاحب الرسائل نفسه.

(١) انظر: الشعاعات (ص:٥٤٢).

(٢) انظر: المكتوبات (ص:٦٠١).

(٣) انظر: المرجع السابق (ص:١١١).

(٤) انظر: الشعاعات (ص:٦٢٧).

(٥) انظر: المرجع السابق (ص:٤٩٨).

المبحث الثاني
الدراسة الوصفية النقدية

المطلب الأول: الدراسة الوصفية لطريقة كتابة المصحف المسمى بـ: المصحف التوافقي.

يرىٰ المؤيدون لما ابتكره النورسي في طريقة كتابة المصحف أنها من أنواع الإعجاز القرآني الذي لم يكتشف إلا لما جاء النورسي فيقولون: **"إن أول من لفت الانتباه إلىٰ الإعجاز في ترتيب المصحف الشريف ليس في صفحاته فحسب بل في حروفه أيضًا هو الأستاذ سعيد النورسي"**[(١)].

ولعل الدافع من وراء هذا الذي قيل عنه إنه إعجاز سببان:

١-اندفاع النورسي إلىٰ معرفة إعجاز القرآن، كما بيّن البحث ذلك سابقًا[(٢)].

٢- رغبته الجامحة في ردّ الناس إلىٰ الإيمان، وترغيبهم بالقرآن، في وقت انحدر فيه الفرد في تفكيره ومحاكماته العقلية، والذي أضحىٰ يشكِّك في كل شيءٍ ويشتبه فيه بسبب مصيبة الفلسفة المادية، فهو يخاطب -بطريقته المبتكرة لكتابة المصحف- أولئك الأشخاص الذين ينظرون بعيونهم فقط، ولا يوجهون عقولهم وأفكارهم وقلوبهم إلىٰ حقائق القرآن، ويقول مؤيدو هذه الفكرة وأثرها في قلوب هذه النوعية من البشر: **"إذا رأىٰ واحد من هذه الطبقة نقش خطه وأسلوب كتابته فإنه سيقول حتمًا إنَّ هذا ليس من**

---

(١) الموقع الرسمي لرسائل النور عبر الشبكة العنكبوتية. http://www.rasaelalnour.com/archives/56.

(٢) (ص:١٢)، وتفاصيل ذلك ما قاله النورسي عن نفسه: **"قبل اندلاع الحرب العالمية الأولىٰ، وإبّان نشوبها رأيت رؤيا صادقة ما يأتي: رأيت نفسي تحت جبل أرارات، وإذا بالجبل ينفلق انفلاقًا هائلاً، فيقذف صخورًا عظيمة، كالجبال إلىٰ أنحاء الأرض كافة، وأنا في هذه الرهبة التي غشيتني رأيت والدتي بقربي، قلت لها: لا تخافي يا أماه، إنه أمر الله، إنه رحيم، إنه حكيم، وإذا أنا بتلك الحالة إذا بشخص عظيم يأمرني قائلاً: بيّن إعجاز القرآن"**
كليات رسائل النور-سيرة ذاتية (ص:١٣٩).

بناتِ أفكار البشر، وهم يقولون هذا فعلاً وله شواهد كثيرة"[1].

أما عن طريقة كتابة هذا المصحف:

فقام النورسي بإعطاء كلَّ واحدٍ من عشرة من طلابه ثلاثة أجزاء من القرآن من أجل تحقيق ما يريد في كتابة المصحف التوافقي، وأوصاهم أثناء القيام بهذا العمل أن يتَّخذوا –مقياسًا لهم– المصحفَ الذي كتبه الخطاط حافظ عثمان؛ والذي تبدأ كل صفحة فيه بآية وتنتهي بآية، فتقدَّم لكتابة مصحف التوافقات كلّ من:

أحمد خُسْرَوْ أَفَنْدِي وهو من أقرب الطّلاب إلىٰ النورسي[2]، والحافظ عليٌّ، والأستاذ خَالِد، والمعلِّم غالب، وَالأستاذ صبري، والحافظ زهدي، وحَقّي الطِّغْلِي، والحافظ تَوْفِيق الشَّامِيُّ، وكلّ واحد من هؤلاء إمّا حافظ للقرآن، وإمّا أستاذ، وإمّا معلِّم في الخطّ العربيِّ. وسلّموا الأجزاء لأستاذهم بعدما كتبوها.

فقام النورسي ببيان النتيجة بعد تدقيق طويل، ورأىٰ أن التوافق، والفكرة التي أرادها، ظهرت في أسلوب تلميذه أَحمَد خُسْرَوْ أَفَنْدِي.

أما عن ملخص فكرة ما يُسمّىٰ بالمصحف التوافقي–عند مروجيه–:

أن لفظ الجلالة تكرَّرت في المصحف ألفين وثمانمئة وست مرات (٢٨٠٦)، وكل مرة من هذا التكرار تتوافق بشكل بديع في هذا المصحف مع غيرها من ألفاظ الجلالة الأخرىٰ، فإما أنْ تأتي تحت بعضها البعض في صفحة واحدة، وإما تأتي وجهًا لوجه في صفحات متقابلة، وإما في ظهر بعضها البعض في صفحات أخرىٰ، وتم إبراز

(١) الموقع الرسمي لرسائل النور عبر الشبكة العنكبوتية. http://www.rasaelalnour.com/archives/56.

(٢) من أقرب تلاميذ النورسي، وكان مستشارا له طوال حياته، وكان يشرف بنفسه علىٰ نشر رسائل النور بخط اليد وبآلة الطباعة، وأصبح خليفة للأستاذ النورسي بعد وفاة الإمام النورسي، توفي عام ١٣٩٧هـ.

انظر: الموقع الرسمي لرسائل النور عبر الشبكة العنكبوتية. http://www.rasaelalnour.com/archives/56.

ذلك التوافق بتلوين لفظ الجلالة باللون الأحمر.

ويرىٰ مؤيدو هذه الفكرة: أنه لا يقتصر التوافق علىٰ لفظ الجلالة "الله" فحسب، بل إنه يمتدُّ ليشمل أنواعًا عدة:

الكلمات التي تحمل نفس المعنىٰ أو التي أصولها واحدة:

-تأتي هذه الكلمات تحت بعضها في الصفحة الواحدة.

-أو تأتي مقابل بعضها في الصفحات المتقابلة.

-أو تأتي ظهر بعضها البعض في الصفحات الأخرىٰ.

في الصورتين أسفل شيء من التوضيح والبيان لما مرّ.

المطلب الثاني
الدراسة النقدية لطريقة كتابة المصحف المسمى بـ: المصحف التوافقي، والغاية منها

وبعد توصيف هذه الطريقة التي كتب بها المصحف يُلحظ أن عليه إشكالات ومخالفات عدة، فيقال:

أولاً: قامت فكرة ما يسمىٰ بالمصحف التوافقي علىٰ أنّ طريقة كتابته من أنواع الإعجاز الذي جاء به القرآن، ولو كان كذلك لفعله الصحابة-رضي الله عنهم-.

وقضية الإعجاز في القرآن قضية توسع فيها كثير من الناس، حتىٰ أُدخل فيها ما ليس منها، وحتىٰ نعرف مدىٰ هذا التوسع نحتاج إلىٰ أن نقرر ما قرره أهل العلم في ضوابط الأمر المعجز، فقد ذكر القرطبي ضوابط وشروطًا لا يصح من دونها الحادث أن يُسمّىٰ معجزةً وهىٰ:-

١- ينبغي أن يكون هذا الحادث مما لا يستطيعه إلا الله.

٢- أن يخرج علىٰ قوانين الطبيعة.

٣- ينبغي أن ينبئ عنه الحكيم قبل أن يقع بأن كذا وكذا سيحصل.

٤- ويجب أن يكون الحادث الواقع موافقا لما قال مِنْ قبل.

٥- وألا يكون في استطاعة أحد أن يجري مثل هذا الأمر[1].

والواضح أن ليس شرطًا من الشروط قد توافق مع مزاعم من ادعىٰ أن المصحف التوافقي فيه إظهار لنوع من أنواع إعجاز القرآن، فالذي قام بطريقة كتابته هم البشر، حتىٰ أخرجوه بهذا الشكل المتوافق، وليس ما كتبوه خارج عن قوانين الطبيعة، ولكل أحد أن يكتب القرآن كما كتبوا وربما بطريقة أفضل هندسة وتوافقًا.

ثانيًا: أن ما فعله النورسي، ومبالغةَ أصحابه وأتباعه في صنيع هذا المصحف

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (١/ ٧٠).

يؤسس في الأذهان مع تقادم العهد أن مثل هذا الفعل مما دلت عليه الشريعة، وله أصل يقوم عليه، بينما هو مفلس من ذلك، فيترتب على ذلك:

أ- قيام المبتكرات بعده تلو المبتكرات في كتابة ما يُظنّ أنه من الإعجاز، والأمر ليس كذلك، ثم يسري ذلك في الأمة سراية السنة المحمدية، وهو أبعد ما يكون عنها، وقد قال الرسول ﷺ: " **وَمَنْ سَنَّ فِي الإِسْلاَمِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ**"[(١)]، ويصدُق في الناس يومئذٍ قولُ ابن مسعود-رضي الله عنه- (ت:٣٢): "كيف أنتم إذا لبستكم فتنة؟! يربو فيها الصغير، ويهرم فيها الكبير، ويتخذها الناس سنة، فإن غُيِّر منها شيء قيل: غيرت السّنة. قالوا: متىٰ يكون ذلك يا أبا عبد الرحمن ؟ قال: إذا كثرت قراؤكم، وقلت أمناؤكم، وكثرت أمراؤكم، وقلت فقهاؤكم، والتمست الدنيا بعمل الآخرة"[(٢)].

ب- لا تسأل بعد ذلك كيف ينعكس الأمر علىٰ السنة، ويصبح باب القرآن بابًا للعب واللهو، خصوصًا مع ضعف العلم، وقلة الوازع الديني، وكثرة الدجاجلة الذين لا هم لهم إلا المال، فيُتخذ القرآن بيعًا وشراءً لغرض دنيوي بحت، بعيد عن سبيل المؤمنين، والله-تعالىٰ بحمده- يقول: ﴿ وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا ﴾ (سورة البقرة-آية:٢٣١).

ت- إغلاق هذا الباب فيه سد للذريعة المفضية إلىٰ عواقب غير حميدة، فيحمل هذا أهلَ الباطل علىٰ كتابة وهندسة ما يروج لعقائدهم الباطنية المنحرفة،

(١) أخرجه مسلم في كتاب: الزكاة، في باب: الحث علىٰ الصدقة، ولو بشق تمرة، أو كلمة طيبة، وأنها حجاب من النار، ورقم (٢٣٥١)، عن جرير بن عبدالله-رضي الله عنه-.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، في كتاب: الفتن، باب: من كره الفتنة وتعوذ منها، ورقم (٣٧١٥)، والدارمي في سننه، في باب: تغير الزمان وما يحدث فيه، برقم(١٨٥) - (١/ ٧٥)، والبيهقي في شعب الإيمان، برقم (٦٩٥١)-(٥/ ٣٦١).

وكل يدعي أن هذا موصول الوحي، وإلهام رباني.

قال الشاطبي (ت:٧٥٠): "النظر في مآلات الأفعال معتبرٌ مقصودٌ شرعًا، كانت الأفعال موافقةً أو مخالفةً؛ وذلك أن المجتهد لا يحكم علىٰ فعل من الأفعال الصادرة عن المكلفين بالإقدام أو بالإحجام إلا بعد نظره إلىٰ ما يؤول إليه ذلك الفعل مشروعًا، لمصلحة فيه تُستجلب، أو لمفسدة تدرأ، ولكن له مآل علىٰ خلاف ما قصد فيه، وقد يكون غير مشروع لمفسدة تنشأ عنه أو مصلحة تندفع به"[١].

ثالثًا: امتاز المصحف التوافقي بتلوين بعض الكلمات باللون الأحمر، والتلوين لبعض كلمات المصحف بلون خاص أمر حادث، ليس عليه أمر السلف، وذهب إلىٰ المنع من ذلك اللجنة الدائمة في ظاهر قولها[٢]، ومحمد بن إبراهيم آل الشيخ (ت:١٣٨٩)[٣]، وابن باز (ت:١٤٢٠)[٤]، وهو منصوص الدكتور صالح الفوزان إذ قال: **"تغيير مداد بعض الحروف، فبعضها أسود وبعضها أحمر إشارة إلىٰ أحكام التجويد... هذا عمل مبتدع"**[٥]

فهذا التخصيص بالألوان في مصحف النورسي ليس من هدي سنن سيد المرسلين، ولا جاء عن الصحابة ولا التابعين، وكان حذيفة بن اليمان (ت:٣٦) رضي الله عنه يدخل المسجد فيقف علىٰ الحِلَق فيقول: **"يا معشر القراء اسلكوا الطريق، فلئن سلكتموها لقد سبقتم سبقًا بعيدًا، ولئن أخذتم يمينًا وشمالاً لقد ضللتم**

(١) الموافقات (٤/ ١٩٤).

(٢) انظر: فتاوىٰ اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء – المجموعة الثانية – (٣/ ٥٣-٥٤).

(٣) انظر: فتاوىٰ ورسائل محمد بن إبراهيم آل الشيخ (٨/ ١٢١).

(٤) انظر: فتاوىٰ نور علىٰ الدرب، للشيخ عبدالعزيز ابن باز من موقعه:http://www.binbaz.org.sa/mat/ .

(٥) مقال للشيخ بعنوان: تجب حماية المصحف من تدخلات بعض الناشرين، نشر بتاريخ: ٨ / ٨ / ١٤٣٢ للهجرة، من موقع الشيخ: http://www.alfawzan.af.org.sa/node/ .

ضلالاً بعيدًا"[١].

رابعًا: كما أن ما انداح في فكر النورسي من ابتكار شيء من الإعجاز كما هو مزعوم في طريقة كتابة المصحف التوافقي هو في الحقيقة من التكلف، والله أمر عباده بالبعد عن التكلّف، فقال - تعالىٰ -: ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾ (سورة ص - آية: ٨٦)، وعن عمر ﷺ (ت:٢٣) قال: " نهينا عن التكلف"[٢].

خامسًا: أن هذه الهندسة في كتابة القرآن أشبهت عبث الأدباء في الشعر مما ينزه عنه القرآن، وقد وُجِدت مثل هذه المحاولات في الأدب العربي.

ومنها: تلك الأبيات التي تُقرأ طردًا وعكسًا، ولا يتغير شيء من لفظها ولا من معناها[٣]، وسمّاه الحريري (ت:٥١٦)[٤] في المقامات: ما لا يستحيل بالانعكاس[٥]، وبنَىٰ عليه المقامة السادسة عشرة، ووضع أمثلة نثرًا ونظمًا، وقال الطاهر بن عاشور (ت:١٣٩٣) عنها: "وفي معظم ما وضعه من الأمثلة تكلّف وتنافر وغرابة، وكلما زادت طولاً زادت ثقلاً"[٦].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الاعتصام بالكتاب والسنة، في باب: الاقتداء بسنن رسول الله -صلىٰ الله عليه وسلم-، ورقم (٧٢٨٢).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: الاعتصام بالكتاب والسنة، في باب: ما يكره من كثرة السؤال وتكلف ما لا يعنيه، ورقم (٧٢٩٣).

(٣) وهو أن يكون الكلام بحيث إذا قلبته وابتدأت من حرفه الأخير إلىٰ الحرف الأول كان الحاصل بعينه هو هذا الكلام. انظر: الإيضاح في علوم البلاغة، لمحمد بن عبدالرحمن المعروف بالخطيب القزويني (ص:٣٦٦)، وأبجد العلوم، لصديق بن حسن القنوجي (٢/ ٥١٦).

(٤) أبو محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريري، صاحب المقامات، أحد الأئمة في الأدب والنظم رزق الحظوة التامة في المقامات. له: ملحة الإعراب، وشرحها، ودرة الغواص في أوهام الخواص.
انظر: الوافي بالوفيات، لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (٢٤/ ٩٧)، والبلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، لمحمد بن يعقوب الفيروزأبادي (ص:١٧٣).

(٥) انظر: خزانة الأدب وغاية الأرب، لأبي بكر علي، المعروف بابن حجة الحموي (٢/ ٣٦).

(٦) التحرير والتنوير للشيخ محمد الطاهر بن عاشور (١/ ٦٤) بتصرف يسير.

ومن ذلك قوله:

أس أرملا إذا عرا وارع إذا المر أسا[1]

وفي بيته نوع تكلف وهو حذف همزة (المرء) في القلب، وحين يُدرس الأدبُ تاريخًا ونقدًا وبلاغة، فإنهم لا يقفون علىٰ مثل هذه الأبيات، ولا يُعدُّ من انقطع وأفنىٰ وقته في تركيبها شاعرًا مجيدًا، بل إن هذا ضرب من ضروب النظم.

وكلّ ذلك يذكِّر بعصر الانحدار، الذي ضَعُف فيه الشعر، وقلّ المجيدون علىٰ بحره، وانشغل كثيرٌ من الشعراء عن قوة بلاغة الأولين، إلىٰ التكلف والهندسة في البيت الشعري، وظهر الإسراف الممقوت في استجلاب المحسنات البديعية، حتىٰ وَصَم بعض المعاصرين ذلك العصر: بعصر الانحطاط[2].

ومن ذلك قولُ الشاعر الغَزِّي (ت:٥٣٤)[3]، وقد قَصَد أن لا تخلو كلمةٌ من

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب، لأحمد النويري (٧/ ١٤٢).

(٢) وصم مالك بن نبي عصر ما بعد الموحدين بعصر الانحطاط، وعدّ العهدين المملوكي والعثماني من عهود الانحطاط، وأبرز مظاهر الانحطاط في رأيه: جمود العقول، وقلّة الإبداع العلمي، والتكرار، والاجترار في الإنتاج العلمي،... إلخ، وقد وذهب بعض الباحثين أنه وعند التدقيق لا يُجزم القول بأنّ هناك عصر انحطاط في المجال العقلي؛ لأنه كلام غير دقيق؛ ولأن الاطلاع الأوليّ علىٰ تلك المرحلة يفاجئنا بأسماء لامعة ذات عقلية فذة من مثل: ابن تيمية، وابن خلدون، وابن حجر العسقلاني، والذهبي، والشاطبي... إلخ، بل الأولىٰ أن يقال: هناك عصر ضعف، وهناك أمة ضعيفة، وهي ليست أمة منحطة؛ إذ يعني الانحطاط: الموت وعدم الفاعلية العقلية والاجتماعية، وهذا لا ينطبق علىٰ أمتنا ولا شك أن ما سُمّي بعصر الانحطاط ليس هو ذاك العصر وليس هو ذاك الانحطاط، بل الانحطاط الفعلي ما نعيشه خلال العقود الأخيرة من تَسَيُّد اللغة الشعبية المنحطة علىٰ حساب اللغة الأصيلة الفصحىٰ وليس في الأفق ما يدل علىٰ وجود أو بزوغ نهضة.
انظر: وجهة العالم الإسلامي، لمالك بن نبي (ص:٣٦-٣٧)، ومقالة للكاتب: محمد بن أحمد الحساني، من صحيفة عكاظ، العدد (٤٢٩٣)، وتاريخ ٧/ ٥/ ١٤٣٤ للهجرة.

(٣) هو: إبراهيم بن عثمان بن محمد الكلبي، ثم الأشهبي المعروف بالغزي، مولده غزة الشام، وانتقل إلىٰ العراق وإلىٰ خراسان ... وغيرها. انظر: خريدة القصر وجريدة العصر، لأبي عبد الله عماد الدين الأصفهاني الكاتب (٨/ ٣)، وشذرات الذهب، لعبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي (٤/ ٦٧).

(صاد) وكلمة من (سين)، وفي الأبيات تعسف، فقال:

تُصْغي لتستمع اصطِخا بَ لسانه الصُّمُّ السَّـوادِرْ

وَصَل السَّجاحَة بالصَّبا حِة سالبٌ بالصوتِ ساحِرْ

كذلك القول فيما سُمِّي بالمصحف التوافقي، فإن مظاهر التكلف طاغية عليه، وضياعًا للأعمار بشيء لو أراد أحدهم أن يجعل مثله في كتابات البشر لفعله، بل في التوراة والإنجيل لفعله.

فحاصل القول:

أن تُكيّف المسألة بردها إلىٰ الكتاب والسنة، الناهيان عن الإحداث في الدين، إذ قال النبي ﷺ: « **من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد** »[1].

وإن هذا المنهج المخترع: لا يعْدو أن يكون من معابثات العصر، ونوع من أنواع الترف الخطي الكتابي، ولا ينبغي أن يكون من الإعجاز في شيء، بل ويحرم أن ينسب هذا الصنيع لإعجاز القرآن، وينبغي صيانة القرآن عنه، للأسباب التي ذُكرت.

والله – تعالىٰ – أعلم.

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الصلح، في باب: إذا اصطلحوا علىٰ صلح جور فالصلح مردود، ورقم (٢٦٩٧)، ومسلم في كتاب: الأقضية، في باب: نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور، ورقم (٤٤٩٢)، عن عائشة –رضي الله عنها–.

الخاتمة

وبعد هذا التطواف عرضًا ووصفًا ونقدًا علىٰ الطريقة التي كتب بها ما يسمىٰ بالمصحف التوافقي، يجدر بالبحث أن يقدم عصارته، ويختزل الغرض من إيراده وكتابته، فيقال بعد ذلك:

أهم النتائج:

١- ولد النورسي في بيئة صوفية، وانشغل بما يراه يقوم الأمة من دعوتها للإيمان، والعودة إلىٰ الله في ظل ظهور الدعوات العلمانية، مع ما هو عليه من ملاحظات عقدية.

٢- اندفاع النورسي إلىٰ معرفة إعجاز القرآن، ورغبته الجامحة في ردّ الناس إلىٰ الإيمان، وترغيبهم بالقرآن، في وقت انحدر فيه الفرد في تفكيره ومحاكماته العقلية، جعله يقدم علىٰ ابتكار هذه الطريقة التي كُتب بها المصحف التوافقي.

٣- وقع النورسي إثر ذلك في أخطاء منها: دخوله فيما يسمىٰ بالإعجاز العددي، وانتقد علىٰ تكلفه في هذا الباب.

٤- يرىٰ المؤيدون لما ابتكره النورسي في طريقة كتابة المصحف التوافقي أنها طريقة من أنواع الإعجاز القرآني الذي لم يكتشف إلا لما جاء النورسي.

٥- يرىٰ البحث أن قضية الإعجاز لما كانت مقيدة بشروطها وضوابطها التي وضعها أهل العلم كانت الفكرة التي قامت عليها كتابة المصحف التوافقي أبعد ما تكون عن الإعجاز، والإيمان بأنها من أنواع الإعجاز له مآلات وعواقب تعود علىٰ الإسلام بالنقص لا التكميل والتحسين.

أهم التوصيات:

تكثيف الجهود من قبل المؤسسات المعنية بالقرآن وعلومه، والمتخصصة في دراسته بنشر الضوابط العامة التي يقوم عليها الإعجاز، وإيصال ذلك لجميع الفئات،

وأن يتناول موضوع الإعجاز مجردًا عن العواطف، بل بما يملي عليه الشرع الحنيف المستقىٰ من السلف الصالح.

وبهذا يطوىٰ البحث، وينتهي الدرس، والحمد لله أولا وأخيرا، وبكرة وأصيلا، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد، وعلىٰ آله وصحبه ومن تعبد تسليمًا كثيرًا.

❊ ❊ ❊

المصادر والمراجع

١. **أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم**، لصديق بن حسن القنوجي (ت:١٣٠٧)، تحقيق: عبد الجبار زكار، دار الكتب العلمية - بيروت - ١٩٧٨م.

٢. **أحمدي خاني**، للدكتور: عز الدين مصطفىٰ رسول، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٧٩م.

٣. **الانقلاب العثماني**، لجرجي زيدان، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، ٢٠١٢م.

٤. **الإيضاح في علوم البلاغة**، لمحمد بن عبدالرحمن المعروف بالخطيب القزويني (ت:٩٣٧)، تحقيق: بهيج غزاوي، دار إحياء العلوم - بيروت - الطبعة: الرابعة،١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

٥. **بديع الزمان النورسي-فكره ودعوته**، وقائع الحلقة الدراسية المنعقدة في المركز الثقافي الإسلامي في عمان يوم الخميس ٧ صفر ١٤١٨هـ، الطبعة الأولىٰ-١٤١٨هـ المعهد العالمي للفكر الإسلامي-مكتب الأردن، مركز بحوث رسائل النور-تركيا.

٦. **بديع الزمان سعيد النورسي نظرة عامة عن حياته وآثاره**، لإحسان قاسم الصالحي، مطابع قشاق، استنبول، الطبعة الثالثة، ١٩٨٨م.

٧. **البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة**، لمحمد بن يعقوب الفيروزأبادي (ت:٨١٧)، تحقيق: الشيخ محمد المصري، جمعية إحياء التراث الإسلامي- الكويت، الطبعة: الأولىٰ- ١٤٠٧ هـ.

٨. **الجامع لأحكام القرآن**، لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة:

الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

٩. **الحركة اللامركزية العثمانية في المشرق العربي**، للحنان بنت عبيد الجدعاني، رسالة ماجستير مقدمة لقسم التاريخ الإسلامي الحديث، بجامعة أم القرىٰ، ١٤٢٨ه.

١٠. **خريدة القصر وجريدة العصر** قسم شعراء المغرب والأندلس، لأبي عبد الله عماد الدين الأصفهاني الكاتب (ت:٥٩٧)، تحقيق : محمد العروسي ، الجيلاني بن الحاج- المجمع العلمي العراقي - العراق - ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٥م.

١١. **خزانة الأدب وغاية الأرب**، لأبي بكر علي، المعروف بابن حجة الحموي (ت:٨٣٧)، تحقيق: عصام شقيو، دار ومكتبة الهلال - بيروت - الطبعة: الأولىٰ ١٩٨٧م.

١٢. **دراسات في التصوف**، لإحسان إلهي ظهير الباكستاني، دار الإمام المجدد للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

١٣. **الدولة العُثمانية عَوَامل النهُوض وأسباب السُّقوط**، لعَلي محمد محمد الصَّلاَّب، دار التوزيع والنشر الإسلامية، مصر، الطبعة الأولىٰ، ١٤٣١ه.

١٤. **رسم المصحف - دراسة لغوية تاريخية** - د. غانم بن قدوري الحمد، اللجنة الوطنية للاحتفال بمطلع القرن الخامس عشر، الطبعة الأولىٰ - ١٤٠٢-١٩٨٢م.

١٥. **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، لعبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي (ت:١٠٨٩)، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، ومحمود الأرناؤوط، دار بن كثير - دمشق، الطبعة: الأولىٰ ١٤٠٦هـ.

١٦. **الشعاعات**، لسعيد النورسي، ترجمه: إحسان قاسم الصالحي، شركة النسل-استانبول، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٣ه.

١٧. **الطريقة النقشبندية بين ماضيها وحاضرِها**، للشيخ فريد الدين آيدن، العبر للطباعة والنشر، استنبول/ ٢٠٠٨.

١٨. **فتاوىٰ اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء**، جمع وترتيب: أحمد بن عبدالرزاق الدرويش، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء ، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٦ – المجموعة الثانية.

١٩. **فتاوىٰ ورسائل محمد بن إبراهيم آل الشيخ**، سَماحة الشيخ محمَّد بن إبراهيم بن عَبداللطِيف آل الشيخ، مفتي المملكة ورَئيس القضاة والشؤون الإسلامية ـ طيَّبَ اللهُ ثراه، تحقيق: محمد بن عبدالرحمن بن قاسم ، الطبعة: الأولىٰ١٣٩٩، مطبعة مكة.

٢٠. **الفكر العقدي عند الإمام النورسي**، دراسة تحليلة، لرائد سعيد أحمد بني عبدالرحمن، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٦ه-٢٠٠٦.

٢١. **كليات رسائل النور سيرة ذاتية**- لسعيد النورسي، ترجمة وإعداد إحسان قاسم الصالحي، دار النيل للطباعة والنشر، الطبعة الثانية ١٤٣٢هـ- ٢٠١١م.

٢٢. **لسان العرب**، لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري (ت:٧١١)، دار صادر – بيروت، الطبعة: الأولىٰ.

٢٣. **مجلة المدىٰ الثقافي**، مقالة بعنوان: أحمدي الخاني، للكاتب: باسم حمدي، العدد(١٣٠٨)، الخميس ٢٨ آب ٢٠٠٨.

٢٤. **المعجزة القرآنية**، للدكتور: محمد حسن هيتو، مؤسسة الرسالة-بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٩هـ.

٢٥. **المكتوبات**، لسعيد النورسي، ترجمه: إحسان قاسم الصالحي، شركة النسل-استانبول، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٣ه.

٢٦. **الموافقات**، لإبراهيم بن موسىٰ الشاطبي الغرناطي المالكي (ت:٧٩٠)، تحقيق: عبد الله دراز، دار المعرفة - بيروت.

٢٧. **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة**، بإشراف وتخطيط ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤٢٠ هـ.

٢٨. **نهاية الأرب في فنون الأدب**، لأحمد بن عبد الوهاب النويري (ت: ٧٣٣)، تحقيق: مفيد قمحية ، دار الكتب العلمية - لبنان، الطبعة: الأولىٰ - ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.

٢٩. **الوافي بالوفيات**، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت:٧٦٤)، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفىٰ، دار إحياء التراث، بيروت - ١٤٢٠هـ.

❊ ❊ ❊

المظاهر الأسلوبية في سورة الإخلاص عند المفسرين

إعداد

د. إيمان بنت عبد اللّه بن عمر العمودي

أستاذ مساعد – قسم القرآن الكريم وعلومه

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

ملخص البحث

عنوان البحث:

المظاهر الأسلوبية في سورة الإخلاص عند المفسرين، وهو بحث يهدف إلىٰ جمع وعرض ودراسة المظاهر الأسلوبية في سورة الإخلاص كما ذكرها المفسرون في تفاسيرهم، مما يؤدي إلىٰ تلمس النواحي الإعجازية البيانية في السورة، وتدبر السورة في ضوء تذوق هذه المظاهر الأسلوبية وتعليلها ودلالاتها.

وقد سرت فيه وفق المنهج الاستقرائي الموضوعي، بذكر المظاهر الأسلوبية في كل آية من آيات السورة علىٰ حدة، ثم ذكر أقوال المفسرين فيها، مع تعليلها ودلالاتها كما وردت في كتب التفسير.

وقد أسفر البحث في نهايته إلىٰ نتائج عدة: كجمع السورة في أسلوبها إلىٰ إثبات كل كمال لله تعالىٰ، ونفي كل نقص عنه جل جلاله، وجمال مطلع السورة وتعليل الأمر فيها بالقول، وسبب ورود الصفة المشبهة: (أحد) عدولاً عن اسم الفاعل: (واحد)، وعلة تعريف صفة: (الصمد)رغم تنكير صفة: (أحد) قبلها، وعلة العدول عن الترتيب الفطري من نفي الولدية قبل الوالدية إلىٰ العكس، ودراسة العدول عن نفي اتخاذ الولد إلىٰ نفي الولادة مباشرة في هذه السورة خاصة، وجمال ختام السورة عطفًا علىٰ جمال مطلعها، وغير ذلك.

كما ختمت البحث بوصايا تضمنت أن يعتني الباحثون بالدراسات اللغوية والبلاغية القرآنية بربطها بالتفاسير، والوقوف علىٰ طريقة المفسرين في عرضها، والعناية بتعليل المظاهر الأسلوبية في القرآن الكريم في ضوء ما سطره المفسرون.

الكلمات المفتاحية:

سورة الإخلاص، المظاهر، الأسلوبية، المفسرين.

المقدمة

الحمد لله الواحد الأحد، الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، والصلاة والسلام علىٰ خير من صلىٰ وصام وعبد ووحد، وركع لربه وسجد، ومن لأمته نصح وأرشد، نبينا وسيدنا محمد، وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً مزيداً إلىٰ يوم الدين، ثم أما بعد:

فلازال بحر الأسلوب القرآني البليغ والذي أعجز ببيانه فصحاء العرب، وأساطين البلاغة، وأرباب اللغة، يأخذنا في أمواجه العباب من سورة إلىٰ سورة في القرآن الكريم فتحار في جماله العقول، وتعجب من دلالاته الألباب، فكيف إذا كان ذلك في سورة تعدل ثلث القرآن الكريم؟ جمعت من محاسن اللغة وجمال الأسلوب الشيء العظيم.

استخرت ثم عزمت أمري علىٰ الكتابة في هذا الموضوع، والذي وسمته بعنوان: (**المظاهر الأسلوبية في سورة الإخلاص عند المفسرين**).

ولا أدعي القول بأني استفضت فيه ووفيته حقه، ولكن حسبي من القلادة ما أحاط بالعنق[1]، ومن السوار ما أحاط بالمعصم، سائلة الله العلي القدير أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم إنه ولي ذلك والقادر عليه.

أهمية الموضوع وسبب اختياره:

أهمية البحث من أهمية السورة وفضلها العظيم وكيفية ربطها بالدراسة البيانية، وأما أسباب اختياره فتعود في جملتها إلىٰ الأسباب التالية:

١- حب هذه السورة العظيمة، والرغبة في اقتباس شيء من سناها بهذه الدراسة.

٢- الرغبة في إضافة الجديد - علىٰ تواضعه - والنزر اليسير للمكتبة القرآنية البيانية.

(١) انظر: "المستقصىٰ في أمثال العرب": (٢/ ٦٢/ رقم٢٣٢)، و"الحيوان": (٧/ ٢٣٧).

٣- الاستعانة بمثل هذا النوع من البحوث علىٰ تدبر القرآن الكريم.

أهداف البحث:

١ - الرغبة في المراس علىٰ سبر المظاهر الأسلوبية في القرآن الكريم من خلال سورة الإخلاص.

٢- الوقوف علىٰ المظاهر الأسلوبية ودلالاتها وتعليلها عند المفسرين في القرآن الكريم من خلال سورة الإخلاص.

٣- تلمس نواحي الإعجاز البياني في القرآن الكريم من خلال سورة الإخلاص.

الدراسات السابقة:

لم أجد - علىٰ تقصير مني - من أفرد سورة الإخلاص بدراسة أسلوبية من منظور المفسرين، واستقرأ استنباطاتهم الأسلوبية في هذه السورة خاصة، سوىٰ مؤلفات عامة لعديد من السور كالتفسير البياني للقرآن الكريم للدكتورة عائشة بنت الشاطئ، وكتاب: علىٰ طريق التفسير البياني للدكتور: فاضل السامرائي، وهناك ثمة بحوث تقارب هذا البحث أذكرها فيما يلي مع بيان الفروقات:

١ - سورة الإخلاص دراسة أسلوبية، للباحثة إيمان محمد أمين الكيلاني، وهو بحث منشور في المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، المجلد (٧)، العدد (٤).

وهو بحث عني برصد ظاهرة الانزياح خاصة، بينما عنيت هذه الدراسة بالمظاهر الأسلوبية في السورة سواء كانت من الانزياح - العدول - وغيره[١].

٢ - بحث: التفسير البلاغي لسورة الإخلاص والمعوذتين، د. عبد العزيز العمار، وهو بحث منشور في مجلة الجامعة الإسلامية عدد (١٤٤).

(١) العدول كما عرفه الأستاذ تمام حسان هو: (خروجٌ عن أصل، أو مخالفةٌ لقاعدة) وذلك في كتابه: "البيان في روائع القرآن": (٢/ ٧٧)، كما ذكر أن من مرادفاته: الانزياح، والانحراف، والالتفات وغير ذلك.

والفرق هو أن هذا البحث يدرس السور دراسة تفسيرية تحليلية مع عنايته بالجانب البلاغي، أما بحثي فيعنىٰ بتسليط الضوء علىٰ المظاهر الأسلوبية سواءً كانت في حيز البلاغة أو أكثر منه وكما نص عليها المفسرون وكما عللوا لها.

٣ - بحث: من بلاغة النظم في سورة الإخلاص مالك حسين الدسوقي، وهو بحث منشور في مجلة اللغة العربية بالقاهرة، التابعة لجامعة الأزهر:

وهي دراسة بلاغية بحتة، وأما التي بين أيدينا فهي دراسة أسلوبية من منظور المفسرين، والعناية بتعليل المظاهر الأسلوبية في السورة.

منهج البحث:

١ - اتبعت في هذا البحث المنهج الاستقرائي الموضوعي علىٰ النحو التالي:

- استقرأت التفاسير محل العناية بالأساليب في موضوع سورة الإخلاص.

- استنبطت من أقوال المفسرين المظاهر الأسلوبية.

- عنونت للمبحث بالأسلوبية في نص الآية.

- عنونت للمطلب تحت المبحث بالظاهرة الأسلوبية، ثم وضحت صورتها، ثم بينت دلالتها وتعليلها.

٢- عزو الآيات إلىٰ سورها وأرقامها في الحاشية.

٣- تخريج الأحاديث، فإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بذلك، وإلا خرجته من مظانه، وذكرت كلام أهل العلم في حكمهم عليه.

٤- عزو الأقوال إلىٰ قائليها بذكر اسم الكتاب والجزء والصفحة.

٥- الترجمة للأعلام غير المشهورين عند أول ورود لهم.

خطة البحث:

انتظم عقد هذا البحث في مقدمة، وتمهيد، وأربعة مباحث، وخاتمة، وفهارس:

• **المقدمة، وفيها**: أهمية الموضوع وسبب اختياره، وأهدافه، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، وخطته.

• **التمهيد، وفيه مطلبان:**

▪ المطلب الأول: التعريف بعنوان البحث.

▪ المطلب الثاني: التعريف بالسورة: نوعها وعدد آياتها، نزولها، تسميتها، موضوعها، وفضلها.

• **المبحث الأول: المظاهر الأسلوبية في قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، وتحته أربعة مطالب:**

▪ المطلب الأول: أسلوب ذكر كل من قوله: ﴿قُلْ﴾، و﴿هُوَ﴾.

▪ المطلب الثاني: أسلوب إطلاق الأمر بقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ﴾، دون تقييده بالمقول لهم.

▪ المطلب الثالث: أسلوب العدول عن اسم الفاعل (واحد) إلىٰ الصفة ﴿أَحَدٌ﴾.

▪ المطلب الرابع: أسلوب تنكير الصفة المشبهة ﴿أَحَدٌ﴾ وعدم تعريفها.

• **المبحث الثاني: المظاهر الأسلوبية في قوله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾، وتحته ستة مطالب:**

▪ المطلب الأول: أسلوب تكرار اسمه تبارك وتعالىٰ ﴿ٱللَّهُ﴾.

▪ المطلب الثاني: أسلوب حذف العاطف من الجملة.

▪ المطلب الثالث: أسلوب إفراده تعالىٰ بالصمدية بإيراد الصفة المشبهة لا باسم المفعول.

▪ المطلب الرابع: أسلوب تعريف الصفة المشبهة في قوله: ﴿ٱلصَّمَدُ﴾، رغم تنكير الصفة: ﴿أَحَدٌ﴾ قبله.

▪ المطلب الخامس: أسلوب إطلاق الصمدية لله تبارك وتعالىٰ.

▪ المطلب السادس: أسلوب إفراد كل من الصفتين: ﴿أَحَدٌ﴾، و﴿ٱلصَّمَدُ﴾ بآية مستقلة.

• **المبحث الثالث: المظاهر الأسلوبية في قوله تعالىٰ: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾، وتحته أربعة مطالب:**

▪ المطلب الأول: أسلوب العدول عن اعتماد الموصولية في النفي إلىٰ النفي المباشر.

▪ المطلب الثاني: أسلوب نفي الوالدية عنه تبارك وتعالىٰ بصيغة الماضي ﴿لَمْ يَلِدْ﴾.

▪ المطلب الثالث: أسلوب العدول عن الترتيب الفطري في نفي الولدية قبل الوالدية، إلىٰ نفي الوالدية قبل الولدية.

▪ المطلب الرابع: أسلوب العدول عن نفي اتخاذ الولد، إلىٰ النفي المباشر للولادة حيث قال: ﴿لَمْ يَلِدْ﴾.

• **المبحث الرابع: المظاهر الأسلوبية في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾، وتحته ثلاثة مطالب:**

▪ المطلب الأول: أسلوب التذييل للسورة بهذه الآية.

▪ المطلب الثاني: أسلوب تقديم ما حقه التأخير.

▪ المطلب الثالث: أسلوب تأخير ما حقه التقديم.

• **الخاتمة:** وفيها أهم النتائج والتوصيات.

• **المصادر والمراجع.**

واللهَ أسأل أن يتقبل العمل، ويغفر الزلل، وما كان من صواب فمن الله، وما كان من خطأ فمن نفسي وتقصيري ونقصي، والشيطان وأستغفر الله، وحسبي أني توخيت الصواب ولم أجعل الخطأ قصدي.

والحمد لله ما بزغ فجرٌ وسطعت شمسٌ في علاه، وماغرد طيرٌ طائر في سماه، وصلىٰ وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

❊ ❊ ❊

التمهيد
التعريف بعنوان البحث والتعريف بالسورة

وتحته مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بعنوان البحث.

وسوف أتناول في هذا المطلب تعريف "المظاهر الأسلوبية":

أولاً: تعريف المظاهر:

لغةً: قال ابن فارس[1]: "باب الظاء والهاء وما يثلثهما: (ظهر) الظاء والهاء والراء أصل صحيح واحد يدل علىٰ قوة وبروز، من ذلك: ظهر الشيء يظهر ظهورا فهو ظاهر، إذا انكشف وبرز، ولذلك سمي وقت الظهر والظهيرة، وهو أظهر أوقات النهار وأضوؤها، والأصل فيه كله ظهر الإنسان، وهو خلاف بطنه، وهو يجمع البروز والقوة"[2].

وفي المعجم الوسيط: "(ظهر) الشيء ظهورا: تبين وبرز بعد الخفاء، وعلىٰ الحائط ونحوه: علاه"[3].

واصطلاحًا: المظاهر: جمع مظهر، و"(المظهر): الصورة التي يبدو عليها الشيء... والجمع مظاهر"[4].

---

(١) العلامة، اللغوي، المحدث، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب القزويني، مولده بقزوين، ومرباه بهمذان، وأكثر الإقامة بالري، وكان رأسا في الأدب، بصيرا بفقه مالك، مناظرا متكلما، ومذهبه في النحو علىٰ طريقة الكوفيين، جمع إتقان العلم إلىٰ ظرف أهل الكتابة والشعر، له مصنفات ورسائل، جامع التأويل في تفسير القرآن أربع مجلدات، كتاب سيرة النبي ﷺ، كتاب أخلاق النبي ﷺ، كتاب المجمل في اللغة، ومقاييس اللغة، وغيرها، ومات بالري في صفر سنة ٣٩٥هـ، انظر: "سير أعلام النبلاء": (١٧/ ١٠٣)، و"طبقات المفسرين" للسيوطي: (٢٦).

(٢) "مقاييس اللغة": (٣/ ٤٧١).

(٣) "المعجم الوسيط": (٢/ ٥٧٨).

(٤) "المصدر السابق".

ثانيًا: تعريف الأسلوبية:

الأسلوبية: مصدر صناعي[١] من (أسلوب).

والأسلوب في **اللغة**: يطلق علىٰ الطريق الممتد، ويطلق علىٰ فن القول.

قال ابن منظور[٢]: "ويقال للسطر من النخيل: أسلوب، وكل طريق ممتد، فهو أسلوب. قال: والأسلوب الطريق، والوجه، والمذهب؛ يقال: أنتم في أسلوب سوء، ويجمع أساليب، والأسلوب: الطريق تأخذ فيه، والأسلوب، بالضم: الفن؛ يقال: أخذ فلان في أساليب من القول أي أفانين منه"[٣].

ويمكن تعريفه في **الاصطلاح** بأنه: "طريقة اختيار الألفاظ وتأليفها للتعبير بها عن المعاني قصد الإيضاح والتأثير"[٤].

وعليه فإنه يمكن تعريف **الأسلوبية كمصدر صناعي في الاصطلاح الأدبي** بأنها:

"ما يختاره الكاتب من الكلمات والتراكيب وما يؤثره في كلامه عما سواه؛ لأنه يجده أكثر تعبيراً عن أفكاره ورؤاه"[٥].

وربما سمي الأسلوب أسلوبًا لأنه يأخذ انتباه المتلقي من حيث لا يشعر، سيما

(١) المصدر الصناعي: هو كل لفظ جامد أو مشتق، اسم أو غيره، زيد في آخره ياء مشددة، بعدها تاء تأنيث مربوطة، ليدل علىٰ معنىٰ مجرد، هو مجموع الصفات الخاصة بذلك اللفظ، نحو: الحرية، والإنسانية، والوطنية، والوحشية...؛ وهو قياسي في هذا، وليس له صيغ أخرىٰ؛ والحاجة إليه ماسة وبخاصة في علم الكيمياء، وغيره من العلوم الطبيعية؛ وهو من المولد المقيس علىٰ كلام العرب. وقد قرره المجمع اللغوي بالقاهرة، فقال: "إذا أريد صنع مصدر من كلمة يزاد عليها ياء النسب والتاء"، انظر: أوضح المسالك إلىٰ ألفية بن مالك في الحاشية تحقيق: يوسف البقاعي: (٣/ ٢١٠ - ٢١١).

(٢) هو: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الإفريقي، صاحب (لسان العرب): الإمام اللغوي الحجة، ولد بمصر، ثم ولي القضاء في طرابلس، من مؤلفاته الكثيرة: (لسان العرب)، و(مختصر مفردات ابن البيطار)، و(نثار الأزهار في الليل والنهار)، توفي ٧١١هـ، انظر: "الدرر الكامنة": (٦/ ١٥)، و"بغية الوعاة": (١/ ٢٤٨)، و"الأعلام، للزركلي": (١/ ١٠٨).

(٣) "لسان العرب": (١/ ٤٧٣).

(٤) "الأسلوب": (٣٦).

(٥) "الأسلوب والأسلوبية": (٢٠).

وقد قال ابن فارس في مادة سلب: "(سلب) السين واللام والباء أصل واحد، وهو أخذ الشيء بخفة واختطاف"[1].

ثالثًا: تعريف المظاهر الأسلوبية:

ومن هنا يمكن أن أضع تعريفًا للمقصود بالمظاهر الأسلوبية في هذا البحث بما يلي:

المظاهر الأسلوبية: لا أعرف – علىٰ قصور مني – من حدها بهذا التركيب بحد معين، فأجتهد في ذلك وأقول: هي الصور التي يبدو فيها الكلام معبراً عن المراد مؤثراً في المتلقي.

فكيف إذا كان الكلام هو أكمل الكلام وأجمله وأحسنه وهو القرآن الكريم؟

المطلب الثاني: التعريف بالسورة:

نوعها وعدد آياتها، نزولها، تسميتها، موضوعها وفضلها.

أولاً: نوعها وعدد آياتها:

سورة الإخلاص مكية وقيل مدنية[2]، وعدد آياتها أربع آيات، وقيل خمس[3] باعتبار أن ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ آية، و﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ آية أخرىٰ.

ثانيًا: نزولها:

مما ورد في نزولها: (أن المشركين قالوا: يا رسول الله! انسب لنا ربك، فنزلت: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ إلىٰ آخرها)[4].

---

(١) "مقاييس اللغة": (٣/ ٩٢).

(٢) وهو قول الجمهور، وهو رواية عن ابن عباس، وبه قال جماعة من السلف، كأبي بن كعب، وعكرمة وأبي العالية وجابر وقيل مدنية وبه قال الضحاك وقتادة ومقاتل وسعيد بن المسيب، انظر: "جامع البيان": (٢٤/ ٧٢٧-٧٢٨)، "معالم التنزيل": (٥/ ٣٢٩).

(٣) انظر: "التحرير والتنوير": (٣٠/ ٦١٢).

(٤) الحديث أخرجه ابن جرير (٣٠/ ٣٢١) من طريق إسماعيل به، وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٤١٠) =

ثالثًا: تسميتها:

ذكرت في تسميتها أسماءٌ كثيرة، وكلما زادت أسماء الشيء زاد تميزه وفضله، وأشهر أسمائها: سورة الإخلاص، وسورة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، كما ورد في بعض الأحاديث كما سيأتي، ومن أسمائها: (سورة التفريد، والتجريد، والتوحيد، والإخلاص، والجمال، والمقشقشة، والصمد، والنجاة، والولاية، والمعرفة، وغيرها)[١].

قال ابن عاشور[٢]: "واشتهر هذا الاسم لاختصاره وجمعه معاني هذه السورة لأن فيها تعليم الناس إخلاص العبادة لله تعالىٰ، أي سلامة الاعتقاد من الإشراك بالله غيره في الإلهية"[٣].

رابعًا: موضوعها:

موضوع السورة توحيد الله جل في علاه، وإثبات كل صفات الكمال له تعالىٰ، ونفي كل صفات النقص عنه تعالىٰ، فهي متضمنة لتوحيد الاعتقاد والمعرفة، وما يجب إثباته للرب تعالىٰ من الأحدية المنافية لمطلق المشاركة بوجه من الوجوه، والصمدية المثبتة له جميع صفات الكمال، التي لا يلحقها نقص بوجه من الوجوه،

=

وعزاه لأبي يعلىٰ وابن جرير وابن المنذر والطبراني في الأوسط وأبي نعيم في الحلية والبيهقي بسند حسن، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ١٤٦) وعزاه للطبراني في الأوسط وأبي يعلىٰ وقال: فيه مجالد بن سعيد قال ابن عدي: له عن الشعبي عن جابر وبقية رجاله رجال الصحيح.

(١) انظر: "مفاتيح الغيب": (٣٢/ ٣٥٧-٣٥٨).

(٢) هو: محمد الطاهر بن عاشور: رئيس المفتين المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس، مولده ووفاته ودراسته بها، عين (عام ١٩٣٢م) شيخا للإسلام مالكيا، من مؤلفاته: (التحرير والتنوير)، و(مقاصد الشريعة الإسلامية)، و(موجز البلاغة)، توفي (١٣٩٣هـ)، انظر: "الأعلام، للزركلي": (٦/ ١٧٤).

(٣) "التحرير والتنوير": (٣٠/ ٦١٠)، وانظر: "أنوار التنزيل": (٥/ ٣٤٧)، و"مدارك التنزيل": (٣/ ٦٩٦).

ونفي الولد، والوالد الذي هو من لوازم الصمدية، وغناه وأحديته ونفي الكفء المتضمن لنفي التشبيه والتمثيل والتنظير، فتضمنت هذه السورة كل كمال له، ونفي كل نقص عنه، ونفي إثبات شبيه، أو مثل له في كماله، ونفي مطلق الشريك عنه، وهذه الأصول هي مجاميع التوحيد العلمي الاعتقادي الذي يباين صاحبه جميع فرق الضلال والشرك[1].

خامسًا: فضلها:

أشهر ما ورد في فضلها أنها تعدل ثلث القرآن - كما سيأتي في الحديث -.

قال ابن جرير[2] رحمه الله: "القرآن يشتمل علىٰ ثلاثة أشياء التوحيد والأخبار والديانات ولهذا كانت سورة الإخلاص ثلثه لأنها تشمل التوحيد كله"[3].

ومما صح في فضلها:

وردت في الصحيحين عدة أحاديث في فضل سورة الإخلاص ومنها:

١- عن أنس بن مالك ﷺ، كان رجل من الأنصار يؤمهم في مسجد قباء[4]، وكان كلما افتتح سورة يقرأ بها لهم في الصلاة مما يقرأ به افتتح: بـ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ

(١) وانظر: "التفسير المنير": (٣٠/ ٤٦١).

(٢) هو: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري الإمام أبو جعفر، رأس المفسرين علىٰ الإطلاق، أحد الأئمة، جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره، فكان حافظًا لكتاب الله، بصيراً بالمعاني، فقيهًا في أحكام القرآن، عالمًا بالسنن وطرقها، صحيحها وسقيمها، ناسخها ومنسوخها، عالمًا بأحوال الصحابة والتابعين، بصيراً بأيام الناس وأخبارهم، من مصنفاته: تهذيب الآثار، وتاريخ الأمم، أحكام شرائع الإسلام، وجامع البيان في تأويل آي القرآن، توفي ٣١٠هـ، انظر: "طبقات المفسرين" للسيوطي: (٩٥).

(٣) نقله السيوطي عن ابن جرير الطبري ولم أجده في تفسير الطبري، انظر: "الإتقان في علوم القرآن": (٤/ ٣٧).

(٤) مسجد قباء: هو المسجد المعروف بذي القبلتين وبأنه أول مسجد بني في الإسلام، بناه الرسول ﷺ عند قدومه إلىٰ المدينة مهاجرا، وأقيمت فيه أول صلاة جمعة في الإسلام، انظر: مثير الغرام الساكن إلىٰ أشرف الأماكن: (٤٧٤ ـ ٤٧٥).

أَحَدٌ ﴾ حتىٰ يفرغ منها، ثم يقرأ سورة أخرىٰ معها، وكان يصنع ذلك في كل ركعة، فكلمه أصحابه، فقالوا: إنك تفتتح بهذه السورة، ثم لا ترىٰ أنها تجزئك حتىٰ تقرأ بأخرىٰ، فإما تقرأ بها وإما أن تدعها، وتقرأ بأخرىٰ فقال: ما أنا بتاركها، إن أحببتم أن أؤمكم بذلك فعلت، وإن كرهتم تركتكم، وكانوا يرون أنه من أفضلهم، وكرهوا أن يؤمهم غيره، فلما أتاهم النبي ﷺ أخبروه الخبر، فقال: «يا فلان، ما يمنعك أن تفعل ما يأمرك به أصحابك، وما يحملك علىٰ لزوم هذه السورة في كل ركعة» فقال: إني أحبها، فقال: «حبك إياها أدخلك الجنة»[(١)].

٢- عن أبي سعيد الخدري[(٢)]، أن رجلا سمع رجلا يقرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ يرددها، فلما أصبح جاء إلىٰ رسول الله ﷺ فذكر ذلك له، وكأن الرجل يتقالها، فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن»[(٣)].

٣- عن أبي سعيد الخدري ﷺ، قال: قال النبي ﷺ لأصحابه: «أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة؟» فشق ذلك عليهم وقالوا: أينا يطيق ذلك يا رسول الله؟ فقال: «الله الواحد الصمد ثلث القرآن»[(٤)].

(١) رواه البخاري معلقًا، كتاب الأذان، باب الجمع بين السورتين في الركعة: (١/ ١٥٥).

(٢) هو: أبو سعيد سعد بن مالك بْن سنان بْن ثعلبة بْن عُبَيْد بْن الأبجر، وَكَانَ من الحفاظ لحديث رَسُول الله ﷺ المكثرين، ومن العلماء الفضلاء العقلاء، قَالَ: عرضت عَلَىٰ رَسُول اللهِ ﷺ يوم الخندق، وأنا ابن ثلاث عشرة، فجعل أبي يأخذ بيدي ويقول: يا رسول الله، إنه عبل العظام. فردني، وقال: خرجت مع رسول الله ﷺ فِي غزوة بني المصطلق. قَالَ الواقدي: وهو ابن خمس عشرة سنة، ومات سنة أربع وسبعين، انظر: "أسد الغابة": (٥/ ١٤٢).

(٣) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب فضل قراءة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾: (٦/ ١٨٩/ ح ٥٠١٣) واللفظ له، ورواه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة: (قل هو الله أحد): (١/ ٥٥٦/ ح ٨١١).

(٤) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب فضل قراءة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾: (٦/ ١٨٩/ ح ٥٠١٥)، ومسلم من حديث أبي الدرداء،كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾: (١/ ٥٥٦/ ح ٢٥٩).

٤- قال النبي ﷺ: «إن الله جزأ القرآن ثلاثة أجزاء، فجعل ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ جزءاً من أجزاء القرآن»(١).

٥- عن أبي هريرة(٢)، قال: قال رسول الله ﷺ: «احشدوا، فإني سأقرأ عليكم ثلث القرآن»، فحشد من حشد، ثم خرج نبي الله ﷺ، فقرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، ثم دخل، فقال بعضنا لبعض: إني أرىٰ هذا خبراً جاءه من السماء فذاك الذي أدخله، ثم خرج نبي الله ﷺ، فقال: «إني قلت لكم سأقرأ عليكم ثلث القرآن، ألا إنها تعدل ثلث القرآن»(٣).

٦- عن عائشة رضي الله تعالىٰ عنها، أن رسول الله ﷺ بعث رجلا علىٰ سرية، وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم، فيختم بـ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، فلما رجعوا ذكر ذلك لرسول الله ﷺ، فقال: «سلوه لأي شيء يصنع ذلك؟» فسألوه، فقال: لأنها صفة الرحمن، فأنا أحب أن أقرأ بها، فقال رسول الله ﷺ: «أخبروه أن الله يحبه»(٤).

❊ ❊ ❊

(١) رواه مسلم،كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾: (١/ ٥٥٦/ ح ٢٦٠).

(٢) هو: عبد الرحمن بن صخر الدوسي، أبو هريرة، صاحب رَسُول الله ﷺ، وأكثرهم حديثا عنه، قال: كان اسمي في الجاهلية: عبد شمس، فسماني رَسُول اللهِ ﷺ: عبد الرحمن، وإنما كنيت بأبي هريرة لأني وجدت هرة فحملتها في كمي، فقيل لي: أنت أبو هريرة، وقال: قلت: يا رسول الله، أسمع منك أشياء فلا أحفظها؟ قال: ابسط رداءك. فبسطته، فحدث حديثا كثيرا، فما نسيت شيئا حدثني به، توفي سنة ٥٧هـ، انظر: "أسد الغابة": (٥/ ٣٢١).

(٣) رواه البخاري، كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ/ ح ٧٣٧٥)، 9/115)، ورواه مسلم،كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾: (١/ ٥٥٦/ ح ٢٦١).

(٤) رواه مسلم،كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾: (١/ ٥٥٦/ ح ٢٦٣).

المبحث الأول
المظاهر الأسلوبية في قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾

وتحته أربعة مطالب:

المطلب الأول: أسلوب ذكر كل من: قوله: ﴿قُلْ﴾، و﴿هُوَ﴾.

المسألة الأولىٰ: صورة الأسلوب:

١- لم بدئت السورة بقوله: ﴿قُلْ﴾ ولم يقل مخبراً عن وحدانيته: ﴿ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾؟

٢- لم أورد ضمير الشأن ﴿هُوَ﴾ ولم يقل: (قل الله أحد)؟

المسألة الثانية: تعليلها:

أولاً: في سبب الأمر بالقول، أورد المفسرون لذلك عدة أسباب، منها:

١- للدلالة علىٰ رسالته ﷺ.

٢- وللدلالة علىٰ بطلان الاستغناء بالعقل عن إرسال الرسل.

٣- وليكون البيان جارياً علىٰ لسان الرسول ﷺ وأقرب إلىٰ أفهام المخلوقين مثله، وفي ضمن ذلك إشارةٌ إلىٰ أنه ﷺ أفهم الخلق عن ربه جل في علاه.

٤- ولإظهار العناية بما بعد فعل القول.

٥- ولأنها نزلت جواباً عن سؤال المشركين للنبي عليه الصلاة والسلام لما قالوا له: (انسب لنا ربك)[1] تعالىٰ الله عن قولهم علواً كبيراً.

قال الطبري: "ذُكر أن المشركين سألوا رسول الله ﷺ عن نسب ربّ العزّة،

(١) روىٰ الطبري بسنده عن الشعبي، عن جابر قال: قالوا يا رسول الله، انسب لنا ربك، فنزلت: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ إلىٰ آخرها، "جامع البيان": (٣٠/ ٣٢١)، وسبق تخريجه

فأنزل الله هذه السورة جوابا لهم"[1].

وقال البقاعي[2] في أمر الله تعالىٰ لنبيه ﷺ بالقول: "فقال آمراً لنبيه ﷺ ليكون أول كلمة فيها دالة علىٰ رسالته رداً علىٰ من كذبه في خاصة نفسه، وعلىٰ البراهمة[3] القائلين: إن في العقل غنىٰ عن الرسل، ويكون البيان جارياً علىٰ لسانه ﷺ؛ ليكون إلىٰ فهم الخلق عنه لتلك الصفات العلىٰ أقرب؛ لما لهم به من المجانسة"[4].

وقال ابن عاشور: "افتتاح هذه السورة بالأمر بالقول؛ لإظهار العناية بما بعد فعل القول، كما علمت ذلك عند قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[الكافرون: ١]، ولذلك الأمر في هذه السورة فائدة أخرىٰ، وهي أنها نزلت علىٰ سبب قول المشركين: (انسب لنا ربك)، فكانت جوابا عن سؤالهم، فلذلك قيل له: ﴿قُلْ﴾ كما قال تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾[الإسراء: ٨٥]، فكان للأمر بفعل قل فائدتان"[5].

ثانيًا: في سبب إيراد ضمير الشأن (هو)، ذكر أبو السعود[6] لذلك أسبابًا عدة:

(١) "المصدر السابق".

(٢) هو: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط - بضم الراء وتخفيف الباء - بن علي بن أبي بكر البقاعي، أبو الحسن برهان الدين: مؤرخ أديب. أصله من البقاع في سورية، وسكن دمشق ورحل إلىٰ بيت المقدس والقاهرة، من مؤلفاته: (عنوان العنوان) مختصر عنوان الزمان، و(أسواق الأشواق) اختصر به مصارع العشاق، و(نظم الدرر في تناسب الآيات والسور)، توفي: (٨٨٥هـ)، انظر: "الأعلام، للزركلي": (١/ ٥٦)، و"طبقات المفسرين، للأدنه وي": (١/ ٣٤٧).

(٣) البراهمة اسم يُطلق علىٰ أفراد الطبقة العليا، وهي طبقة الكهنوت أو رجال الدين، عند الهندوس، ونسبتهم إلىٰ رجل منهم يقال له براهم، وقد مهد لهم نفي النبوات أصلا وقرر استحالة ذلك في العقول. انظر: "الملل والنحل" للشهرستاني: (٣/ ٩٦).

(٤) "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور": (٢٢/ ٣٥٠).

(٥) "التحرير والتنوير": (٣٠/ ٦١٢).

(٦) هو: محمد بن محمد بن مصطفىٰ العمادي، الحنفي (أبو السعود) فقيه، أصولي، مفسر، شاعر، عارف باللغات العربية والفارسية والتركية، من موالي الروم، من مؤلفاته: (إرشاد العقل السليم إلىٰ مزايا الكتاب الكريم في تفسير القرآن)، و(بضاعة القاضي في الصكوك)، و(تهافت الأمجاد في فروع =

١- للإيذان بشهرته وكونه حقيق بأن يكون حاضراً في أذهان الكل.

٢- وللتنبيه علىٰ فخامة مضمون الجملة بعده وجلالة شأنها.

٣- زيادة تحقيق وتقرير لمضمون الجملة بعده.

٤- إبقاء الذهن في حالة ترقب واهتمام لما سيأتي مفسراً ومزيلاً لإبهام علق به، فيكون بعد التفسير أشد تمكنًا وفهمًا.

فقال: "﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾: الضمير للشأن، ومدار وضعه موضعه مع عدم سبق ذكره؛ الإيذان بأنه من الشهرة والنباهة بحيث يستحضره كل أحد، وإليه يشير كل مشير، وإليه يعود كل ضمير... والسر في تصدير الجملة به؛ التنبيه من أول الأمر علىٰ فخامة مضمونها، وجلالة حيزها، مع ما فيه من زيادة تحقيق وتقرير، فإن الضمير لا يفهم منه من أول الأمر، إلا شأن مبهم له خطر جليل، فيبقىٰ الذهن مترقبًا لما أمامه مما يفسره ويزيل إبهامه، فيتمكن عند وروده له أفضل تمكن"[1].

=

الفقه الحنفي)، توفي: (٩٨٢هـ)، انظر: "البدر الطالع": (١/ ٢٦١)، "معجم المؤلفين": (٣/ ٦٩٣).

(١) "إرشاد العقل السليم": (٩/ ٢١٢).

المطلب الثاني
أسلوب إطلاق الأمر بقوله تعالى: ﴿قُلْ﴾، دون تقييده بالمقول لهم

المسألة الأولىٰ: صورة الأسلوب:

لماذا أطلق الله تبارك وتعالىٰ الأمر بالقول لنبيه ﷺ، وحذف المفعول به، أي دون أن يقيد من هم المقول لهم؟ فلم يقل: قل للمشركين هو الله أحد، مثلاً، أو للسائلين، ونحوه.

المسألة الثانية: تعليلها:

أورد البقاعي ثلاثة أسباب وهي:

١- للدلالة علىٰ عموم الرسالة، ورد علىٰ من أقر بإرساله ﷺ إلىٰ العرب خاصة.

٢- وللدلالة علىٰ وضوح المقول لكل أحد.

٣- وللدلالة علىٰ أن مقول القول لا ضرر فيه علىٰ أحد ولا فتنة.

فقال: "وإطلاق الأمر بعدم التقييد بمقول له، يُفهِم عموم الرسالة، وأن المراد كل من يمكن القول له، سواء كان سائلاً عن ذلك بالفعل، أو بالقوة حثًا علىٰ استحضار ما لرب هذا الدين - الذي حاطه هذه الحياطة، ورباه هذه التربية - من العظمة والجلال، والكبرياء والكمال، ففي الإطلاق المشير إلىٰ التعميم، رد علىٰ من أقر بإرساله ﷺ إلىٰ العرب خاصة، ويدل علىٰ أن مقول القول لا ضرر فيه علىٰ أحد؛ فإن ظواهره مفهومة لكل أحد، لا فتنة فيها بوجه، وإنما تأتي الفتنة، عند تعمق الضال إلىٰ ما لا يحتمله عقله"[1].

(١) "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور": (٢٢/ ٣٥٠-٣٥١).

المطلب الثالث
أسلوب العدول عن اسم الفاعل (واحد) إلى الصفة ﴿أَحَدٌ﴾

المسألة الأولىٰ: صورة الأسلوب

لماذا لم يقل الله تبارك وتعالىٰ: قل هو الله واحد؟ وذكر الصفة بدل الاسم، فقال: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾؟

حيث عدل عن صيغة اسم الفاعل (واحد)، إلىٰ الصفة المشبهة ﴿أَحَدٌ﴾، وبينهما علاقة، فالصفة المشبهة: "هي اسم مصوغ من الثلاثي اللازم، لمن قام به الفعل علىٰ وجه الثبوت، لا علىٰ وجه الحدوث، فهي حدث دائم غير مقيد بزمن، وقد شبهت باسم الفاعل؛ لأنها تشبهه بالمعنىٰ والتصرف"(١).

واسم الفاعل: "هو اسم مصوغ لمن وقع منه الفعل أو قام به"(٢)، كما عرف بأنه: "الصفة الدالة علىٰ فاعل، جارية في التذكير والتأنيث علىٰ المضارع من أفعالها لمعناه، أو معنىٰ الماضي"(٣)، وقد اشترط ابن مالك(٤) في عمل اسم الفاعل عمل فعله: أن يكون بمعنىٰ الحال أو الاستقبال، فإن كان بمعنىٰ الماضي لم يعمل(٥).

(١) "اللباب في قواعد اللغة": (٥٦).

(٢) "المصدر السابق": (٥٣).

(٣) "تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد": (١٣٦).

(٤) هو: محمد بن عبد الله بن عبد الله بن مالك، العلامة، أبو عبد الله الطائي، الجياني، الشافعي، النحوي، ولد سنة ستمائة أو سنة إحدىٰ وستمائة، وسمع بدمشق من مكرم وأبي صادق الحسن بن صباح وأبي الحسن السخاوي وغيرهم؛ وأخذ العربية عن غير واحد؛ وجالس بحلب ابن عمرون وغيره. وتصدر بحلب لإقراء العربية وصرف همته إلىٰ إتقان لسان العرب حتىٰ بلغ فيه الغاية، وحاز قصب السبق، من مؤلفاته: كتاب "تسهيل الفوائد في النحو" وكتاب "سبك المنظوم وفك المختوم"، وكتاب "الشافية الكافية"، توفي عام ٦٧٢هـ. انظر: "تاريخ الإسلام": (١٥/ ٢٤٩).

(٥) انظر: "توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك": (٢/ ٨٤٩).

المسألة الثانية: تعليلها:

ذكر المفسرون لذلك أسبابًا، منها:

١- أن الصفة المشبهة تفيد تمكن الوصف واختصاصه بالموصوف أكثر من اسم الفاعل، وسياق السورة وسببها في إثبات أحدية الله تبارك وتعالىٰ، فناسب ورود الصفة المشبهة أكثر من اسم الفاعل.

٢- أن لفظ (واحد) يجوز أن يطلق علىٰ غير الله تبارك وتعالىٰ، بخلاف لفظ ﴿أَحَدٌ﴾ فهو مختص به سبحانه لا يشْرَكُه فيه أحد، فناسب وروده السورةَ وسببَها وسياقَها.

قال الرازي[1]: "في ﴿أَحَدٌ﴾ وجهان أحدهما: أنه بمعنىٰ واحد، قال الخليل، يجوز أن يقال: أحد، اثنان، وأصل أحد: وحد، إلا أنه قلبت الواو همزة؛ للتخفيف، وأكثر ما يفعلون هذا بالواو المضمومة والمكسورة، كقولهم: وجوه وأُجوه، وسادة وإسادة.

والقول الثاني: أن الواحد والأحد ليسا اسمين مترادفين، قال الأزهري[2]: لا يوصف شيء بالأحدية غير الله تعالىٰ، لا يقال: رجل أحد، ولا درهم أحد، كما يقال: رجل واحد أي فرد، بل أحد صفة من صفات الله تعالىٰ استأثر بها فلا يشرَكُه فيها شيء.

---

(١) هو: محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي، فخر الدين الرازي القرشي البكري، من ذرية أبي بكر الصديق ﷺ، الشافعي المفسر المتكلم، ولد سنة أربع وأربعين وخمسمائة، واشتغل علىٰ والده، وله التفسير الكبير والمحصول في أصول الفقه، وشرح الأسماء الحسنىٰ وشرح المفصل للزمخشري، توفي سنة ٦٠٦هـ، انظر: "طبقات المفسرين" للسيوطي: (١١٥).

(٢) هو: أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر بن طلحة الأزهري، الهروي اللغوي الشافعي، ارتحل في طلب العلم وكان رأسا في اللغة والفقه، ثقة، ثبتا، دينا، وله كتاب (تهذيب اللغة) المشهور، وكتاب (التفسير)، وكتاب (تفسير ألفاظ المزني)، و(علل القراءات) وغيرها، توفي سنة: ٣٧٠هـ، انظر: "طبقات المفسرين" للأدنه وي: (١/ ٨٣).

ثم ذكروا في الفرق بين الواحد والأحد وجوها[١]:

أحدها: أن الواحد يدخل في الأحد، والأحد لا يدخل فيه.

وثانيها: أنك إذا قلت: فلان لا يقاومه واحد، جاز أن يقال: لكنه يقاومه اثنان، بخلاف الأحد، فإنك لو قلت: فلان لا يقاومه أحد، فلا يجوز أن يقال: لكنه يقاومه اثنان.

وثالثها: أن الواحد يستعمل في الإثبات، والأحد في النفي، تقول في الإثبات: رأيت رجلا واحدا، وتقول في النفي: ما رأيت أحدا، فيفيد العموم"[٢].

وقال ابن عاشور: "وصيغة الصفة المشبهة تفيد تمكن الوصف في موصوفها بأنه ذاتي له، فلذلك أوثر أحد هنا علىٰ (واحد)؛ لأن (واحد) اسم فاعل لا يفيد التمكن، فـ (واحد) وأحد، وصفان مصوغان بالتصريف لمادة متحدة، وهي مادة الوحدة، يعني التفرد"[٣].

وذكر القاسمي[٤] عن الأزهري قوله: "الواحد من صفات الله تعالىٰ، معناه أنه لا ثاني له، ويجوز أن ينعت الشيء بأنه واحد، فأما أَحَدٌ فلا ينعت به غير الله تعالىٰ، لخلوص هذا الاسم الشريف له جل ثناؤه"[٥].

(١) "الكشف والبيان عن تفسير القرآن": (٣٠/ ٦١٢).

(٢) "مفاتيح الغيب": (٣٢/ ٣٥٩-٣٦٠).

(٣) "التحرير والتنوير": (٣٠/ ٦١٤).

(٤) هو: جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم القاسمي، الحلاق، عالم مشارك في أنواع من العلوم، ولد بدمشق، ونشأ، وتعلم بها، وانتدبته الحكومة للرحلة وإلقاء الدروس العامة في البلاد السورية، فأقام في عمله هذا أربع سنوات (١٣٠٨ - ١٣١٢هـ) ثم رحل إلىٰ مصر، وزار المدينة، وعاد إلىٰ دمشق فانقطع في منزله للتصنيف وإلقاء الدروس الخاصة والعامة في التفسير وعلوم الشريعة الإسلامية والأدب إلىٰ أن توفي، من تصانيفه الكثيرة: محاسن التأويل في تفسير القرآن الكريم، إصلاح المساجد من البدع والعوائد، توفي سنة ١٣٣٢هـ، انظر: "الأعلام" للزركلي: (٢/ ١٣٥).

(٥) "محاسن التأويل": (٩/ ٥٦٧).

المطلب الرابع
أسلوب تنكير الصفة المشبهة (أحد) وعدم تعريفها

المسألة الأولىٰ: صورة الأسلوب:

لماذا أورد تعالىٰ قوله: (أحد) منكراً، ولم يعرفه، فلم يقل: قل هو الله الأحد؟

المسألة الثانية: تعليلها:

أورد المفسرون لذلك أسبابًا منها: أنه لما تنكر العرب لأحدية الله تبارك وتعالىٰ، ناسب إيراد الصفة منكرة لا معرفة، وسيأتي تفصيل ذلك عند الحديث علىٰ تعريف قوله تعالىٰ: ﴿ٱلصَّمَدُ﴾.

* * *

المبحث الثاني
المظاهر الأسلوبية في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾

وتحته ستة مطالب:

المطلب الأول: أسلوب تكرار اسمه تبارك وتعالى ﴿ٱللَّهُ﴾.

المسألة الأولىٰ: صورة الأسلوب:

لماذا كرر الله تبارك وتعالىٰ اسمه الكريم: ﴿ٱللَّهُ﴾، فلم يقل: قل هو الله أحدٌ صمد، علىٰ سبيل المثال؟

المسألة الثانية: تعليلها:

هذا التكرار والله أعلم للإشعار باستحقاقه وحده سبحانه بالألوهية، وأيضاً للتفريق بين تنكير لفظة: (أحد)، وتعريف لفظة: (الصمد) علىٰ ما سيأتي بيانه من المطلب الرابع بعد قليل.

قال البيضاوي[(١)]: "وتكرير لفظة (الله) للإشعار بأن من لم يتصف به لم يستحق الألوهية"[(٢)].

وقال الرازي: "ما الفائدة في تكرير لفظة (الله) في قوله: الله أحد الله الصمد؟ الجواب: لو لم تكرر هذه اللفظة لوجب في لفظ أحد وصمد أن يردا، إما نكرتين أو معرفتين، وقد بينا أن ذلك غير جائز، فلا جرم كررت هذه اللفظة حتىٰ يذكر لفظ أحد منكرًا ولفظ الصمد معرفًا"[(٣)].

---

(١) هو: عبد الله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي أبو الخير القاضي ناصر الدين البيضاوي الشافعي، كان إماماً مبرزًا نظارًا صَالحًا متعبدًا زاهدًا ولي قَضَاء الْقُضَاة بشيراز وَدخل تبريز وناظر بهَا، ومن مصنفاته: المطالع والمصباح فِي أصُول الدّين ومختصر الْكَشَّاف فِي التَّفْسِير الْمُسَمّىٰ بأنوار التَّنْزِيل وأسرار التَّأْوِيل وَله شرح المصابيح فِي الحَدِيث، توفي في تبريز سنة: ٦٨٥هـ، انظر: "طبقات المفسرين" للأدنه وي: (١/ ٢٥٤).

(٢) "أنوار التنزيل": (٥/ ٣٤٧)، وانظر: "محاسن التأويل": (٩/ ٥٦٨).

(٣) "مفاتيح الغيب": (٣٢/ ٣٦٣).

المطلب الثاني: أسلوب حذف العاطف من الجملة.

المسألة الأولىٰ: صورة الأسلوب.

لماذا وردت جملة ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ خالية من العطف، فلم يقل الله تبارك وتعالىٰ: قل هو الله أحد (و) صمد؟

المسألة الثانية: تعليلها:

أورد البيضاوي سبباً لذلك: وهو لأن صمديته سبحانه جل في علاه دليل علىٰ أحديته، وهي من نتاجها.

حيث قال: "وإخلاء الجملة عن العاطف؛ لأنها كالنتيجة للأولىٰ، أو الدليل عليها"[1].

المطلب الثالث: أسلوب إفراده تعالى بالصمدية بإيراد الصفة المشبهة لا باسم المفعول

المسألة الأولىٰ: صورة الأسلوب:

أنه تعالىٰ أثبت صمديته بإيراد الصفة المشبهة فقال: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾، لا باسم المفعول حيث لم يقل: (المصمود إليه).

المسألة الثانية: تعليلها:

"إن الصمد علىٰ صيغة (فَعَل) وهي أثبت وأدوم من مفعول، ثم إن المصمود إليه قد يكون لما صمد إليه مرة واحدة بينما الصمد صفة مطلقة"[2].

(١) "مفاتيح الغيب": (٣٢/ ٣٦٣)، وانظر: "التحرير والتنوير": (٣٠/ ٦١٧).
(٢) "علىٰ طريق التفسير البياني": (١/ ٦٥).

المطلب الرابع: أسلوب تعريف الصفة المشبهة في قوله: ﴿ٱلصَّمَدُ﴾ رغم تنكير الصفة: ﴿أَحَدٌ﴾ قبله.

المسألة الأولىٰ: صورة الأسلوب:

لماذا أورد تعالىٰ صفة الصمدية معرفة بأل التعريف؟ فلم يأت بها منكرة (صمد)، علىٰ غرار تنكير لفظ ﴿أَحَدٌ﴾ قبلها، فلم يقل: قل هو الله أحد، الله صمد؟

المسألة الثانية: تعليلها:

أورد المفسرون أسباباً عدة، منها:

١- لما كانت صمديته تعالىٰ معلومة لديهم معترفين بها، ناسب ذلك ذكر صفة ﴿ٱلصَّمَدُ﴾ بأل التعريف.

٢- للدلالة علىٰ أحديته، إذ من قصر عليه الصمود إليه، وجب أن يكون هو وحده حقيق بالعبادة سبحانه.

وقال الرازي: "وأما الصمد فهو الذي يكون مصموداً إليه في الحوائج، وهذا كان معلومًا للعرب، بل لأكثر الخلق علىٰ ما قال: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧]، وإذا كانت الأحدية مجهولة مستنكرة عند أكثر الخلق، وكانت الصمدية معلومة الثبوت عند جمهور الخلق، لا جرم جاء لفظ أحد علىٰ سبيل التنكير، ولفظ الصمد علىٰ سبيل التعريف"[(١)].

وقال: "قوله: الله الصمد، يقتضي أن لا يكون في الوجود صمد سوىٰ الله، وإذا كان الصمد مفسرا بالمصمود إليه في الحوائج، أو بما لا يقبل التغير في ذاته، لزم أن لا يكون في الوجود موجود هكذا سوىٰ الله تعالىٰ، فهذه الآية تدل علىٰ أنه لا إله

(١) "مفاتيح الغيب": (٣٢/ ٣٦٣).

سوىٰ الواحد"[1].

وقال البيضاوي: "وتعريفه؛ لعلمهم بصمديته، بخلاف أحديته".

وقال ابن عاشور: "وصيغة الله الصمد، صيغة قصر بسبب تعريف المسند، فتفيد قصر صفة الصمدية علىٰ الله تعالىٰ، وهو قصر قلب لإبطال ما تعوده أهل الشرك في الجاهلية، من دعائهم أصنامهم في حوائجهم، والفزع إليها في نوائبهم حتىٰ نسوا الله"[2].

المطلب الخامس: أسلوب إطلاق الصمدية لله تبارك وتعالى.

المسألة الأولىٰ: صورة الأسلوب:

أنه تعالىٰ ذكر أنه صمد، فهو مصمود إليه ولم يقيد مصمود إليه في أي الحوائج بالتحديد.

المسألة الثانية: تعليلها:

أطلق الصمدية لإطلاق المعنىٰ، فالمعنىٰ مطلق من جهة العباد فكلٌ إليه يصمد، ومطلق من جهة الله تعالىٰ فيصمد إليه سبحانه في جميع الحوائج مهما تعاظمت[3].

المطلب السادس: أسلوب إفراد كل من الصفتين: ﴿أَحَدٌ﴾ و﴿الصَّمَدُ﴾ بآية مستقلة.

المسألة الأولىٰ: صورة الأسلوب:

لماذا لم يجمع بين الوصفين في آية واحدة؟ فلم يقل: (قل هو الله أحد الصمد) بل أفرد كلاً منهما بآية مستقلة عن الأخرىٰ.

---

(١) "مفاتيح الغيب": (٣٢/ ٣٦٣).

(٢) "التحرير والتنوير": (٣٠/ ٦١٨).

(٣) انظر: "علىٰ طريق التفسير البياني": (١/ ٦٥).

المسألة الثانية: تعليلها:

١- لأهمية كل منهما في الاعتقاد، فناسب أن تقرر كل واحدة منهما علىٰ حدة.

٢- ليفرق بين ما هو معلوم للمخاطبين آنذاك وهي (صمديته تعالىٰ) وما هو مجهول لهم وهي (أحديته سبحانه) [١].

❊ ❊ ❊

(١) انظر: "علىٰ طريق التفسير البياني": (١/ ٦٧).

المبحث الثالث

المظاهر الأسلوبية في قوله تعالى: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾

وتحته أربعة مطالب:

المطلب الأول: أسلوب العدول عن اعتماد الموصولية في النفي إلى النفي المباشر.

المسألة الأولىٰ: صورة الأسلوب:

لماذا نفىٰ الله تبارك وتعالىٰ عن نفسه الوالدية والولدية، دون ذكر الاسم الموصول (الذي)، ولم يقل مثلاً: (الذي لم يلد ولم يولد)؟

المسألة الثانية: تعليلها:

"ذلك أنه يريد أن يخبرهم بذلك، ويعلمهم بما جهلوه، ولو قال: (الذي لم يلد ولم يولد) لكان المعنىٰ أنهم يعلمون ذاك، والحقيقة أنهم كانوا لا يعلمون ذاك، بل كانوا يقولون إن الله قد ولد، وأن الملائكة بناته سبحانه، قال تعالىٰ: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾ [النحل:٥٧]، وقال: ﴿أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [الصافات: ١٥١ - ١٥٢]، وكذلك يقول اليهود والنصارىٰ فإن اليهود يقولون عزير ابن الله، والنصارىٰ يقولون المسيح ابن الله، وما إلىٰ ذلك من الملل الأخرىٰ"[1].

(١) "علىٰ طريق التفسير البياني": (١/ ٦٧).

المطلب الثاني: أسلوب نفي الوالدية عنه تبارك وتعالى بصيغة الماضي ﴿لَمْ يَلِدْ﴾.

المسألة الأولىٰ: صورة الأسلوب:

لماذا ورد نفي الوالدية عن الله تبارك وتعالىٰ بصيغة الماضي فقال: ﴿لَمْ يَلِدْ﴾، بدلاً من صيغة المستقبل: (لن يلد)؟

المسألة الثانية: تعليلها:

١- لأن الآية جاءت رداً علىٰ القائلين بأن لله ولدا[١] تعالىٰ عن ذلك علواً كبيرا، وتنصيصاً علىٰ إبطال زعمهم.

٢- وليطابق صيغة الماضي في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾.

قال أبو حيان[٢]: "ولعل الاقتصار علىٰ لفظ الماضي لوروده رداً علىٰ من قال الملائكة بنات الله، أو المسيح ابن الله أو ليطابق قوله: ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ وذلك لأنه لا يفتقر إلىٰ شيء ولا يسبقه عدم"[٣].

وقال أبو السعود: وقال: "﴿لَمْ يَلِدْ﴾ تنصيصاً علىٰ إبطالِ زعمِ المفترينَ في حقِّ الملائكةِ والمسيحِ ولذلكَ وردَ النفيُ علىٰ صيغةِ الماضِي"[٤].

(١) كالنصارىٰ الذين قالوا بأن عيسىٰ ابن الله، واليهود الذين قالوا بأن عزير ابن الله، والمشركين الذين قالوا بأن الملائكة بنات الله، تعالىٰ الله عن ذلك علواً كبيراً.

(٢) هو: محمد بن يوسف بن علىٰ بن يوسف ابن حيان الغرناطي الأندلسي أبو حيان: من كبار العلماء بالعربية والتفسير والحديث والتراجم واللغات، ولد في إحدىٰ جهات غرناطة، ورحل إلىٰ مالقة، وتنقل إلىٰ أن أقام بالقاهرة، وتوفي فيها، بعد أن كف بصره، من مؤلفاته: (البحر المحيط) في تفسير القرآن، و(النهر) اختصر به البحر المحيط، و(مجاني العصر)، توفي (٧٤٥)، انظر: "البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع": (٢/ ٢٧٩)، "الأعلام، للزركلي": (٧/ ١٥٢).

(٣) "البحر المحيط": (١٠/ ٥٧١).

(٤) "إرشاد العقل السليم": (٩/ ٢١٣).

وقال الرازي: "السؤال الثاني: لماذا اقتصر علىٰ ذكر الماضي فقال: لم يلد ولم يقل: لن يلد؟ الجواب: إنما اقتصر علىٰ ذلك لأنه ورد جوابا عن قولهم ولد الله والدليل عليه قوله تعالىٰ: ﴿أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ﴾ [الصافات: ١٥١ - ١٥٢] فلما كان المقصود من هذه الآية تكذيب قولهم وهم إنما قالوا ذلك في الماضي، لا جرم وردت الآية علىٰ وفق قولهم"[(١)].

وقال القاسمي: "بقوله سبحانه لَمْ يَلِدْ نصيبا علىٰ إبطال زعم المفترين في حق الملائكة والمسيح، ولذلك ورد النفي علىٰ صيغة الماضي. أي لم يصدر عنه ولد"[(٢)].

وقال ابن عاشور: "وإنما نفي أن يكون الله والدا وأن يكون مولودا في الزمن الماضي؛ لأن عقيدة التولد ادعت وقوع ذلك في زمن مضىٰ، ولم يدع أحد أن الله سيتخذ ولدا في المستقبل"[(٣)].

المطلب الثالث: أسلوب العدول عن الترتيب الفطري في نفي الولدية قبل الوالدية، إلى نفي الوالدية قبل الولدية.

المسألة الأولىٰ: صورة الأسلوب:

أن الترتيب الفطري المشاهد هو أن تسبق الولدية الوالدية، فالإنسان يولد أولاً ثم يتدرج في الحياة إلىٰ أن يصبح والداً، فلم يقل (لم يولد ولم يلد).

المسألة الثانية: تعليلها:

١- لأنه أهم حيث قد نسب أهل الضلال له سبحانه كونه والداً له ولد، ولم يقل أحد بكونه تعالىٰ ولد له والد.

(١) "مفاتيح الغيب": (٣٢/ ٣٦٤).
(٢) "محاسن التأويل": (٩/ ٥٦٩).
(٣) "التحرير والتنوير": (٣٠/ ٦١٨).

٢- فيه إبطال بالصراحة أن من يكون مولوداً لا يمكن أن يكون إلهاً، وإبطال بالكناية لإلهية كل مولود كما في بعض العقائد الضالة.

قال الرازي: فإن قلت "لم قدم قوله: لم يلد على قوله: ولم يولد مع أن في الشاهد يكون أولا مولودا، ثم يكون والدا؟ الجواب: إنما وقعت البداءة بأنه لم يلد؛ لأنهم ادعوا أن له ولدا، وذلك لأن مشركي العرب قالوا:

الملائكة بنات الله، وقالت اليهود عزير ابن الله، وقالت النصارى المسيح ابن الله ولم يدع أحد أن له والدا فلهذا السبب بدأ بالأهم فقال: لم يلد ثم أشار إلى الحجة فقال: ولم يولد كأنه قيل: الدليل على امتناع الولدية اتفاقنا على أنه ما كان ولدا لغيره"[1].

وقال ابن عاشور: "وإنما قدم نفي الولد لأنه أهم إذ قد نسب أهل الضلالة الولد إلى الله تعالى ولم ينسبوا إلى الله والدا.

وفيه الإيماء إلى أن من يكون مولودا مثل عيسى لا يكون إلها لأنه لو كان الإله مولودا لكان وجوده مسبوقا بعدم لا محالة، وذلك محال لأنه لو كان مسبوقا بعدم لكان مفتقرا إلى من يخصصه بالوجود بعد العدم، فحصل من مجموع جملة: لم يلد ولم يولد إبطال أن يكون الله والدا لمولود، أو مولودا من والد بالصراحة، وبطلت إلهية كل مولود بطريق الكناية فبطلت العقائد المبنية على تولد الإله... وبطلت عقيدة النصارى بإلهية عيسى عليه السلام بتوهمهم أنه ابن الله وأن ابن الإله لا يكون إلا إلها بأن الإله يستحيل أن يكون له ولد فليس عيسى بابن لله، وبأن الإله يستحيل أن يكون مولودا بعد عدم، فالمولود المتفق على أنه مولود يستحيل أن يكون إلها فبطل أن يكون عيسى إلها.

فلما أبطلت الجملة الأولى إلهية إله غير الله بالأصالة، وأبطلت الجملة الثانية

(١) "مفاتيح الغيب": (٣٢/ ٣٦٣).

إلهية غير الله بالاستحقاق، أبطلت هذه الجملة إلهية غير الله بالفرعية والتولد بطريق الكناية"[1].

المطلب الرابع: أسلوب العدول عن نفي اتخاذ الولد، إلى النفي المباشر للولادة حيث قال: ﴿لَمْ يَلِدْ﴾.

المسألة الأولىٰ: صورة الأسلوب:

في كل المواضع التي ذكرت فيها نسبة الولد إلىٰ الله تعالىٰ في القرآن سواءً كانت علىٰ سبيل حكاية الفرية، أو علىٰ سبيل تنزيه الله تبارك وتعالىٰ، فإن ذلك يكون بذكر لفظ الاتخاذ للولد، ما عدا في سورة الإخلاص فبنفي الولادة مباشرة.

فقال تعالىٰ في سورة البقرة: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾ [البقرة:١١٦].

وفي سورة يونس قوله تعالىٰ: ﴿قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾[يونس:٦٨].

وفي سورة الإسراء ورد قوله تعالىٰ: ﴿لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾[الإسراء:١١١].

وفي سورة مريم قال تعالىٰ: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا﴾[مريم:٨٨]، وقال فيها أيضاً: ﴿وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾[مريم:٩٢].

وفي سورة الأنبياء قال تعالىٰ: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾[الأنبياء:٢٦].

وفي سورة المؤمنون قال: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[المؤمنون:٩١].

وفي سورة الفرقان قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن

(١) "التحرير والتنوير": (٣٠/ ٦١٨).

﴿لَهُۥ شَرِيكٌ فِي ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢].

وقال تعالىٰ في سورة الزمر: ﴿لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ [الزمر: ٤].

وقال في سورة الزخرف: ﴿أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُم بِٱلْبَنِينَ﴾ [الزخرف: ١٦].

وقال في سورة الجن: ﴿مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ [الجن: ٣].

بينما في سورة الإخلاص قال عز من قائل: ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ بنفي الولادة مباشرة وهذا هو الموضع الوحيد في القرآن بهذا الأسلوب.

المسألة الثانية: تعليلها:

يمكن تلمس السبب في ذلك بمعرفة الفرق بين الولادة، واتخاذ الولد.

ذلك أن الولادة تقتضي المجانسة والمصاحبة، ثم صدور الولد تعالىٰ عن ذلك علواً كبيراً وهذا يستلزم المشابهة وهذا المشاهد بين الأب والابن في جميع الأجناس.

أما اتخاذ الولد فيقتضي العجز أو إرادة الاستعانة لمن يعينه ويقضي له حاجته فقط.

كما أن النصارىٰ فريقان، فريق يدعي الولد حقيقة لله تعالىٰ بأن عيسىٰ ابن الله علىٰ الحقيقة، والآخر يدعي أنه اتخذه ولداً علىٰ سبيل التشريف له عليه السلام كما اتخذ سبحانه إبراهيم عليه السلام خليلاً.

فاتخاذ الولد ينفي فرية الفريق الثاني، ونفي الولادة ينفي فرية الفريق الأول، ولكن اللمسة البيانية في الفرق بين الصيغتين تكمن والله أعلم في أن نفي الولادة أكمل وأبلغ وهي لم ترد بهذا الأسلوب المباشر إلا في سورة الإخلاص التي جمعت نفي كل نقص، إزاء إثبات كل كمال، ذلك أن نفي الولادة يقتضي نفي أربعة أمور:

(المصاحبة فالمجانسة، ثم الولد والمشابهة)، وأما اتخاذ الولد فيقتضي نفي أمر واحد وهو الحاجة إلىٰ المعين فإن من لم يصدر عنه الولد، فإنه قد يتجه لاتخاذ ولد ليربيه ويعينه، واتخاذ الولد لا يكون إلا عند الحاجة، والله سبحانه واحد أحد غني سبحانه، لا ولد له اتخذه ولم يصدر عنه الولد ﷻ.

وأيضاً فإن في سورة الإخلاص إثبات صفة الصمدية وهي تنفي الولد، واتخاذ الولد إذ لا حاجة له إلىٰ أحد سبحانه.

قال الرازي: "السؤال الثالث: لم قال هاهنا: لم يلد وقال في سورة بني إسرائيل: ﴿لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ [الإسراء: ١١١]؟ الجواب: أن الولد يكون علىٰ وجهين: أحدهما: أن يتولد منه مثله وهذا هو الولد الحقيقي والثاني: أن لا يكون متولدا منه ولكنه يتخذه ولدا ويسميه هذا الاسم، وإن لم يكن ولدا له في الحقيقة، والنصارىٰ فريقان: منهم من قال: عيسىٰ ولد الله حقيقة، ومنهم من قال: إن الله اتخذه ولدا تشريفا له، كما اتخذ إبراهيم خليلا تشريفا له، فقوله: لم يلد فيه إشارة إلىٰ نفي الوالد في الحقيقة، وقوله: لم يتخذ ولدا إشارة إلىٰ نفي القسم الثاني، ولهذا قال: ﴿لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ﴾[الإسراء: ١١١]؛ لأن الإنسان قد يتخذ ولدا ليكون ناصرا ومعينا له علىٰ الأمر المطلوب، ولذلك قال في سورة أخرىٰ: ﴿قَالُوا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ هُوَ ٱلْغَنِىُّ﴾[يونس: ٦٨] وإشارة إلىٰ ما ذكرنا أن اتخاذ الولد إنما يكون عند الحاجة"[(١)].

وقال الزمخشري[(٢)]: "وقوله: ﴿لَمْ يَلِدْ﴾: نفيٌ للشبه والمجانسة"[(٣)].

(١) "مفاتيح الغيب": (٣٢/ ٣٦٤).

(٢) هو: محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشري، جار الله، أبو القاسم: من أئمة المعتزلة، ولد في زمخشر (من قرىٰ خوارزم) وسافر إلىٰ مكة فجاور بها زمنا فلقب بجار الله، من مؤلفاته: (الكشاف في تفسير القرآن)، و(أساس البلاغة والمفصل)، وتوفي في خوارزم (٥٣٨هـ)، انظر: "سير أعلام النبلاء": (٢٠/ ١٥١)، "الأعلام، للزركلي": (٧/ ١٧٨).

(٣) "الكشاف": (٤/ ٨١٨).

وقال قبلها: "﴿لَمْ يَلِدْ﴾؛ لأنه لا يجانس، حتىٰ تكون له من جنسه صاحبة فيتوالدا. وقد دل علىٰ هذا المعنىٰ بقوله أنىٰ يكون له ولد ولم تكن له صاحبة"[1].

وقال ابن عاشور: "جملة: ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ خبر ثان عن اسم الجلالة من قوله: الله الصمد، أو حال من المبتدأ أو بدل اشتمال من جملة الله الصمد؛ لأن من يصمد إليه لا يكون من حاله أن يلد لأن طلب الولد لقصد الاستعانة به في إقامة شؤون الوالد وتدارك عجزه، ولذلك استدل علىٰ إبطال قولهم: اتخذ الله ولدا بإثبات أنه الغني في قوله تعالىٰ: ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾[يونس: ٦٨] فبعد أن أبطلت الآية الأولىٰ من هذه السورة تعدد الإله بالأصالة والاستقلال، أبطلت هذه الآية تعدد الإله بطريق تولد إله عن إله؛ لأن المتولد مساو لما تولد عنه.

والتعدد بالتولد مساو في الاستحالة لتعدد الإله بالأصالة لتساوي ما يلزم علىٰ التعدد في كليهما من فساد الأكوان المشار إليه بقوله تعالىٰ: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[الأنبياء:٢٢] (وهو برهان التمانع)[2] ولأنه لو تولد عن الله موجود آخر للزم انفصال جزء عن الله تعالىٰ وذلك مناف للأحدية كما علمت آنفا وبطل اعتقاد المشركين من العرب أن الملائكة بنات الله تعالىٰ فعبدوا الملائكة لذلك؛ لأن البنوة للإله تقتضي إلهية الابن قال تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ

(١) "الكشاف": (٤/ ٨١٨).

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية في تفسيره: "وذلك أن دليل التمانع المشهور عند المتكلمين: أنه لو كان للعالم صانعان لكان أحدهما إذا أراد أمرا وأراد الآخر خلافه، مثل أن يريد أحدهما إطلاع الشمس من مشرقها، ويريد الآخر إطلاعها من مغربها أو من جهة أخرىٰ امتنع أن يحصل مرادهما؛ لأن ذلك جمع بين الضدين، فيلزم إما أن لا يحصل مراد واحد منهما، فلا يكون واحد منهما ربا وإما أن يحصل مراد أحدهما دون الآخر فيكون الذي حصل مراده هو الرب دون الآخر": "منهاج السنة النبوية": (٣/ ٣٠٥).

مُّكْرَمُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٦]"[1].

"وكما تنفي الصمدية الولد، تنفي اتخاذ الولد أيضاً أي أن يتخذ من مخلوقاته ولداً لأنه ليست له حاجة إلىٰ ذلك وإنما كل الخلق محتاجون إليه، فاسمه الصمد ينفي الولد وينفي اتخاذ الولد"[2].

❊ ❊ ❊

(١) "التحرير والتنوير": (٣٠/ ٦١٨).

(٢) "علىٰ طريق التفسير البياني": (١/ ٦٨).

المبحث الرابع
المظاهر الأسلوبية في قوله تعالى: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾

وتحته ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أسلوب التذييل[1] للسورة بهذه الآية.

المسألة الأولىٰ: صورة الأسلوب:

حوت السورة العظيمة من التوحيد وكمال الإثبات وكمال النفي الشيء العظيم، ثم جاءت خاتمتها بهذه الآية العظيمة.

المسألة الثانية: تعليلها:

يوضح هذه العلة الطاهر ابن عاشور بقوله: "﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾: في معنىٰ التذييل للجمل التي قبلها لأنها أعم من مضمونها؛ لأن تلك الصفات المتقدمة صريحها وكنايتها وضمنيها لا يشبهه فيها غيره، مع إفادة هذه انتفاء شبيه له فيما عداها مثل صفات الأفعال كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ﴾[الحج: ٧٣]"[2]، ويعززه ما سيأتي في المطلبين التاليين إن شاء الله.

المطلب الثاني: أسلوب تقديم ماحقه التأخير.

المسألة الأولىٰ: صورة الأسلوب:

قدم في الآية ما حقه التأخير وهو: الجار والمجرور ﴿لَّهُۥ﴾ علىٰ اسم كان:

(١) التذييل هو: "أن يذيل الناظم أو الناثر كلامًا، بعد تمامه وحسن السكوت عليه، بجملة تحقق ما قبلها من الكلام، وتزيده توكيدًا وتجري مجرىٰ المثل، بزيادة التحقيق": "خزانة الأدب ونهاية الأرب" لابن حجة الحموي: (١/ ٢٤٢).

(٢) "التحرير والتنوير": (٣٠/ ٦١٩ - ٦٢٠).

﴿أَحَدٌ﴾، فلم يقل: (ولم يكن أحد كفواً له)، أو (ولم يكن أحد له كفواً)، بل قال: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾.

المسألة الثانية: تعليلها:

١- للاهتمام به إذ المقصود نفي مشابهة أحد له سبحانه.

٢- لاحتوائه علىٰ ضمير الجلالة فيقدم.

٣- رعاية للفاصلة.

قال الرازي: "فإن قلت: الكلام العربي الفصيح أن يؤخر الظرف الذي هو لغو غير مستقر ولا يقدم، وقد نص سيبويه[١] علىٰ ذلك في «كتابه»، فما باله ورد مقدما في أفصح الكلام؟ والجواب: هذا الكلام إنما سيق لنفي المكافأة عن ذات الله، واللفظ الدال علىٰ هذا المعنىٰ هو هذا الظرف، وتقديم الأهم أولىٰ، فلهذا السبب كان هذا الظرف مستحقا للتقديم"[٢].

وقال البيضاوي: "﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ أي ولم يكن أحد يكافئه أو يماثله من صاحبة أو غيرها، وكان أصله أن يؤخر الظرف لأنه صلة كُفُواً لكن لما كان المقصود نفي المكافأة عن ذاته تعالىٰ قدم تقديماً للأهم"[٣].

وقال أبو السعود: "و﴿لَّهُۥ﴾ صلة لكفؤا قدمتْ عليهِ معَ أنَّ حَقَّهَا التأخرُ عَنْهُ للاهتمامِ بِهَا لأنَّ المقصودَ نفيُ المكافأةِ عنْ ذاتِهِ تعالَىٰ"[٤].

وقال ابن عاشور: "وتقدم علىٰ كفوا للاهتمام به، إذ فيه ضمير الباري تعالىٰ.

(١) هو: عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه: إمام النحاة، وأول من بسط علم النحو، ولد في إحدىٰ قرىٰ شيراز، وقدم البصرة، فلزم الخليل بن أحمد ففاقه، وصنف كتابه المسمىٰ «كتاب سيبويه» في النحو، لم يصنع قبله ولا بعده مثله، توفي: (١٨٠هـ)، انظر: "سير أعلام النبلاء": (٨/ ٣٥١)، "الأعلام، للزركلي": (٥/ ٨١).

(٢) "مفاتيح الغيب": (٣٢/ ٣٦٥).

(٣) "أنوار التنزيل": (٥/ ٣٤٧).

(٤) "إرشاد العقل السليم": (٩/ ٢١٣).

وتوسط الخبر، وإن كان الأصل التأخر؛ لأن تأخر الاسم هو فاصلة فحسن ذلك في معنىٰ التذييل للجمل التي قبلها لأنها أعم من مضمونها لأن تلك الصفات المتقدمة صريحها وكنايتها وضمنيها لا يشبهه فيها غيره"[١].

وقال: "وتقديم المجرور بقوله: له علىٰ متعلقه وهو كفوا للاهتمام باستحقاق الله نفي كفاءة أحد له، فكان هذا الاهتمام مرجحا تقديم المجرور علىٰ متعلقه وإن كان الأصل تأخير المتعلق إذا كان ظرفا لغوا. وتأخيره عند سيبويه أحسن ما لم يقتض التقديم مقتض كما أشار إليه في «الكشاف»"[٢].

المطلب الثالث: أسلوب تأخير ماحقه التقديم.

المسألة الأولىٰ: صورة الأسلوب:

أخر في الآية ما حقه التقديم وهو اسم كان ﴿أَحَدٌ﴾، وقدم خبرها ﴿كُفُوًا﴾، فلم يقل: (ولم يكن أحد كفواً له) أو (ولم يكن أحد له كفواً)، بل قال: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾.

المسألة الثانية: تعليلها:

١- فيه إثبات بأنه لا صاحبة له سبحانه، إذ لا يوجد كفؤاً له فيصاهره.

٢- مراعاة للفاصلة.

٣- لما اختصت السورة بتفرده سبحانه ونفي الولد والوالد والصاحبة ناسب أن تختم السورة بأنه لا يوجد شيء من الموجودات مساويًا له في أي شيء، فكان تأكيداً لما ورد في كل السورة.

٤- وليكون نفي المماثلة والمكافأة عن الله تعالىٰ أسبق للسمع بعد

(١) "التحرير والتنوير": (٣٠/ ٦١٩).

(٢) "المصدر السابق": (٣٠/ ٦٢٠).

النفي مباشرة.

قال الرازي: "قال مجاهد: لم يكن له صاحبة كأنه ﷻ قال: لم يكن أحد كفؤا له فيصاهره، ردا علىٰ من حكىٰ الله عنه قوله: ﴿وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا﴾ [الصافات: ١٥٨] فتفسير هذه الآية كالتأكيد لقوله تعالىٰ: ﴿لَمْ يَلِدْ﴾"[(١)].

وقال: "التحقيق أنه تعالىٰ لما بين أنه هو المصمود إليه في قضاء الحوائج ونفي الوسائط من البين بقوله: لم يلد ولم يولد علىٰ ما بيناه، فحينئذ ختم السورة بأن شيئا من الموجودات يمتنع أن يكون مساويا له في شيء من صفات الجلال والعظمة"[(٢)].

وقال أبو السعود: "وأما تأخيرُ اسمِ كانَ فلمراعاةِ الفواصلِ"[(٣)].

وقال ابن عاشور: "وأحد هنا بمعنىٰ إنسان أو موجود، وهو من الأسماء النكرات الملازمة للوقوع في حيز النفي، وحصل بهذا جناس تام مع قوله: قل هو الله أحد وتقديم خبر (كان) علىٰ اسمها للرعاية علىٰ الفاصلة وللاهتمام بذكر الكفؤ عقب الفعل المنفي ليكون أسبق إلىٰ السمع"[(٤)].

❊ ❊ ❊

(١) "التحرير والتنوير": (٣٢/ ٣٦٥).

(٢) "المصدر السابق".

(٣) "إرشاد العقل السليم": (٩/ ٢١٣).

(٤) "التحرير والتنوير": (٣٠/ ٦٢٠).

الخاتمة

الحمد لله الذي بلغ هذا البحث إلىٰ منتهاه، والذي أوجز في خاتمته أهم النتائج والتوصيات علىٰ النحو التالي:

أهم النتائج:

١- سميت سورة الإخلاص بأسماء عديدة، ولكن أشهرها هو سورة الإخلاص؛ لأنها خلصت الناس من الشرك ففيها تعليم الناس إخلاص العبادة لله تعالىٰ.

٢- جمعت السورة إثبات كل كمال لله تعالىٰ، كما جمعت نفي كل نقص عنه سبحانه.

٣- بدأت السورة بفعل الأمر ﴿قُلْ﴾ للنبي ﷺ للدلالة علىٰ أمور عدة منها: إثبات رسالته عليه الصلاة والسلام وغير ذلك.

٤- ورد بعد فعل القول ضمير الشأن ﴿هُوَ﴾ لأمور منها: التنبيه علىٰ أهميته وأنه من الشهرة والنباهة بحيث يستحضره كل أحد.

٥- وردت الصفة المشبهة ﴿أَحَدٌ﴾ دون اسم الفاعل: (واحد)، لأمور منها: كونها تدل علىٰ تمكن الوصف واختصاصه أكثر من اسم الفاعل، ولأن: ﴿أَحَدٌ﴾ لا يوصف بها غير الله تبارك وتعالىٰ، كما أنها وردت منكرة لتنكر العرب آنذاك لأحديته تبارك وتعالىٰ.

٦- أسلوب تكرار اسمه تبارك وتعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ﴾ للإشعار باستحقاقه تعالىٰ وحده للألوهية، كما ورد مجرداً عن العاطف لأن صمديته تبارك وتعالىٰ نتاج أحديته سبحانه ومترتبة عليها.

٧- تعريف صفة ﴿ٱلصَّمَدُ﴾ علىٰ الرغم من تنكير صفة ﴿أَحَدٌ﴾ قبلها، وذلك لكون صمديته تعالىٰ معروفة لدىٰ مشركي العرب ويقرون بها.

٨- العدول عن الترتيب الفطري في نفي الولدية قبل الوالدية، إلىٰ نفي الوالدية قبل الولدية، لأمور منها: أن هذه هي فرية أهل الضلال، ولم يقل أحد منهم أن له والدا ﷻ.

٩- العدول عن نفي اتخاذ الولد، إلىٰ نفي الولادة مباشرة، كونه أنسب للسورة التي جمعت كمال النفي وكمال الإثبات والتوحيد لله تعالىٰ، إذ أن نفي الولادة أبلغ وأكمل من نفي اتخاذ الولد.

١٠- أسلوب التذييل للسورة بقوله تعالىٰ: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ جمع جمال الأسلوب وجمال المناسبة مع السورة وجمال التذيل للسورة.

أهم التوصيات:

وأوصي في نهاية هذا البحث بالتوصيات التالية:

١- اعتناء الباحثين بدراسة المظاهر الأسلوبية كما اعتنىٰ بها المفسرون وتعليلها في سور القرآن الكريم، مما يزيد المكتبة التفسيرية ثراءً ونماءً.

٢- العناية بالدراسات اللسانية عموماً والبلاغية البيانية خصوصاً وربطها بكتب المفسرين الذين ألمحوا إلىٰ مثل هذا النوع من اللغويات.

* * *

المصادر والمراجع

١. **الإتقان في علوم القرآن**، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، بدون طبعة، ١٣٩٤هـ.

٢. **إرشاد العقل السليم إلىٰ مزايا الكتاب الكريم (تفسير أبي السعود)**، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفىٰ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، بدون طبعة،بدون تاريخ.

٣. **أسباب النزول**، علي بن أحمد الواحدي، تحقيق: عصام الحميدان، دار الإصلاح، الدمام، السعودية، ط٢، ١٤١٢هـ.

٤. **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبدالواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبدالموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٥هـ.

٥. **الأسلوب والأسلوبية**، عبد السلام المسدي، الدار العربية للكتب، تونس، ط٢، ١٩٨٠م.

٦. **الأسلوب**، أحمد الشايب، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، ط١٢، ٢٠٠٣م.

٧. **الأعلام**، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط١٥، ٢٠٠٢م.

٨. **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٨هـ.

٩. **أوضح المسالك إلىٰ ألفية ابن مالك**، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن هشام، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر، دمشق، سوريا، بدون طبعة، بدون تاريخ.
١٠. **البحر المحيط في التفسير**، أبو حيان محمد بن يوسف بن حيان، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، لبنان، بدون طبعة، ١٤٢٠هـ.
١١. **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع**، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، دار المعرفة، بيروت، لبنان، بدون طبعة، بدون تاريخ.
١٢. **بغية الوعاة، عبد الرحمن بن أبي بكر**، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان، بدون طبعة، بدون تاريخ.
١٣. **تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام**، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٣م.
١٤. **تحرير المعنىٰ السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد**، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، بدون طبعة، ١٩٨٤هـ.
١٥. **تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد**، محمد بن عبد الله، الجياني، تحقيق: محمد كامل بركات، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، بدون طبعة، ١٣٨٧هـ.
١٦. **توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك**، بدر الدين حسن بن قاسم المرادي، تحقيق: عبد الرحمن علي سليمان، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٨هـ.
١٧. **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، حمد بن جرير الطبري، تحقيق: الدكتور عبد الله التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة، مصر، ط١، ١٤٢٢هـ.

١٨. **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه (صحيح البخاري)**، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ.

١٩. **الحيوان**، عمرو بن بحر الشهير بالجاحظ ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٢٤هـ.

٢٠. **خزانة الأدب وغاية الأرب**، ابن حجة الحموي، تحقيق: عصام شقيو، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ودار البحار، بيروت، لبنان، ط: الأخيرة، ٢٠٠٤م.

٢١. **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية، الهند، ط٢، ١٣٩٢هـ.

٢٢. **سير أعلام النبلاء**، محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤٠٥هـ.

٢٣. **طبقات المفسرين**، أحمد بن محمد الأدنه وي، سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة النبوية، السعودية، ط١، ١٤١٧هـ.

٢٤. **طبقات المفسرين**، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، ط١، ١٣٩٦هـ.

٢٥. **علىٰ طريق التفسير البياني**، فاضل صالح السامرائي، مطبوعات جامعة الشارقة، بدون طبعة، ١٤٢٣هـ.

٢٦. **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، أبو القاسم محمود بن عمرو الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤٠٧هـ.

٢٧. **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي،

تحقيق: أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ.

٢٨. **لسان العرب**، محمد ابن منظور، دار صادر، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤١٤هـ.

٢٩. **مثير العزم الساكن إلىٰ أشرف الأماكن**، جمال الدين أبو الفرج الجوزي، تحقيق: مرزوق علي إبراهيم، دار الراية، الرياض، السعودية، ط١، ١٤١٥هـ.

٣٠. **محاسن التأويل**، محمد جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٨هـ.

٣١. **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، أبو البركات عبد الله بن أحمد النسفي، تحقيق: يوسف علي بديوي، تقديم: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، لبنان، بدون ط١، ١٤١٩هـ.

٣٢. **المستقصىٰ في أمثال العرب**، محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٨٧م.

٣٣. **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلىٰ رسول الله ﷺ**، مسلم بن الحجاج، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، بدون طبعة، بدون تاريخ.

٣٤. **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ.

٣٥. **معجم المؤلفين**، لعمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة الدمشق، مكتبة المثنىٰ – بيروت، دار إحياء التراث العربي – بيروت، بدون طبعة، بدون تاريخ.

٣٦. **المعجم الوسيط**، مجمع اللغة العربية بالقاهرة: (إبراهيم مصطفىٰ، وأحمد الزيات، وحامد عبد القادر، ومحمد النجار)، دار الدعوة، إسكندرية، مصر، بدون طبعة، بدون تاريخ.

٣٧. **مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)**، محمد بن عمر الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤٢٠هـ.
٣٨. **مقاييس اللغة**، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، دمشق، سوريا، بدون طبعة، ١٣٩٩هـ.
٣٩. **الملل والنحل**، محمد بن عبد الكريم بن أبىٰ بكر أحمد الشهرستاني، مؤسسة الحلبي، بيروت، لبنان، بدون طبعة، بدون تاريخ.
٤٠. **منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية**، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني، تحقيق: محمد رشاد سالم، من مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ط١، ١٤٠٦هـ.
٤١. **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، إبراهيم بن عمر البقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، مصر، بدون طبعة، بدون تاريخ.

❊ ❊ ❊

ملخصات البحوث
باللغة الإنجليزية

Stylistic manifestations in Surat Al ikhlās at the interpreters

Dr. Iman bint Abdullah bin Omar Al-Amoudi

Abstract

Research Title: Interpreters' Stylistic manifestations in Surah Al - Ikhlas, a research aimed at collecting, presenting and studying the stylistic manifestations in Surah Al-Ikhlas as mentioned by the interpreters in their interpretations, which highlights the miraculous stylistic aspects in the Sura, and the mastery of Sura in light of these stylistic manifestations and its explanations and connotations

I followed the method of inductive reasoning, mentioning the stylistic manifestations in each of the verses of the sura separately, and then mention the statements of interpreters about it, with its explanations and evidence as contained in the books of interpretation.

The end of the search yielded several conclusions: As the sura in its method is used to prove all perfection of Allah, and to deny all the deficiencies of Him, and the beauty of the beginning of the sura and the explanation of the matter by statements.

The reason for the occurrence of the trait is: (one) an exception to the subject name: (one), and the definition of adjective: (Alsamad) despite the indefinite adjective (Ahad) before it, and the reason for the abandonment of the innate order from the being born before denial of being , Taking the child to deny the birth directly in this surah, in particular, the beauty of the conclusion of the Sura can be added to the beauty of the beginning.

The research also concluded that scholars should take care of the linguistic and rhetorical studies of the Qur'an by linking them to interpretations, and to find out the method of the interpreters in their presentation, and to pay attention to the explanation of the stylistic manifestations in the Holy Quran, in the light of what the commentators have written

Keywords: Surah Al-Ikhlas, manifestations, stylistic, interpreters.

❊ ❊ ❊

The Harmonic Quran
Presentation and criticism of the way it is written and its purpose

Dr. Asim bin Abdullah bin Mohammed Al Hamad

Abstract

One of the kinds of Mushaf that spread recently and contributed to the dissemination and spreading of modern technology of Mushaf called: harmonic Mushaf. According to series of the writing of Saeed Alnourasi. His rewriting is intended to highlight linear harmony: either by alignment or by the perceived parallel between what is repeated in the Qur'an from the word of Majesty (God) or between it and the word (Lord) wherever it occurs.

Taking in consideration other concordances in the row of writing, the words of the Qoran and attributed this work as a stage of showing the miracle of the Qoran. However, Alnourasi was born in a mystical environment so, he was preoccupied with what he sees as the nation's call to faith. This made Alnourasi attracted to know the miracle of the Qoran, which lead him to proceed this devise in the way that harmonic Mushaf was written with.

Because of that Alnourasi made many mistakes, including: his entry into the so-called numerical miracle, and criticized the taking over in this section.

the research shows that the issue of miracle was not restricted by the conditions and controls set by scholars but the idea of writing the harmonic Qoran is far away from the miracle. However, the belief that this kind of writing is a miracle has many consequences and give idea that Islam is imperfection, not complementarity and improvement.

❊ ❊ ❊

To elucidate the features of the Timmy curriculum in authorship through the introduction of the interpretation

Dr. Mohammed bin Rashid Mohammed Al Baraka

Abstract

Research Title: Explaining Features of Ibn Taymiyah's Approach in Authorship in the light of Interpretation Introduction.

Researcher name and scientific degree: Mohammed Bin Rashid Bin Mohammed Al Baraka, Assistant Professor.

Research Subject: Dividing scientific topics and issues (Interpretation Introduction), explaining features of Ibn Taymiyah's Scientific Approach and Method features of Ibn Taymiyah's Introduction and finally discussing comments on the Introduction.

Research Objectives: To highlight the scientific and stylistic features of Ibn Taymiyah's Authorship Approach in the light of their examples and evidence in (Interpretation Introduction).

Research Methodology: The descriptive approach is predominant on this research, except for the last topic in which the Critical Approach is used.

Key Research Conclusions: Ibn Taymiyah's authorship features in the Introduction are divided into two types:

- **First**: scientific features; seven features shown as follows: Salafi Doctrine, evidence consideration, providing different judgments, tracing the relevant Sharia roots, giving several examples, impartiality and diversity.
- **Second**: stylistic features, six features shown as follows: digression, frequency, summarization, circumlocution, simple method, arrangement and spontaneous writing.

Comments on the Introduction are five, most of which are discussed and replied on.

Main Recommendations: the Researcher provided two recommendations: to have knowledge of the issues roots in its original sciences and urging to have knowledge of the scholars' authorship approach in their works.

Key Words: Authorship Methodology, Ibn Taymiyah, Interpretation Origins, Interpretation Introduction.

❊ ❊ ❊

The proportion between the multiple section and its answer in the Holy Koran

Dr. Nasser bin Mohammed bin Nasser Al Ashwan

Abstract

The congruity between the Qur'an's verses and chapters is one of the demonstrations of the rhetorical miraculousness of the Holy Qur'an. Of such congruity is the aptness between an oath and what it is set upon. Many interpreters have reasoned that whatever object is sworn upon is an indication to its holiness or importance, regardless of the placement of such object of an oath, and regardless to the relation between what is swon by and what is sworn upon. This research aims to reveal the similar aspects between what is sworn by and what is sworn upon, and to prove a strong correlation between the two, wherein if what is sworn by is misplaced, the meaning and eloquence of the text would be deficient. This study will also mention the positions of scholars regarding the reasonings behind swearing by and swearing upon things, as well as the congruity aspects of such oaths. Moreover, multiplied oaths are found in twenty-one places, contained within twenty chapters of the Holy Qur'an.

❊ ❊ ❊

Eliminating the accidental suspicion and confusion of many of the people in the transfer of {the most faithful people} for Abu Zaid Ibn al-Qadi (d. 1082 AH), study and investigation

Dr. Yazeed bin Mohammed bin Abdulrahman Al-Ammar

Abstract

This is an analitical study of a concise book about the Quran's recitational variations authored by a prominent scholar named Abi Zayed Ibn Alqadhi (1082), who introduced a compilation of topics ranging from the Quran's recitational variations to the science of Quranic writing scrip.

He also explained the Issue of Nagl (a certain way of pronouncing the Hamzah [ʔ] at the beginning of the Chapter of Ankaboot (the Spider), according to the Riwayah of Warsh. Unlike many scholars, he author supported the proposition of writing a Nagl marking on the Hamza [ʔ]. He also meticulously gathered a plethora of other scholars' opinions and discussions to support this disposition .

In fact, Ibn Algadhi is a prominent and renown scholar in the science of The Quran's writing script and his book is a great reference for researchers and students of Rasm and Quranic recitation variations .

In my study, I referred to four original manuscripts of Ibn Algadhi's book. So, the study ended up in two sections; one about the author and the second about his book.

❊ ❊ ❊

Research abstracts in English

Introduction of edition (35)

Praise be to Allah and prayer and peace be upon the Messenger of Allah and his family and companions and followers

It is to say that:

The greatest of the work of the Muslim in general and student of the Koran in particular is the service of the book of Allah, because the Holly Koran is an existing established argument to the Day of Judgment, in the curriculum of belief and the field of legislation, science and highness of morality; in its bright verses, its apparent Guidance, and compulsive secrets, which are reflected in the lights of its verses through the call for work, follow, forethought and the guidance paths day after day.

The service of the Holy Quran is initiated by the Muslim and competes with the student of the Koran in several ways, including its interpretation, learning, educating, and dissemination of its guidance. All is for Allah's pleasure. Scholars and students specialized in Quranic studies still take from its pure content, fresh source, and discuss the secrets, meanings, statement and guidance, in which the researcher discusses the knowledge and understanding of what Allah grant him.

In your hands, my favorite reader, this issue (35) of the (Bayan Journal of Quranic Studies), which include a number of scientific researches in the Koranic studies, a tongue spoken in the efforts of its researchers.

The principle of the Journal, despite its multiple orientations, is due to two words with broad meaning, which are: (the service of the Holly Koran) and the highlight of its secrets, and showing its guidance and meanings. It is going in its works and what is written in it through a steady pace, and a plan that goes line with its mission and objectives, and always seeks to develop its performance and control in its works, accuracy in judging what is published in it of scientific research. Moreover, the Journal is interested in and seeks to highlight its scientific effort in this area, to be accessible to the reader, and to the excellence in the diversity of research in its publications of the science of readings and methods of interpretation and science of the Holly Koran.

Allah is the conciliator to the right and he is the guide to the good path.

Prof. Dr. Abdullah Bin Abdulrahman Al Shathri

Second: If the Reference is Stat ed Again
The title of the book in bold followed by a comma, family name followed by a comma, and then the page followed by a full stop.

Example:
Al Sehah Tajul Lugha & Sehah of Arabic Language, Al Jawhari, 2/46.

- **Referencing Prophetic Hadeeth**: follow the same steps above, and add Hadeeth number and its judgment.
- Referencing a research in a journal: In addition to the above, research title shall be added after the journal's name in bold and then issue number.

All correspondence and subscription requests to be addressed to

The editor-in-chief of the Editorial Board

Kingdom of Saudi Arabia – Riyadh
B. O. Box: 5701 Riyadh: 11432
Phone: 2582705, Fax: 2582695
E-mail:
quranmag@gmail.com
Facebook: www.facebook.com/Quranmag
Twitter: https: //twitter.com/quranmag1
Association Address:
B. O. Box: 5701 – Riyadh – 11432, Phone: 2582695 – 0546667141
Association website:
www.alquran.org.sa

❊ ❊ ❊

Technical Specifications of the Research:

- The font (Traditional Arabic) is used for Arabic language typing with size of (18) white for content and bold for titles, and the size (14) White for footnotes and summary.
- The font (Times New Roman) is used for English language typing with size of (11) white for content and bold for titles, and the size (10) White for footnotes and summary.
- Number of research pages is (50) pages (A4).
- Leave an indent at the beginning of each paragraph of no more than 1 cm.
- The space between lines is single.
- Margins of the page up, down and left are 2.5cm and from the right are 3.5cm.
- Quranic verses are written in accordance with the E-Qur'an Book at King Fahd Complex for Printing the Holy Quran with the size of 14 plain-colored (non-bold).

Method of Referencing

Referencing Verses:

- Verses in the text are referenced directly following the Quranic text mentioning the Sura followed by a colon and then verse number within two brackets as follows: [Al-Baqarah: 255].

Referencing texts:

- The text to be referenced to be annexed within the content with a small upper number after the punctuation mark.
- Lower footnotes shall be then written down the page with separate numbering for each page and they shall be automatically adjusted the and not manually.

First, when a source is mentioned for the first time, as well as in the reference list at the end of the search.

The **title of the book in bold** followed by a comma, family name followed by a comma, first and second name, date of death of the author in brackets followed by a comma, publisher followed by a comma, place of publication followed by a comma, Edition number followed by a comma, date of publication followed by a comma and then part of the page followed by a full stop.

Example:

Al Sehah, Al Jawhari, Ismail Bin Hammad (1205 H), investigated by Ahmed Abdul-Ghafoor Atta, Dar Al Ilm Lil Malayeen, Beirut, Second Edition, 1404, 1984, 2/46.

- The arbitration decision depends on average marks by arbitrators including the following possibilities:
  - In case the research exceeds the degree of 90%, it is considered accepted to be published on its condition.
  - If it gets 60% to 89%, it needs amendment.
  - If it gets less than 60%, it shall be refused.

- In case of the need to re-edit the search with the amendments required from the researcher, in turn, he makes the amendment and if he confirms his view he shall respond the arbitrator's remark with illustration and confirmation of this view.
- After the research being re-edited, the researcher returns the research to the arbitrator for the final decision. The decision includes one of two possibilities:
  - Accepted for publication in the event of receiving a 90% and above.
  - Refused in the event of receiving a 90% or below.

Publishing Conditions:

- In case of accepting the research for publication, all copyright shall be assigned to the journal, and may not be published in any other publisher in paper copy or electronically without written permission of the Chief Editor of the journal. The journal has the right to publish the research on the Association's site and other sites of electronic publishing.
- The research shall be published electronically in the journal's website and in the same journal according to publishing a priority depending on the search's date of acceptance and considerations determined by the editorial staff, such as research variability into a single issue.
- In case of the research's acceptance for publication, the researcher sends acceptance of publishing, and when refused he will receive an apology for publishing.
- It is required to pay costs of evaluation in the following cases:
  - If sincerity of the acknowledgement is not proven.
  - If researcher violated the undertaking.
  - If the researcher withdraws his research after the evaluation.
  - If the researcher does not abide to deliver the research in its final form according to the approved terms of publishing in the journal.
- The researcher, when approving his research for publication, is committed to submit it in final form as referred to in the approved technical specifications.

- Submitting a file of translating the abstract, title of the study, researcher's name, title and keywords into English language. The translated abstract should be approved by a specialized translation office.

Arbitration Proceedings:

- The Editorial Board considers the extent to which the search achieves terms of publishing if it is identical to the terms of the Arbitration.

Evaluation Criteria	Full Mark	Actual Mark	Weaknesses
Scientific value of the subject	25		
Significance and scientific addition of the subject	25		
Correct research methodology	25		
Researcher's character and good treatment of the subject	25		
Total	100		

- The result is taken by average marks of the Editorial Board members.
- The research passes initial acceptance to be presented to arbitrators if it exceeds 60%.
- Research is governed by a minimum of two arbitrators with an academic title that equals or higher than the researcher's.
- Research is governed according to the following criteria:

Evaluation Criteria	Full Mark	Actual Mark	Weaknesses
Title: Quality of formation, matching title with content	5		
Research Annexes: an abstract, introduction, conclusion, recommendations, references and basic elements of each of them.	5		
Review of Literature: complete, clear relation in the study and academic addition.	5		
Language: grammar, dictation and printing	5		
Methodology: Clearness, correctness, compliance, plan accuracy and correct distribution.	10		
Style: explanation, concise, connectedness and clearness	20		
Scientific Content: matching title and objectives, scientific integrity, strength, clear and valuable scientific addition.	15		
References: originality, modernity, variability, comprehensiveness	5		
Findings: based on the subject, comprehensiveness and accuracy	5		
Recommendations: Based on the subject	5		
TOTAL	**100**		

Conditions & Procedures of Publishing In"Tibian"Journal for Quranic Studies

Scientific and Methodological Properties:

- Scientific honesty.
- Originality and innovation.
- Correct tendency.
- Correct research methodology.
- Considering basics of scientific research in quoting and referencing, correct language, dictation and printing.
- Writing an introduction that contains: (subject of the study, study problem, limitations, objectives, methodology, procedures, research plan, previous studies - if any - scientific and additions by the researcher).
- Dividing the study into chapters, sections and parts according to nature of the study, its subject and content.
- Writing a conclusion with a comprehensive summary that includes the most significant (Results) and (recommendations).
- Writing a list of references of the study, according to the technical specifications referred to later.

Terms of delivering the study:

- The study should not have been published.
- The study should not be taken from a research or a thesis given a scientific degree to the researcher. If this is the case, the researcher must refer to the matter, and it should have been already published, for the editorial board to consider the extent of scientific benefit from its publication.
- **Number of pages should not be more than 50 pages with – complete with annexes – after adherence to technical specifications for printing the research in terms of font type, size, spacing, and margins.**
- The search should be submitted to the website of the journal in an electronic version (Microsoft Word) and another copy with the format (PDF) without researcher's data.

Research Attachments upon Delivery:

- Submitting a file including search title and biography.
- Submitting a file including an abstract of the study not more than (200) words including the following elements: (study title, researcher's name and academic title, subject of the study, objectives, methodology, the most significant findings and the most significant recommendations) with keywords that accurately reflect the subject of the study and issues addressed so as not to exceed (6) words.

Tebian Journal for Quranic Studies

The General Supervision
Dr. Abdullah Hamoud Al-Amaj
Chairman of the Board of Directors of the Saudi Association for Holy Quran and its Sciences

Advisory Board

1-Prof.Muhammad Abdulrahman Al-Shay'e
Department of Quran and its Studies, Al-Imam Muhammad Ibn Saud Islamic University

2-Prof.Ali Ibn Sulaiman Al-Obaid.
Vice president of the affairs of the Prophet Mosque

3- Prof.Fahad Abdulrahman Al-Roomi
Department of Quranic Studies, King Saud University in Riyadh.

4-Prof.Ibrahim Ibn Saeed Al-Dawsary.
Head of the Science of the Holy Quran in Al Imam Muhammad Ibn Saud Islamic University and King Abdullah Ibn Abdulaziz Chair Professor of the Holy Quran in Al Imam Muhammad Ibn Saud Islamic University

5-Prof.Ahmad Sa'ad Muhammad Muhammad Al-Khateeb.
Dean of the College of Islamic and Arabic Studies, Al-Azhār University, Egypt.

6-Prof.Dhulkifl Ibn Alhaj Muhammad Yusoff Ibn Alhaj Ismail.
Dean of the Islamic Studies Academy, University of Malaya, Malaysia.

7-Prof.Tayar Alti Qolaj.
Chairman of the Board of Trustees, University of Istanbul, Turk.

8-Prof.Abdulrazaq Hermas.
Professor of higher education, College of Arts, Ibn Zohr University, Kingdom of Morocco.

9-Prof.Ghanim Qaduri Al-Hamad.
College of Education, University of Tikrit, Iraq.

10-Prof.Zayd Ibn Omar Al-Ees.
Supervisor of Bayinat Centre for Quranic Studies in the Hashemite Kingdom of Jordan.

❊ ❊ ❊

Editor-in-chief

Prof.Muhammad Suraie Al-Suraie
Department of Quran and its Studies, Al-Imam Muhammad Ibn Saud Islamic University -

❊❊❊

Abdullah Khalid Alhassan
Lecturer, Al-Imam Muhammad Ibn Saud Islamic University
Editorial Board

❊❊❊

1- Prof.Essa Nasser Al-Duraibi.
Department of Quranic Studies, King Saud University in Riyadh.

2- Prof.Ahmad Ali Al-Sudais.
Dean of the College of Quran and Islamic Studies, Islamic University in Madinah, Vice Chairman of the Board of directors of Tebian Association.

3- Prof.Abdulrahman Ma'adah Al-Shehri.
Department of Quranic Studies, King Saud University in Riyadh.

4- Prof.Yahiya Ibn Muhammad Zamzamy.
Professor of Quranic Recitations at Umm Alqura University in Makkah Al-Mukkaramah

5- Prof.Ibrahim Ibn Muhammad Alhomaidi
Professor of Quran and its Sciences at Qassim University

6- Prof.Hussain Ibn Ali Al-Harby.
Professor of Quran and its Sciences at Jazan University.

Ammar Adel Salem
Editorial Secretary

❊ ❊ ❊

Contents

	Address	Page
	Forewords: Editor-in-chief	**17**
	research	
1.	**Eliminating the accidental suspicion and confusion of many of the people in the transfer of {the most faithful people} for Abu Zaid Ibn al-Qadi (d. 1082 AH), study and investigation** Dr. Yazeed bin Mohammed bin Abdulrahman Al-Ammar	**21**
2.	**The proportion between the multiple section and its answer in the Holy Koran** Dr. Nasser bin Mohammed bin Nasser Al Ashwan	**73**
3.	**To elucidate the features of the Timmy curriculum in authorship through the introduction of the interpretation** Dr. Mohammed bin Rashid Mohammed Al Baraka	**157**
4.	**The Harmonic Quran** **Presentation and criticism of the way it is written and its purpose** Dr. Asim bin Abdullah bin Mohammed Al Hamad	**243**
5.	**Stylistic manifestations in Surat Al ikhlās at the interpreters** Dr. Iman bint Abdullah bin Omar Al-Amoudi	**273**
	Research abstracts in English	**321**

❊ ❊ ❊

KINGDOM OF SAUDI ARABIA
Ministry Of Education
Al-Imam Muhammad Ibn Saud
Islamic University
Saudi Academic Association Of
The Holy Qur'an and Its sciences

TBEIAN

FOR QUR'ANIC STUDIES

Refereed Scholarly Journal

Contents

- Eliminating the accidental suspicion and confusion of many of the people in the transfer of {the most faithful people} for Abu Zaid Ibn al-Qadi (d. 1082 AH), study and investigation — Dr. Yazeed bin Mohammed bin Abdulrahman Al-Ammar
- The proportion between the multiple section and its answer in the Holy Koran — Dr. Nasser bin Mohammed bin Nasser Al Ashwan
- To elucidate the features of the Timmy curriculum in authorship through the introduction of the interpretation — Dr. Mohammed bin Rashid Mohammed Al Baraka
- The Harmonic Quran
  Presentation and criticism of the way it is written and its purpose — Dr. Asim bin Abdullah bin Mohammed Al Hamad
- Stylistic manifestations in Surat Al ikhlā at the interpreters — Dr. Iman bint Abdullah bin Omar Al-Amoudi

٣٥ 35

TBEIAN FOR QUR'ANIC STUDIES

Lssus 35 - Muharram 1441 AH / September 2019